لبنان على بركان

ويما كانت الاذاعة اللبنانية تتغنى بانسانية لبنان ومسيرتـــه الحضارية على مر الازمان ، فصيدا وزجلا ومزيفات جبرانية ، كان الوحش اللبناني ملك الشوارع والضواحي في بيروت العاصمة ، وبضعه انحاء من العطر العربي الجميل ، يصول ويجول ويعنرف من اجسرام التفنيل والنديل والنميل بالجنث ما ندر أن عرفت مثله أفدر الحروب المهجيسة عبر التاريسخ . . .

ولم يدم ذلك على امتداد يوم او يومين . بل طوال اشهير ، على وجه التحديد من ١٩ نيسان ١٩٧٥ حتى الاسبوع الاول من تشربن الثاني هي ثماني جولات صمعت في العنف والضراوة ، ونخللتها مهادنيات رجراجة هشة ، ثرجيو ان لا تكون احداها هذه الذي نعيشها ونعن تكتب هذه السطور . « اطلقوا النار على كل ما يتحرك ..» هذا هيو الامر الذي سمعه اكثر من مراسل اجنبي ينطلق من افواه فادة ميليشيا الكتائب لقناصتهم . وكم من بريء كان « يتحرك » ماشيا في الشارح ذاهبا الى عمله او عائدا الى بيته ، وقع في الصيدة وسقط على الارض جثة بلا حراك . .

اما من نجأ ، فكان في انتظاره احيانا متراس وراءه مسلحسون يسألونه ابراز اوراق هويته . ويا ويله ان كان فلسطينيا او سوديسا او مصريا او عربيا من حيثما كان اولهنانيا من طائفة معينة ، محظه يفلق الصخر ان خرج حيا من التجرية ، ولم يصب الا بعدد لا بأس به من الرضوض والكدمات ..

وكانت الصواريخ وقذائف الهاون والقنابل المحرقة تلقى في الليل على بيوت الامنين والمتاجر والكاتب اضعاف اضعاف ما تلقى على المسلحين . وفي احدى الفارات على سوق تجارية ، انهار فندق متواضع على من فيه من النزلاء ، وعددهم ستون ، فقتلوا او جرحوا جميعا .

وشاءت الصدفة ـ صدفة لطها خير من ميعاد ـ أن يحمل هذا الغندق لافتة كتب عليها ((الفندق العربي)).

كانت حربا بشمة فقدة بالفعل . خلت بمجملها من أبسط مبادىء الفروسيسة . فالقنص ببندقية ذات منظاد ، تقتل على مسافة الفامتر، كان من مميزاتها . وهذا السلاح الحاد البصر ، الرائع التصويب ،تحول في حوادث لبنان الى سلاح اعمى طائش ، لابه كان يستهدف بوجه عام السابلة من الابرياء والعزل . هل نذكر حكاية ذلك القناص الذي شوهد على سطح مبنى في اثناء الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، يطلق النار في جميع الاتجاهات . ولما حوصر واعتقل وسئل عن الفريق الذي ينتمي اليه . اجاب : « أنا احارب لحسابي الخاص ... » هل نذكر أن هذه الحكاية جرت مجرى الامثال ، وامست لندرتها وظرافتها « .كنت عليسة » ؟ . لقد امست النكتة في لبنان هي القاعدة .

ما الذي حل بلبنان..ما الذي اصاب هذا الشعب الوادع فعو"له او حول بعضه الى ذلك ؟

أنهمنا الكنائب اعلاه نفلا عن مراسلين اجانب هم من الغرب ١٥ي من اصدفاء لبنان المفليديين . وهي سنتحق ((شرف)) الامتياز لانهـا كانت البادئة , لكن الحرب الفلاة عمت الجميع فيما بعد ، طبعا بنسب مسعاويه البد أن ما نستطيع تأكيده هسو أن الرواة من وطنيين واجاب أم يسهدوا على حزب ليناني تعدمي او على منظمات المعاومة الفلسطينية باعمال القنص مثلا ، ولا بحيازة الهبية وفرق للتعذيب ، وان حوادث الخطف والعنل التي رد بها خصسوم الكتائب وحلعائها كان معظمها _ ان لم نقل كلها _ على ايدي جماعات مرتجلة او افراد ، كذلك الفلسطيني الذي ما ان بلفهفي صور نبئ قتل شقيقه عند حاجز في بلدة الدامور حتى أحتجز اول خمسة اشخاص التفي بهم ، ممسن ينتسبون بالدين الى من اغتالوا شقيقه وافرغ فيهم رصاص رشاشه . نعم وقعت حوادث فردية من هذا القييل في المسكر المسادي للكتائب وانصارها ، لكنها على فظاعتها تبقى اقل بشاعة وفظاعة مما فد تدبره جماعـة سياسية منتظمة في حزب ، يعرض فيها ادنى قدر مـن الاحترام للمبادىء والقيم ؛ وأن أسوأ ما يتبادر الى اللهن أن يكون الترويع والتفظيع خطة مدروسة _ وليسا مجرد انفعال طارىء _ غايتها الوصول الى انجاز سياسي - كالتقسيم مثلا - على غرار « دير ياسين » الصهيونية .

نعود فنساءل: ماذا جنى لبنان ، وماذا جنى اللبنانيون حتى استحموا هذه الماصفة من الجنون .. هذا البركان البشري المتفجس غضبا وحقدا وفتلا ودمارا ؟ اربعة الاف قتيل كما تقهل الاحصاءات الاولية .. وعترة الاف جريع او معطب . عندا الخسائر والاضرار الاقتصادية والمادية التي قدرها العارفون بحوالي اربعة مليارات ليرة لبنانية ، اي اربعة أخماس الدخل القومي في عام واحد .. عدا ما تعمر من اخلاق وانهار من قيم وانبعث من رواسب عند شعب واحد قدره ان يتعايش . لان شطره محال ، سواء على الصعيد الجغرافي او الديموغرافي او التاريخي . ما الذي جنى لبنان حتى نزلت به الكارثة؟

الرئيس كرامي قسال: انه غضب من الله . وهذا خيسر تفسير او ايسر تفسيسر . لكأني بروما ـ لبنسسان بلغت الاوج في بلخها وتسرفها واسترخانها ولا مبالاتها > فاحسرفست بندار شهواتها . كم فرح لبنان بأنه ظل وحده الناجي السعيد من لهيسب المنطقة ، بعيدا عن « مشاكلها وهمومها واختسلاجاتها وحروبها » يشاركها بالعاطفة واللسان والقلم ، وكفى الله اللبنانيين شر القتال أر والله لا يحب الاكتفاء بهذه المساركة على ما يظهر . افترىلبنان لو اشترك مع الاسقاء في السراء والضراء . . لو انه حارب في حدود ممكناته . . اما كان ذلك اجدى عليهواوفر مما وقع فيه ؟ « لربما كانت خسائره المادية في الحرب تجاوزت قليلا ما خسره في حربه علسى خصودية نفسه » ، لكنه كان دون شك قد ربحما لا يقدر وما لا يحصى بمعمودية

حقيفية بنار طهور ، تشهد وحدنه وتعزز فيمه الوطنية والانسانيسية وتزوده بامجاد فعلية لا بد منها لكل شعب ينشد مكانا كريما تحت الشمس .

بعد حمدنا لله الذي بلانا بشيء من الخوف ومفص عي الثمرات . . كما يبلو سائر عباده ، تعالسوا نر مساذا فعل الاسمان عي لبنسان حنى اصابه .

لفد كانت وكالات الانباء ومعطات الاذاعة العالمية تحار في وصف الحرب التي وقعت في بلنما . وهي على حق في ان نحاد ، فهسل هي بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية . . ام هي اهليه حيما بيناللبنانيين المسيحين الفسهسم ، وان كانت كذنك فهل هي حرب مانعيسه اي بين المسيحيين والمسلمين ، ام طبغيسة اي بين اليساد واليمين؟

الواقع الها كانت لل هذا في وقت واحد ، وعلى الاقل ، بالنسبة الى من اللوهما ووسعوا نظافها فنتنوها بلا هوادة ولا فروسية . فحزب المسلب ضبي النساء داسرايب ، مسئر للعروبة داخل حدود لبنان ، حيني النزعة ، فنسي الاساليب لا سيما في ((ميليشياه ال . وهو على عدس ما يدني به رعماؤه احيانا من نصريحات تحديرية ، معاد تلكيره المسلمة سي لبنان لابها عربية الشعور والانتماء والهدف . معاد للمدميين من أيه طاهمه كانوا ، مؤيسد لبعاء النظام القائم وتحجيره الى الابد . معاد للوجود القلسطيني ، على الاخص بعد أن تحول كثيس من اللاجئين للمسطينيين على ارضه الى مجاهدين مسلحين وقدائيين .

وهكذا يستطيع القاريء استنتاج هوية انفريق الاخر . ذلك الفريق الذي ان لم تجمعه وحدة الهدف ، فقد جمعه حزب الكنائب وانصاره لدفاع مشروع عن النفس . بمعنى ان الجماهير الاسلامية ألموالية للقومية العربية من جهة ، والمغبونة الصفقة في النظام الطائفي الفائم من جهة ثنية لان موقعها منه هنو موقع الافلينة مسع انها في الحميفة والواهع الاكثرية ، ثم اليسار معتدلا ومنظرفا من مختلف الطوائف ، الطامح الى تطوير النظام وجعله تقدميا ما امكن ، ثم الفاومة الفلسطينية، كل هؤلاء رأوا انفسهم مجتمعين تلقائينا في حلف واحد .

وينبغي التوكيد في موضوعية صارخة أن العامل الطائفي له دوره في كل ما ينعلق بلبنان أو يجري فيه ، انمنا سجب الانادة ايضسا اي ان هذا العامل ليس دينيا اومذهبيا صرفا ، وأن الاتجاهات الفوميسة والاهداف السياسية تداخله بشكل يكاد يكون طاغيا . فالتعصب الديني بمعناه المطلق ليس بالقوة التي فه يتصورها من يميش خارج لبنان . وذلك لان الطائفتيسن الكبريين عندنة تدينان بدينين سماويين توحيديين. وليس بينهما ما بين المسلمين والهندوس في الهند مثلا . ولا حتى ما بيسن الكانوليك والبروتستانت ، مثلا اخر ، لانه لم ينشق المسلمون عن المسيحية أو العكس . وعلى صعيب التعامل الشخصى واليومي ، قلما تجد تمييزا وتفريقا بين المسلم والنصراني . ومرد ذلك الي تاديخ طويل من التعايش . ولا نعدو الحقيقة اذا فلنسا أن للمسلمين ـ لا سيما العرب _ يدا في ذلك . فالفاتحون والحاكمون لهذه المنطقة قرونـا طويلة لسم ينظروا الى المسيحيين - وحتى اليهود - نظرتهم الى اعداء، ولا حاولوا يوما ابادتهم كما فعل غيرهم في اسبانيا ومالطة حيث قضوا على كل مسلم بعد استعادتهما من أيدي العرب المسلمين . وهنساك شواهد تاریخیة علی ان النصساری الشرقیین (الارثوذکس) حاربوا جنبا لجنب مع المسلميين في وجه الزحف الصليبي الاوروبي .

وغني عن البيان ان الغضل في ذلك هو لجيء الاسلام بعسسد المسيحية ، واعتبره المسيحيين اهل كتاب لا « كغاراً » كالوثنيين ، تحل

ذبائحهم للاكل ويحل الزواج من بنانهم . زد على ذلك نصا صريحا في آية قرآنية تعتبر النصاري اقرب الناس مودة الى السلمين .

وبديهي ان مسيحيي الشرق بوجه عام فدروا معامله المسلميسين فانحين وحكاما ، وعدم مضايعتهم في اعتناق عميدتهم ومهارسسسة شعائرها ، ععابلوا الجميل بهشله ، وبعاونوا منع المسلمين في نسسى حقول النشاف الاساني ، وساعد على ذلك في بعض الاحوال اصل عربي واحد او استعراب عن طيب خاطر ،

ولئن اهترت الصورة بعض الشيء في ظل الحكم انتركي ، لمدم تفقه كل الاتراك بلغة الفران ، فأن هذا الحكم على الرغم من اصطدامه العثيف الطويل باوربا السيحية ، وممارسته نوعا من الاضطهاد على المناصر السيحية ، فأنه لم يتحدد الى شن حملة ابادة جماعية عيها.

ان الحس الطائفي هي لبنان ، طلما ساوريه السياسة . لا سيما يعد اربعاع ابد الاستعماري الاوروبي ، حصوصا بالنسبة الى الطوائف المداوليكيه التي تبيسه رومت ، وابرر هذه الطوائف والواهما والسطمها واكرهما تنافعه في الجبال الطائفة المارونية . وقد كنت هذه الطائفة عن طريق الاكليروس على الصال دائم بروما وبعرنسا .م الكلكة في العالم .

ولا عجب ان اصدت الرابطة الروحية بينها وبين الفرب ادوروبي الى حعلي النعافة والسياسة . وجاءت حرب ١٨٦٠ ، من ومقت فيها فرنسا ألى جانب الموادنة بونق عرى الصدافة ، وجاء الانتداب المرسبي بين عامي ١٩١٨ و١٩٤٣ يرفع هذه الصدافة الى درجة التآخي .ونخبل دنك غيوم مصدرها فرنسا التي كانت مضطرة بحكم علاقاتها مع العالم العربي الاسلامي في شمال افريقيا وفي سوريا الى سلوك فرق تفكر مزاج الراديكاليين من الموادنة او تستثير سخطهم .

وللقاريء ان يغدر مدى المضحية التي اقدمت عليها الطائفسه المارونية اولا ومعظم المسيحيين في لبنان ممن أنرت فيهم سنوات الانتداب الفرنسي تفاقيا وسياسيا ، على قبول الاستقلال عام ١٩٤٢ ، مهما بدا له الامر مدهنسا . باي نسعب يرقص ألاستقلال تم يساوم عليه ويفسع شروطا لقبوله ؟ لكن هذا بانغعل ما حدث . وتتيجة المساومة كانت ما يسمى « الميثال الوضني » غير المنتوب . ومؤداه ان يتخلى الميحيون ما يسمى « الميثال الوضني » غير المنتوب . ومؤداه ان يتخلى الميحيون عن حماية فرنسا لقاء تخلي المسلمين عن الانضمام الى سوريسا ، وان يحتفظ الاولون ببعض الامتيازات كان يعتبروا اكثريسة بنسبة ٦ السي عمول عن اي احصاء ، ويفوزوا بالمقاعد النيابية والمناصبوالوظائف على اساس هذه النسبة .

وقد يزول استغرابك - او يزداد . . - حين تعلم ان الاستقلال في مغهوم كثرة المسيحيين اللبنانيين وعلى راسهم الموارنة (اذ كان بينهم طبعا قلة تؤمن بالعروبة او تالغها وترفض كل حماية اجنبية) كان الاستقلال اولا عن سوريا ، وبالتالي عن بقية العرب . وعيد استقلالهم هو اول اينول ١٩٢٠ الذي اعلن فيه استقلال ((لبنان الكبير)) في ظل المحماية الفرنسية ، اي ضم الساحل اللبناني والاقضية الاربعة في المناخل (وهي منافق معظم سكانها من المسلمين) الى لبنسسان الصغير الذي منح عام ١٨٦٤ استقلالا ناتيا تحميه سبع درل أوروبية في نطاق السلطنة المثمانية .

وكثيرون يعتقدون أنه ما كان هنساك لزوم للتنازلات الاسلامية ، لان الاستقلال كان شيئا مقررا لا مفر منه ، بادادة لندن وجيشها الثامان المحتل لبنان ومعه فصائل فرنسية ديفولية تابعة لقيادته . ومشهورة ناددة المغفور له حبيب أبو شهلا (وهبو من زعماء الارثوذكس وابطال الاستقالال) اذ قال ذات يوم في مجلس خاص :

_ كفاكم كلامها عن الاستقلال وابطال الاستقهالال . . فالاستقهالال

فرض علینا فرضا کالاننداب تمامها . وکل مها امترنها به سنن انحاسه الشم کانت عندنا افوی مما هی عند سوانا ..

المهم أن الاستقلال ، انتزاعها أو فرضا أو بالمفاوضة ، فسد تحقق . دخل بها بنحفظ إو بغير بحفظ جامعة الدول العربية بعد أن اشترك في وضع ميثافها بالاسكندرية عام ١٩٤٥ . لكنه الى جانب ذلك ، احتفظ بجميع موروبات الاستعمار : الدسنور (الذي لمم يحدف منه ألا المواد المعلقه مباشرة بسلطات الانتداب) وهو دساور لمه مظهر دسبور الجمهورية أنفرسيه النابته ، ومحبر ديكنابوري يحصر جميع السلطات التنفيذية في رئيس الجمهورية دون مسؤولية ، ولا يعطي رئيس الوزداء من الصلاحيات الا التوفيع على المراسيم مع سميلسد رئيس الوزداء من الصلاحيات الا التوفيع على المراسيم مع سميلسد الذي كان يتآلف بطبيعة الحال من ضباط مسيحيين بكثرتهم الساحةة الذي كان يتآلف بطبيعة الحال من ضباط مسيحيين بكثرتهم الساحةة لان المسلميسن كانوا بوجه عام يففون من الانسداب الفرنسي سوقف السلية ، وهذا الجيس اللبناسي . أم يكن الا تبعا وامدادا لجيش الاحتلال في الشرق ، اي في سوريا ولبنان .

وما ان انفضت بضعه اعوام على الاستقلال ، نميزت اكثر ما نميزت بعمليسات فساد بي اجهزة الدوله ، (وكان من الاعدر لمبرير هسده العمليات ان ((الضروره الوطنيه)) بعضسي بها محدرة من تخويف من فيلوا الاستقلال على مصض . .) حتى بدا الصراع حينا في العلست واحيانا في الحقاء بيسن الانفراليين وانصار العروبه . واشترك بعص دعماء الاصفاع والبورجوازية من المسلمين في لعبه الانفراليين ، دانها من أجل نابيف فلويهم وتعويدهم على الطمانية في ظل الاستقلال . . . وكانت الهديه الاولى فصبم الوحيةة الاقتصاديسية والجمركيسة مسوريا ، بلك الوحدة الني لسم يفصمها الانتداب نفسه .

ويجب الاعتراف أن انصار العروبة من الكثرة الاسلامية أبدوا كثيرا من التسامح في الننازلات . فعدا فبولهم بالعرف رئاسة ماروبية للجمهودية دفيادة مادونية للجيش كامر وافع لا محيد عنه ، فبلوا بأن يظل يوم الاحد يوم عطله اسبوعية ، وان نبقى اللغه الفرنسيه طاغيسة على لفة البلاد في البرامج التعليميه ، وان يكون شعار جمعيـة الاسعاف الدولية « صليبا احمر » بدلا من صليب يحدى به هلال كما اقترح بعضهم . . الى جانب ارتضائهم ان يكونوا رسديا (الاقلية) وهم في الواقع الاكثرية . كان كل همهم ان يستقيم سير لبنان العربي ،وان يندمج لبنان ما امكن في الاسرة العربية . وكان لهم مسا ادادوا السي حد كبير من هذه الناحية . فلبنانفي سيأسسته الخارجية منسجم مع المجموعة العربية . وهم قابلون بما يصيبهم من غبن في توزيع مكاسب الحكم من جاه ونفوذ ومال (المال على استاس ما يوفره الشفوذ الحكومي من ابواب رزق في الدولة وسائر المؤسسات والحقول . . ولا نقصـــــ المسال الاخر ..) وعزاؤهم أن العروبة بخير في لبنان . وإن لبنان سائر في الركب لا يفكس بمد اليد الى اجتبى قد بصطاد في مياهشا التي عكرتها اسرائيل وعكرها نفر من حكام العرب برجميتهم وانانيتهم.

لا اريد أن اخلع صفة المثالية على مسلمي لبنان . فهم كسائر البشر لهم حقوق ومطالب يحرصون على احرازها . وكانوا يتخمرون بين الفيئة والفيئة ، لكنهم ما كانوا ينهبون الى حد الشورة . كانت الثورة في نظرهم وقف على الشأن الاستقلالي والشيء العربي . 'ما الثورة للمطالب والحقوق ففي وسعها الانتظار ، ولا بد أن يأتي يومها اذا لم تسو الامور بالتي هي احسن .

لقد ثاروا مرة واحدة عام ١٩٥٨ .وكانت ثورتهم على انحراف رئيس الجمهورية حينلاك الاستاذ كميل شمعون . ثورة على رغبته في اشراك لبنان بحلف بغداد ، اي باعادة النفوذ الغربي ألى المنطقة بعد ان طرده الرئيس عبدالناصر من ضغاف النيل . وطارده على امتسداد

الوطن العربي الكبير كله . وهددوا بالثورة مرة واحدة عندما دامت مؤامرة على الجامعة العربية التي انشأها عبدالناصر فرعا لجامعها الاسكندرية في بيروت ، وفنح فيها معهدا تتبديس الحقوق باللغهة العربيسة . ونجحوا في الرئين ، فسقط الرئيس شمعون وسقط حلف بغداد بثورة عارف وقاسم التي استغات احسن استغلال ثورة لبنان للطاحة بالملكية واسقاط نوري السعيد .

ودي المربيان وفقت الخانب وحلفاؤها موفقا معاديا . في بوره المركة وحين بأكد نجاحها ، حولتها « ميلينيا » الكتائب اللي معركة طائفية مائه في المائة ، ونجحت في تسميم الملوفف ، فتادى المادي بوجوب وفف الفينة الدهماء ، ووقت الكتائب وانصارها الى ما عرف بصيفة « لا عاب ولا مغلوب » كيلا يحس انفريق العربي في ابنا ن وهو كتره السامين وبعض المسيحيين) بابه انتصر وحده ، وحمحت امامه طريق السلق الى اهداف اخرى . .

وسي حادث الجامعة العربية (أو معهد الحفوق فيها) أضرب المحامون وهم بكثرتهم من الانعزاليين تسمة أشهر لاغلاقها ولم يعلموا. ولعله كانت أول مرة في اريخ الثقافة والحضارة ، يضرب فيها عن المدن جهاء من المشعين طوال هذه المدة للحيلولة دون فتح دار للعلم.

وهذه الحادله بعطي العاديء فكره عن جموح العاطفه السياسية وجنوحها الى النخراب ، عندما تستبد بأناس يزعمون انهم الفريسق المنطور الرافي في الباد ، ثم يبدلون المستحيل كي لا بتطور ويرفسى الفريق الاخسر .

وهمي مع سابقة الكتائب في ثورة ١٩٥٨ تفصح عن عقلية الانعز اليين المستارة الحتكره التي بجلت في احداث لبنان الاخيرة .

* * *

اذن ،خلال ثلاثين سنة من الاستقلال كانت كرة ثلج الطائفية المسيسة لا تنفك تتدحرج على الرقعة اللبنانية ، وتضخم مكاسسب جديدة على صعيد النعوذ والثراء معا ، وعلى حساب الفريق الاخسر مناطق وافرادا . وتأخذ نحت ابطها بالطبع نفرا من هذا الفريق نقطية للعبتها . ونحت ستار النظام الاقتصادي الحر ، ازدهرت حريسة السرفة والاحتيال والرشوة بشكل قل نظيره ، ووصل الفساد السي دوائر واجهزة يفرض فيها ان تكون فوق الشبهات .

وكانت الطبقة المستفيدة لا تبالي ، ولا تنظر الى ما يجري حولها، من ثورات شعبية وانتفاضات اشتراكية . ولا تحسب حسابا اللاجيال الطالعة من طلبة وعمال ومثقفين من كل الطوائف في طموحها الى التغيير بالاصلاح او بالثورة .

وكان الضمير الشعبي اللبناني الطامع الى حكم سوي عصري ، يتسم بالنزاهة والوطنية والعدالة ، قد بدأ يتململ ويتحرك . وكان لا مفر من اصطدام داخلي بين القدامي والجدد ، بين المتخمين والحرومين، بين الانفراليين والعروبيين، بين الاكثرية الوهمية، سواء وجد الفلسطينيون على ارض لبنان او لسم يوجدوا . لكن وجود الفلسطينيين بعد تحولهم الى مكافحين ، عجل اوان الانفجار . ولسان المغجرون ـ ويا لعجب المتنافضات ـ هم اهل الجاه والفني . فكانهم ارادوا ان يسبقوا العاصفة ، ويقضوا عليها قبل هبوبها . .

لا تستغرب اذا قلت لك ان انصار العروبة في لبنان يفوفون فسي حماستهم لها ونوبانهم في حبها كل انصارها حيثما كانوا من الرقعة العربية ، رباحا باستثناء عيرب فلسطين المحتلة . لان حؤلاء هم الاشد معاناة من ظلم اعدائها ومذليها . لكن عروبيي لبنانيقاسون ايضا من ذوي القربي ، من اناس بؤمنون بانهم اخوة لهم في القوميسة والوطن ، ويجدون انفسهم مضطرين في كل لحظة لليقظة والسهسر . خشية الكمائن والاشراك . وكاني بهم في حرب دائمة مع « الاخدوة

الالداء » ، حرب يربحون فيها جولات وقد يخسرون جولات . لكن من فضائل كل صراع انه يرسخ الايمان بالعقيدة ، ويشدد العزائم لبلوغ الهدف ، ويفني الروح بالانتصار .

والفلسطينيون عند انصار العروبة في لبنان ، هم الولد المدال سواء يوم كانوا مشرديس لاجئين ، او يسوم اصبحوا ابطال كفساح وفداء . وهم كذلكواكثر عند اليساريين منهم ، لان اليسار هسو الحق والعدل والانسانية . فمن آذى الفلسطيني ، فقد آذى كثرة الشعب اللبناني وطعنه في اعز من يحب .

والفريق الانعزائي ، سواء كان في الحكم أو خارجه ، لـم يرقه أن يتعاظم بأس الفلسطينيين المقيمين على ارضه . ولعله استاء اكشر ما استاء من التلاحم الذي قام بينهم وبيسن انصار العروبة واليساديين عامة من اللبنانيين . وكانسي بخيائهم الريض صور لهسم اشياء لم تجل يوسا في خواطر الفلسطينيين وهم اصحاب قضية ولهم حلم واحد هو العودة الى ارضهم وديارهم ، ولا نبريد ان نزعم او نصدق ان همسا من خارج صور لهم هذه الاشياء . كل ما حدث ان الفريق الانعزائي راح يضيق فريسا بالوجود الفلسطيني، مدعيا انه خطر على السيادة لا تتاثر باخ قذفته الى دارك اقدار اللبنانية ، ونسسوا ان هذه السيادة لا تتاثر باخ قذفته الى دارك اقدار وعودة عشيرته من حيث آتت ، الى جوار مقدساته ورحاب مزارعه وبساتينه . ولئن صورت من بعض العشبرة اعمال مبعثها المالاة في الحيطة والحدر ، فلا يضيرك ذلك ، بل تتفاضى وتعذر وتغفر . اما وساتينه . ولئن صدرت من بعض العشبرة اعمال مبعثها المالاة في وارتضيت ان تكون شرطيا لامنه ، وخادما لمآربه .

والواقع ان السلطة حاولت غير مرة ان « تؤدب » المقاوم.....ة الفلسطينية ، فوجدت في وجهها المقاومة والجماهير اللبنانيية . مما دفعها اخبرا الى التسليم بارادة الشعب .

وحدث ان تكلم رئيس الجمهورية اللبنانية نفسه على منبر الامم المتحدة باسمه وباسم تسعيشرة دولة شقيقة . مدافعا عن حق السعب الفلسطيني ، وعن نضاله العادل .

واعتقد ألجميع بعد هذا الموقف وهذه الشهادة امام العالم باسره ء ال المحرش بالوجود الفلسطيني في لبنان قد انتهى الى غير رجعة . لكمن ما كاد ينقضي على خطاب الرئيس اشهر . بل اسابيع ، حتى راح الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكنائب ، شير مشكاة همنا الوجود ، ومسألة السيادة ، مع التشديد طبعا على أن الكنائب ننصر الحق الفلسطيني وتحيي الكفاح الفلسطيني . وليس عندها ما همسواغلى من « القضية . . الفلسطينية . .)

وبعد اسابيع ،بل ايام ،كانت سيارة ركاب كبيرة نقل عددا من الفلسطينيين العزل م وبينهم شيوخ ونساء ما العائدين من مهرجمان الى مخيمهم في الطرف الاخر من المدينة ، مارة بشارع تجمع فيمه الكتائبيون المسلحون لان مرافق زعيمهم الشيخ بيار الجميل اغتيارهناك على ايدي مجهولين ، فاعترضوا السيارة وانهالوا على ركابهابالرشاشات فقتلوا منهم سبعة وعشريسن ونجما اثنان او ثلاثة باعجوبة بعمد اصابتهم بجروح ..

وكانتهذه الفاجعية الروعة بداية للحوادث التي امتدت فيما بعد ودامت سبعية اشهير .

ابى رئيس الوزراء آنداك الاستاذ رشيد الصلح ، وهدو وزبر الساخلية في الوقت نفسه ،ان يستدعي الجيش للمساهمة في افراد الامن والنظام . وذلك لانه انزل الجيش قبل اسبوع لقمه تظاهره في مدينة صيدا قام بها الصيادون احتجاجا على تأسيس شركة لمسيد السمك بالوسائل الحدشة مطالبين بتأمين رزقهم ، فقتل الجيش

خوسة عشر من الصيادين والتظاهرين معهم ، وفقيد هو خوسة جنود. كما اصيب النائب السابق معروف سعد (وهيو زعيم شعبي يسادي) اصابة خطرة نقل على اثرها الى المستشفى ، حيث فارقته الحياة بعد ايسام ، وكان وزير الداخلية الرئيس الصلح حين علم ببدء الاشتاك بين الجيش والتظاهرين قد ظلب الى الجيش الانسحاب ، فليم يصيدع بأمره ، وادى ذلك الى استقالة احد الوزراء السيد مالمك سميلام احتجاجا على عدم اكتراث الجيش بسلطة الحكومة . وقامت في اليوم التالي مظاهرة كبرى استثكارا لموقف فادة الجيش، سارت في العاصمة المضربة . وبعد يومين دعا الكتائبيون في احيائهم الى نظاهرة مضادة حيت الجيش وقادتهوهتفت لهم . واعتبر المسلمون أن قيام هذه التظاهرة هو دليل على انحياز الجيش وطبعه بطابع مسبحي .

فلما وقع حادث السيارة الغاجع ، ابى الرئيس رشيد الصلـــع استدعاء الجيش الى الساحة ، خشية ان يتفاقم الموقف وان يحمدث انقسام في صفوف الجند .

وهكذا ترك المتقاتلون وحدهم في الساحة . لأن قوى الأمن الداخلي لا تملك الوسائل الكافية الكافحتهم ، لا سيما وانهسم في كسلا المسكرين ، يستخدمون اسلحة حربية قوية .

وبين مطالبة فريق الكتائب وحلفائها بنزول الجيش ، واصرار رئيس الحكومة على عدم انزاله ، ووقوف السلطة العليا الى جانب الغريق الاول ، استقال الاستاذ رشيد الصلح بعد أن اتقى في البران بيانا اعتبر الرصاصة الاولى المسددة مباشرة الى صدر النظام القائم ، فعراه من ثيابه وكشف كل عوراته وقد فعل ذلك بالاتفاق مع الغرياق الاسلامي ـ التقدمي .

ذلك أن هذا الفريق أدرك أخيرا أن أمانيه القومية _ وليست مصالحه المحلية _ هي المهدة تحت مظلة النظام المستوري القائم . وقرد لاول مرة أن يطرح مطالبه السياسية لتقويم الموج وتأميس الته . والعدل في مؤسسات الدولة . وطالب التقدميون والمسلمون (﴿لاء بالسنة مشايخهم) بالغاء الطائفية السياسية واقامة حكم ديه اللي سليسم .

ولم يعد الوجود الفلسطيني جوهر المشكلة .بل الخلاف بين فري ن من اللبنانيين انفسهم . مع التنويه طبعاً بان مطالب الفريق التقد ، تكفل سلامة الوجود الفلسطيني دون لبس ولا عائق .

المعركة هي معركة نظام الحكم فهل بحل بالسلاح ام بالحواد ؟

رئيس الحكومة الحالي الذي حملته الى منصبه موجة شعبية من الفريق التقدمي الذي يؤلف ٧٥ في المائة من السكان كما يقدر الزعبم التقدميالاستاذ كمال جنبلاط ، يؤمن بالحوار . وهو يبدل من صبره وحنكته ما لا يتصوره العقل في سبيل اعتماد السلاح واعتماد الحواد. والفريق التقدمي يؤدده في ذلك ، مع استعداده للحرب ان يردد الحسرب .

ومن اغرب المفارقات في هذه العركة ان الغربق اليميني الممثل في حزب الكتاب وحزب الوطنيين الاحراد (وزعيمه كميل شمعون) وجيش؛ التحرير في زغرتا (بلدة رئيس الجمهورية) وحراس الارزة الغ الغ، نقول ان هذا الغريق الناعم بخيرات النظام الحالي وامتيازاته الحريص على بقائه وخلوده .. هو الذي بدأ ((الثورة)) في الشارع ، وهوالذي بفرب مرافق البلاد ويحطم وحدته واقتصاده . بينما الغريق الناقم الثائر على النظام هو الذي براعي جانب الإعتدال ، وبربد انقاذ البلد من المحنة باسرع ما يمكسن . وهذا ما يدعسو الى القول ان الطائفيين والمستغلين المذبين كانوا سادة النظام القائم طوال ثلاثين سنة ، قسد افلسوا في سلمهم ، وهم يفلسون اليوم في حربهم!

معمود درويش



كان بعر ف

ولكن" الطريق

وأعطته الحريق..

طردت اولاده من مهرجان القمح في صور ،

١ - خليل درويش: موزع صحف فتل ولداه فهد درويش ومحمد درويش وصهره محمد جميل الخليل على حاجز اقامه مسلحون قرب قصر العدل في بيروت صباح الخميس ٢ نشربن الاول وهم في طريفهم الى نوزيع الصحف .

ومن كلية الجيش ، ومن باب ألوطيَّفة . كان يعرف ان بيروت الفوارق هي بيروت الحرائق! كان يعرف ان فهـدا ومحمل ومحمل انه ان يجد الإزهار في رومـــا وصلوا الان الى حاجز قصر العدل ، اخذُت ساحله الفضي" في صور والموت هواء وسطوح وشبابيك رماء كان يعسرف ان حرب الفقراء قبل روما احترق القلب على ابواب روما الم تجيء من آية الكرسى حتى الان . . لم تفتسح قبور الشهداء كان فهد ومحميا بُذيحون الان • كان الفجر في للحظته الاولى • • وكانت شارة الارز تفطى القتلة وتفطى نار بيروت . . وكانت نار بيروت تفطى القتلة وتفطى شارة الارز ٠٠ وكان الارز لا شبه طعم الخبز بيروت رغيف ورصاص وخريف كان فهد ومحمد ومحمد تذبحون الان . كادوا أن يحاذوا شاطيء الخبز .. وكادوا ان يروا شكل الرغيف الساخن ، اليوم الحدَيد ، الارزة الشعبية ، الاعلان عن يوم ربيع وخليمل

کان یعرف

لن يبيسع

دم فهد

ومحمد

ومحمد

صار يعرف

انه أن يحمل الموتى الى اكشاك بيروت غدا

ان قصر العدل لا سبكته العدل

وان الخبر انجيل العدالة!...

_ وهل العمو طويل ؟ _ با خليـل ليس في الميناء قمح ، والجرائد ملأت اوراقها قتلي وجرحي ... وموارد وتبيع اليوم اكثر! کان سے ف ان شكل الارز لا يشبه طعم الخبز .. (يا بيروتنا الاخرى ! تجيئين من الاكواخ يوما وتجيئيسن ٠٠) وكان اللفجر يأتي حذرا من غابة الصفصاف . . كان البحر محمولا على سيارة الاسعاف . . لكن طريق الخبز لا تخدع من يمشى وبيروت رغيف ورصاص وخريف ... کان بعر ف انهم قد اطلقوا النار على الخبر .. على الماء .. على الطَّفل الذي يأتي من الرحم الى الاسم . على اي حال عابر في افق بيروت ، ويعرف ان بيروت التي تخرج من منع التجول فندقا ضخما ، نساء عاريات ورصاصا في القرنفل هي بيروت التي يعرفها هي بيروت التي نامت على ساحله الفضي في صور، ولا يعرفها (آه يا بيروت . . يا طائفة البحث عن الخبر المفطى بالدخان اتحدى! آه يا بيروت . . يا خادمة الحسرب ريا عاصمة السلم السياحي الممل اتحدي!) كان يعرف ان بيروت النظيفة

۲ - ابراهیم مرزوق: رسام لبنانی استشهد صباح الاربعاء ۸۰ تشرين اول ، عندما كان يقف في أنتظار نصيبه من ألخبز امام فرن في محلبة الرفاعي

كان بوما غامضا منذ الفسق تخرج الشمس الى عادتها كسلى . . رماد عير عادي يسد الافق الشرقي . . . كان الماء في اوردة الفيم وفي كل انابيب البيوت باسسا ٠٠ كان خريفا يائسا في عمر بيروت وكان الموت يمتد من القصر الى الراديو السي بائعة الجنس الى سوف الخضار ما الذي ايقظك الان تمام الخامسة وثلاثين قتيل! عد ألى النوم ، فإن الوقت موت وحرائق كان ابراهيم رسام المياه ورصيفا للزنابق ورديئا عندما يولع بالفجر ولكن لابراهيم اطفالا من الليلك والشمس ، يربدون رغيف وحليب كان ابراهيم رساما واب كان ابراهيم حيا من دجاج وجنوب وغضب وبسيطًا مثل قمح وصليب !.. المساحات صفيره

مقعد في غرفة . لا شيء . . لا شيء وان الرسم بالماء وطين

والتفاصيل لكم . وجهى أنا برقية . . هل تقرأون الماء كي نتفق الان ؟ البياض الاسود احتل المسافات انا الورد الذي لا يوميء

القيد الذي يأتي من الحرية _ الفوضيي او العجز الذي يأخذ شكل الوطن _ البوليس . .

> هل كان الوطن انطباعا ام صراعا وضياعا ام خلاص ؟

كان يوما غامضا . وجهى انا برقية الحنطة في حقل الرصاص.

> ما الله القطك الان تمام ألخامسة وثلاثين قتيل ؟

لم يكن للخبر في يوم من الايام هذا الطعم . هذا الدم . هـــذا الملمس الهامس . هذا الهاجس الكوني" . هـــذا الجوهر الكليي . هذا الصوت . هذا الوقت . هذا اللون . هذا الفن . هـ ذا الاندفاع البشرى و السر . هـ ذا

الى حرب العصابات الى الماساة في بيروت ... هل کان یموت ؟

السحر . هذا الانتقال الفذ مين كهف البدايات

كان ابراهيم في اوج اكتشاف الخبز . . يستولي على اللون النهائي"

> ويستولي على سر العناصر كان رساميا وثائر

> > كان يرســـم ٥٠

وطنا مزدحما بالناس والصفصاف والحرب وموج البحر والعمال والباعة والربف

وطنا مزدحما بالوطن المطحون في معجزة الخبز

ويرسسم

مهرجان الارض والانسان: خبزا ساخنا عندالصباح كانت الارض رغيف كانت الشمس رغيفا كان ابراهيم شعبا في رغيف! خبئوا عنه الخريف خبئوا عنه دمه خبئوا دنه اليد المتهمة

خبئوا عنه المياه الياسة ليتم اللوحة المقتحمة

ليتم الملحمة

انه الان نهائي" . تمام السادسة

دمه في خبره خبزه فيي دمه

تمام السادسة ! . .

محمد الفيتورو

بيروت في زمن الولادة والدمار

_ وانت ما اسمك ؟ • كنت امتهن الحدادة . . ليس لى وطن سوى لبنان . واسمي منذ سماني ابـــي غسان . . لم اك حاضرا اذ ذاك . . لا تقلق . . فلن تحتاج بعد اليوم لاسم او هوية ے هل تربد هوبتي _ لا فرق يا غسان . سوف تموت مجهول الهوية القناصر يعترف للفريسة عينى ورأسك والزناد انا الذي تتشكل الآعمار بين يديه . . تنقص او تزاد . . انا الذي يحييك او يفنيك مهما كنت . . او من انت ؟ لا اعنى بفير الموت .. انت فريستي . . وانا هو الرخ المحلق في سموات الرماد بعثت من عصرى لكسى القاك هذا انت تقترب . . اقترب . . طفلا . . عجوزا . . كاهنا . . انی اریدك تحت منظاری .. وراسك وردة حمراء ، تدعوني لاشهد عرسها . . يا جثة الحي الذي سيكون منذ الان حثة ميت قد كان ٠٠ لا ان تفلتـــى . . وانا برىء منك يا من لست اعرفه . . فلا تحقّد علي . . وانت ترقص في دمائك ... است الا قاتلا متعاقدا بالاجر .. اقتل ، وهو يدفع ، ثم اقتل . . غاسلا كفي منك . . ومن دماء القادم المجهول بعدك . . والذي سيجيء ، حيث يسود مجد الموت . محد المندقسة اني مجرد آلة خرساء ٠٠٠ اماً القاتل الفعلي ، فهو وراء شرفته . . يراقبنى ... ويضحـك .. ثم يومىء للضحية! الكلمات الاخيرة بيروت تشهق بالقذائف والقنابل بيروت تحلم بالخرائب والزلازل . فهناك مجلود وجلاد ومقتول وقاتل وبنادق خانت ٠٠

... ومتى تفنى شمسك الخضراء يا بيروت ؟! بكأس الله ثانية ؟ واشواق الذين تعانقوا في الحلم ،عبرتماوج الااوان يا بيروت . . في استشهادها . . وحريق بواباتها الكبرى لئن صار الهوى ذكرى فيا لعذوبة الذكرى! * * * ويرحل في سحاب النار . . عنقود من السنوات يرحل في سحاب النار . . كان الفجر ، اصفر بارد العينين والشفنين . . كانت شنمس بيروت الحزينة انصف مرآه محطمة ا تلوح على بقايا نصفها العلوي" اشماح الفحيعة . . وهي تفرق في مقاعدها الوثيرة والذين هناك يختبئون تحت جلودهم . . ويخبئون مرارة الضحكات .. يقتسمون ارث الموت . . في زمن الولادة والدمار أكان محتوما عذابك! ان تفوص حجارة الكبريت في عينيك هاتين المظللتين بالفرح العميق .. وان تلف جناحك الذهبي . . **¥ ¥ ¥** عاصفة السقوط والاحتضار! أكل هذا الساحل الملحى جرحك : كل هذا الحائط الدموى موتك ؟ كل هاتيك الضحايا الساقطات من الجحيم . . واوجه القتلي المفرغة العيون . . وذكريات الرعب والدم والفيار! مجهولون عند الحاجز • أنا محمد بطرس العربي من البنان _ حسبك لا تزد حرفا • واعمل بائعا لليانصيب . ابيع اوراق الحظوظ لمن يشاء . وربما بعت القليل ولماجد الا القليل _ وانت ؟ • نجار قدیم . کان لی بالامس حانوت رضاع وقلت يا صيدا الوداع هناك بيروت التي يحكون عنها .. وانحدرت ميمما بيروت .. لكن المدينة اوصدت ابوابها ٠٠ بيروت قاسية على فقرائها .. سأعود يا صيدا اليك ..

فقد تعبت من الصراع

واخرى عن مواقعها تقاتل

معين بسيسو

غزلان تركض نمو تشمس

(الى شهداء العنجافة)

فنجان القهوة ساخن والقتلة يصحون على الحبر الساخن والورق الساخن (هاآرتس)، «الإهرام»، « العمل » ، ثلاث جرائد . . ثكتب بلغات ثلاث رصاصات . . . وثلاثة اطفال ، كانوا يمشون ، جرائدهم في ايديهم ، كانت بيروت بايديهم ، كانت بيروت بايديهم ، تنفجر ثلاث سنابل ، ونلاث قصائد للالات الكاتبة ، للايدي المكتوبة

- 1 -

« هاآرتسى» ، «الاهرام » ، « الدمر »،

ثلاث جرائد ...

تطبع بلغات تلاث بنادق . .

من قناص « في القاهرة » ، الى قناص في بيروت . السابعة مساء ، تسقط بيروت . . امراة تذبح بالمشط ، وتبتلع المرآة اصابعها .

الثانية ، الواحدة ، وما زالت بيروت تلد رغيفا من يدها ، وزجاجة حبر ، وجريدة حائط ..

- 7 -

الان تعاليوا ، من كل خطوط الطول ، ومن كل خطوط العرض . . الان تعالـوا . من كل جهات الارض . . من « تل الزعتر » ،من سن الفيل ، من « النبعة والدكوانة » . . من « فرن الشياك » ، من « الشياح » . من عين الرمانة ... الان تعالوا ، وبلا اسماء . . هذي هي « روزا » ، هذا هو « يونس » لا اسلاك شائكة ، تفصل بينهما ، لا كيس من رمل م. . لا خط للطبول ، ولا خط للعرض ٠٠٠ هذی هی « روزا » 6 هذا هو « يونس » هوذا خيط الدم يصل القم بالقم ...

غزلان تركض نحو الشمسي ، الشباك يخبىء فمه ، الماء يخبىء دمه ، الله ، الرادىو ، الكرسىي ، الكأس ، الماخرة ، الطائرة ، البنك حقيبته في يده ، الاسمنت ، هنا القاهرة ، هنا بيروت ٠٠٠ وحرائق في ورق الموز .. شجرة مطاط ،تعطى رقم التليغون . الى شجرة ارز .. من قناص في بيروت ، الى قناص في القاهرة ، العاشرة صباحا ، تسقط بيروت السمكة تخبر فوق الموج الصدف ، وتطعم اطفال الحمالين بمرفأ بيروت ٠٠

الخامسة مساء ، تسقط بيروت

لم نسقط بيروت ...

الرابعة ٤

الثالثة ،

وليد ابو بكر

بيروت الموت، والمياة

ونزرع الاحسلام:

. تأتين يا حبيبتي في الصيف
كما يجيء الزهر في الربيسع
تضمنا بيروت، تحت ظلها ننام
نكون طفلها الوديسع
نميش في الحمراء حبنا
في الرملة البيضاء، في الكورنيش، في الجبل
نعيش في بيروت كالامل
تعيشنا بيروت كالامل
بيروت يا حبيبتي مدينة كالحب
وكل شارع نعرفه ينبت الف قلب.

$\star\star\star$

م. وقبل ان نعيش رحلة الحلم تصغعنا بيروت بالصراخ ، بالالم بيروت لم تعد تعايش الجمال والطفولة بيروت صار جبها المدافع الثقيلة فالموت في بيروت بالمجان الموت صار قدر الانسان للانسان وقد يجيء صدفة بلا ميعاد تحمله رصاصة تطيش في الهواء يحمله الرماد في بيروت صارت كالرماد

هل هذه هي المدينة التي تحبنا الهله هذه هي المدينة التي نحيها الهله هذه هي المدينة التي نحيها الهله هذه هي المدينة التي نحيتها كي تخلق فيناالحب الميروت اي درب تسلكين الي درب المين الت المين الإن انت المين الاشباح بين كل شارع وشارع يزف فيك كل لحظة الى الرصاص قلب بيروت كالكابوس اكالندم بيروت كاس دم يهيش فيها كل مجده الإلم وتزهر الدحنوع وتزهر الدحنوع والحب في بيروت يختنق والحب في بيروت يختنق بيروت في جنونها المدافع بيروت في جنونها المدافع بيروت في جنونها المدافع الحاد تحترق المحتول ال

٣ ٩ ٩
 لن تعرفي بيروت يا حبيبتي
 حتى طيور الحب فيها تختفي من الفزع

ونحن با حبيبتي نحلم بالشوارع الاثيرة القديمة في الشوارع الاثيرة القديمة شوارع الحياة نحلم لمو تعسود نحلم ان تصحو من كابوسها بيروتنا العظيمة وتغمر العشاق بالورود فالقلب في بيروت قطعة من الزجاج تنكسر بيروت تنتحر ... بيروت تنتحر ... بيروت تنتحر ...

* * *

لكن لحظة البكاء لا تطول . .

بيروت سوف تقرع الطبول . .

تنفض عن جناحها كل غبار الموت

تفتح المانسان قلبها . .

بيروته يا حبيبتي مدينة اصيلة

وفي شغاه الناس ، كل الناس امنيات

بيروت ، حبهم ، تعود للحياة

تحضن كل عاشق لدربها

وترجم الزناة

الحب في بيروت بين الناس كالقدر

بيروت يا حبيبتي بالعب تنتصر

بيروت يا حبيبتي كالعرس تنتظر

بيروت يا حبيبتي كالعرس تنتظر

الكويت

خليل الهندواع ا

رسالة سوف تصل!

مسرحية بفصل واحمد

المكان: كهف عميسق

الشخصيات: خالد، سلمان، عادل (فدائيون)

صهيونـي

جابر ۔ ابن سلمان ۔

منصور ــ رئيس فرقة الانقاذ ــ

« رجال من الفدائيين ، في كهف ، واسع ، مظلم ، تضيئه شموع ، همهم مراقبة حركة العدو ، واعطاء معلومات عن تحركاته ، لمركز قيادة الفدائيين يملكون آلة لاسلكية للاستقبال ، واخرى للبث . . »

خالك : الساعة السابعة ! هذا هو موعد اخباد قيادتنا !

سلمان : افتع ! لقد طال انتظارنا لهذه الساعة ..

خالد: اسمعوا ، اذا !

الاناعة : ﴿ بِلاغ - رقم (٥) -

اشتبكت مجموعة من الغدائيين ، عند الصباح ، في كمين نصبته، مع سرية للعدو .. دمرنا اليتين .. وفتلنا ثلاثة جنود وهنالك جرحى ، وانسحبنا بسلام باستثناه واحد منا اصيبه بجسراح طفيفة .. النصر لنا! »

سلمان : يا للبشرى ! ما كان اكثر توفيقنا !

خالد : وأنت ياعادل ، اخرج مستخفيا ، وارصد حركات العدو ! انه لا بد ان ينتقم لخسائره وضحاياه .

عادل: (بلهفة) هل تسمعون ؟ طائرات المدو تستكشف ساحة المركة.

خالد: انهم يريدون أن يعرفوا الى أين انتهى الكمين ؟

سلمان : ولكنهم لن يجدوا الا قسرى امنة ، يصبون عليها النساد

والدمار . . (اصوات قنائف)

عادل: انهم بداوا ... ولكن ، ما هو الهدف الذي اختاروه ؟

خالد : هل وقعوا على الكمين ؟ قد تكون خسارتنا فادحة ..

سلمان: استكشف مواضع القذف بمنظارك . . ماذا ترى يا عادل ؟

عادل : (من خارج الكهف) ارى قوة من جند المدو على طريق فرهية * ترافقها مصفحتان ..

خالد: لتخبر مركز القيسادة .

سلمان : افعل يا خالسد !

خالد : قوة من جند العدو تقدر بعشرين رجلا يرافقها معتفحتان علسى الطريق الفرعي المتصل بغور الاردن. المنوا لها في ناحية الطريق.

سلمان : بعد ساعة تأتينا الانباء ..!

خالك: ماذا ترى يا عسادل ؟

عادل : أن رجال العدو ، غيروا انجاههم .

سلمان : هل معنى ذلك أن الكمين لن يظفر بهم ؟

خالد : ولكن لاذا غيروا الاتجاه ؟ هل استكشفوا شيئا بابهم ؟

سلمان : ان رجالنا ليس من اليسير ان يفعوا في شباك العدو .

عادل : لم يبق ورادهم الا الغبار الذي تثيره المصفحتان . .

سلمان: افتع المذياع يا خالد!

ماذا تسمع ؟

خالد: صبت ...

سلمان : لكتهم لهم يتعودوا هذا الصمته !

عادل : لا بد ان وداء صمتهم نبا خطيرا ..

خالد: اسمعوا ! بدأت الاشارة . .

انهم پتکلمسون . .

صوت الذياع: اصبعوا! اسبعوا!

ان العدو لم يسلك ذلك الطريق .. وقمنا نحن في الكمين .. نقد دافمنا عن انفسنا ، خسرنا فتيلين ، وسقط منا عدة جرحي .. اضطررنا الى الانستعاب من ساحة المركة ... انتجهوا ! انتجهوا

الى حركاته بدقة .. ننتظر اشارتكم .

سلمان : عجيب ! هل توهينا ؟ هل خدعنا ؟ لا . . لا يمكن . ` خالد : ولكن ، لماذا غير العدو اتجاهه ؟ هل احس بالكمين ؟

هل سمع اشارتنا ؟

من هو النخائن ها . . أنت ، أنت يا خالد ، ماذا كنت تذيع؟ خالد: اذا لم يكن مجرد مصادفة ، فماذا عسى ان يكون ؟ خالد: والله ، لم النع الله ما كنتم تشهدون عليه .. سلمان : ماذا ادى في أفصى الافق ؟ عجاج يثور . . هل هو صنع الرياح سلمان: اعترف! اعترف! ان بين يديك أسرارنا! التي اشندت ؟ انظر يا عبادل! خالد: (طقطقة آلة) اسمعوا!!! داخل الكهف! طقطقات شعرة غريبة! عادل: يا الهي ! أن العجاج عجاج العدو الذي أنجه على طريق أخر . . (يصفيون) سلمان : كاني بهم يفتشون عن هدف يقصدونه ... سلمان: حقا! هيا .. اشهروا السلاح! ان عدونا بيننا .. ابعداوا خالد: هل تمتقد باننا نحن الهدف ...؟ من هسذا الجانب! عادل : انهم ابعد ما يكونون عنا!! ما اكثر اليهبود! وما افيل خالد : من هذا الجانب مصدرها .. الفدائييين! سلمان: تقسدم بحدر! سلمان : بل ما اكثر الفدائيين ، واقل اليهود ! انما يكثر الجند بفوة الايمان ، وقوة الحلق . . خالد: من هناك ؟ ارفع يديك ! عادل : ولكسن في قلبي خوها من مكرهم ..! سلمان: لا تتركمه يتحرك ... خالد: الى اين تنهزم! سلم نفسك! سلمان : انصل بمركز القيادة ! وقل لهم يا خالد ! (يتبعه بطلقة نار) خالد: « كونوا مستعدين للقاء .. ننتظر اخباركم السارة » اليهودي : آه ! اصبتني ! عادل: ولكن الى متى سنبقى داخل هذه المفارة ؟ خالد: فف ولا تنحرك! سلمان : وماذا تريد ان نفعل ؟ اليهودي: انا مستسلم اليسك .. عادل : لماذا لا تلتف ورامهم ، وتلفى الذعر في قلوبهم ؟ سلمان: أهذا انت الذي كنت تنقل اخبارنا وبحركاتنا الى قومك ? سلمان : أن مهمتنا توجب علينا البقاء هنا . . أذا خرجها اهلكنا انفسنا، وعرضنا رجالنا للفناء .. ٠ اليهودي: هو ذا أنا .. عادل : الاحظ أن المدو ، يغدو ويروح ويعود الى ذات القطة .. كاني سلمان : متى كان عهدك بنسا ؟ به يترصد هـده المفارة .. النهودي: كنت أبرصد الكهف ، واراقب كل حركة حوله .. حتى جاءني سلمان : دع عنك هذه الاوهام ! لا يعلم احد مكاننا الا الله ، وولسدى الامر باتخاذه موضعا للمراقبة .. رقد قمت بواجبي خير قيام . الصغير الذي الح على بالبقاء معنا ، لينظر كيف يصنع الغدائيون. سلمان : قمت بواجبك خير قيام .. ونحن ، الم نقم بواجبناخير قيام؟ خالد: الصغير .. وأين الصغير الان ؟ اليهودي: الامور مرهونة بنتائجها .. سلمان : اوصيته بأن يعود ألى القرية ، ليحمل الينا الزاد والماء .. سلمان: ستعلم النتيجة سريعا! عادل : اخاف ان يعود ونحن على هذه الحال .. اليهودي (ضاحكا) بل علمت انا النتيجة بصورة اسرع .. سلمان: أنه صفير .. لا يثير الاهتمام .. سلمان : كيف ؟ ماذا تمنى ؟ خالف: ليته ، حين يشمر بالخطر يمود من حيث اتي! (الفقائف والطلقات تتوالى على باب الكهف) سلمان: افتع المديساع! خالد: يا آلهي! انهم يعلمون مكاننا .. لنخرج قبل أن يسدوا علينا خالد: (يفتحه) صمت .. يا آلهي ! هل هنالك شسيء ؟ لا شسيء باب الكهف! (قديفة تسقط على فوهة المارة وتسدها) آه! سوى الصمت . تأخرنا .. لقدا قضى الامر .. دخلنا قبرنا ونحن احياء . سلمان: كرر ذلك! عادل: ماذا تقول ؟ خالد: اللو! الليو! سلمان : اتصل بجماعتنا يا خالد ، واخبرهم بما اصابنا ! لعلهـــم مركز القيادة ... اين انتم ؟ نحن في الكهف ننتظر الهاءكم ... ينقلوننيا ... ولكن ... لا جسواب ... خالد: (يجرب الفرب على الآلمة) ولكن الالة لا تستجيب . . لقد سلمان : هل اصابهم شسیء ؟ تعطلت ، واصبحنا مقطوعين في جوف هذا الكهف .. عادل: لا بد أن يكون وراء الصمت شيء خفي .. سلمان : وماذا يمسي ذلسك ؟ سلمان: افتحوا اذاعة العدو ..! خالد: أن ننتظر ساعة ألموت ... اذاعة المدو : « فاجأنا قرية حيث يتجمع الخربون ، وتولت فاذفاتنا عادل: لا .. لا يمكن .. سأتلمس منفذا لنا ! تعمير البيوت ، والخنادق .. واقتحمت مصفحاتنا القرية .. تشنت سلمان : جرب يا عادل ! حيث يكون منفذ للنور ، يكون سبيل النجاة . . المخربون ، وخسروا فتلي وجرحي » عادل : ولكن .. لا ارى منفذا ولا كوة .. هل نموت هنا وحدنا ؟ سلمان : الهي ما هذا الذي نسبهم ؟ هل يكذبون كعادتهم ؟هل يعترون؟ سلمان : لا شك أن مع اليهودي آلة نستطيع الاتصال بها ..أين آلتك؟ جرب ، يا خالد ، الاتصال بمركز فيادتنا .. اليهودي: (بضحكة هستيرية) التي .. لا فائدة منها ابدأ .. لقيد خالد: اتهم يتكلمون: حطمتها بيدي ،حين اكتشفتم امري . اذاعة الفدائيين: « المدو يعلم بتحركاتنا وتجمعاتنا .. قد انقض طائراته سلمان: وايسن هسي؟ على مركسز قيادتنا .. أن واحدا منكم يخوسا .. فتشوا عسسن اليهودي: ها هي محطمية . . الخائس ! ٣

سلمان : ماذا اسمع ؟ واحد منا يخون .. هل يخون عادل ؟ هل بخون خالد ؟ هل اخون انا ؟ مالكم واجمين ! ! ! الخيانة تمع هنا ..

عادل: امر يثير الشك في نفسي!

سلمان: هل تعتقدون بأن عمله كان مصادفة ؟

سلمان : هذا كلب وافتراء .. أنسا لا نربد المتل ولا الاعتداء . اليهودى : حين امنت باني هانك ، سمعت الهانف القديم يهيب بسي اليهودى : واكتكم تريدون افناءنا ! لقد سمعنا اذاعاتكم تردد ذلك ... سلمان: (ضاحكا) أن الغضب فد يخرج الرء عن عقله حينا . خالد : اولم ينته الحوار بينكما ؟ اسأله عن موضع القنبلة قبسل ان سلمان : هذا هو منطقكم الاثيم يوم لوثتم الارض بأدناسكم .. ولكسن جماعتنا لا بد ان تأتي لاستنقاذنا .. ان تكون على الموت سلمان : ما هـو عملك في أيام السلم ؟ اليهودي: أنني اسناذ تاريخ في الجامعة العبرية ... سلمان: ها . . ها . . واي عصر من المصور تدرس ؟ اليهودي: تاريخ الامم السامية في الشرق الاوسط .. سلمان : حسن .. كيف كانت علاقة العرب باليهود ؟ اليهودي : في الجامعة كنت أكذب .. واما هنا فيجب ان اعتسرف بالحقيقة « لقد كنتم اكرم الشعوب لنا .. » سلمان : من حماكم ؟ من أعطاكم السلام على هذه الارض ؟ من العنفكم يوم كانت الشعوب تحتقركم ؟ مانا كنتم في الربوع الاندلسية ؟ انسا نريد الحياة للكسل بسلام .. اليهودي: ولماذا تضنون علينا اليوم بهذا السلام ؟ سلمان: نريده سلامسا مقرونا بالحقوالعدل. اليهودي : هذا كلام حق يفرضه العقل والواقع ! ولكن هل يعكسس شعيك هنذا التفكيس ؟ سلمان : لم يسبق لشعبي ان فكر الا بهذا النفكير . اليهودي : ولكسن .. ماذا تكون نهايتي معكم ؟ سلمان : تنجو معنا ، او نموت معا ! انتها نعدك بالنجاة اذا ابطلت فعل القنبلسة . اليهودي : انني مؤمن بوعدك .. ولكن قومي لن يتركوني أنجو .. سلمان : أذا فتلسك قومك ، فما هو ذنبنا ؟ لك علينسا موثق بالا ينالك احد منسا بمكسروه ك اليهودي: هل تملك رجالك الا يقضوا على ؟ سلمان : ان نمتي نمتهم ، وعهدهم هو عهدي .. خالد: هل تسمعون ؟ أن نقر الماول يتوالى على جوانب المفارة! عادل : وافرحتاه ! أنهم قادرون على استنقاذنا .. اليهودى : (ضاحكا) بل هؤلاء هم رجالنا ..! ولكن سيفوت الاوان قبسل أن يصلوا . . عادل: بل هم رجالنا! اليهودي: الامر سواء .. ان كانوا رجالكم ، او رجالنا .. سيفسمنا الموت جميما ، من في داخل المادة ، ومن في خارجها , سلمان : دائما . . لا تفكرون الا في منطق القتل . . انني اعدك بالحياة، وانت تنذرنس بالوت . خالد: النقر يشتد . . كأنه بات فريبا منا! بل احس به فوق رؤوسنا. اليهودي: أن عقارب الساعة تدنو من النهاية .. سلمان : وماذا يفيدك ان نموت معا ؟

اليهودي : في الحق،انسي اشعر بأن الموت ينتظرني .. لقد سئمت

اليهودي : انني اشعر بانهم الان ينتظرون عودتي على المائدة وزوجتي

سلمان : اليس هذا الشعور بكاف لان يجعلك تتشبث بالحياة ؟

- التتمة على الصفحة ١٤ --

الزائف .

سلمان : اليس لك أهل تحن الى لقائهم ؟

المهودي : الحياة لم تصد ملك يدي .

الشابة ، وثلاثة اطفسال صغار ...

حياتي . . سئمت الخوف ، والاضطراب والقلق فسي مجتمعنا

اجرا منسا .. اليهودي : هيهات ! لقد فات الآوان ! سلمان: لمساذا ؟ اليهودي: أن ساعة موننا أقرب من الساعة التي سيظهرون فيها! سلمان: ماذا تعنسي؟ اليهودي: في الكهف قنبلة موفوتة! عادل: ويحك!!!!اين هي يا مجرم ؟ اليهودي: ستسمعونها حين تنفجر. . خالد: (يأخذ بخناهه) فل أين هي ! فيل أن أخنقك . . اليهودي: تخنقني ! ولماذا تتركني حيا ؟ . . هيا ! اضغط علىعنفي ! ! سلمان: دعمه يا خالد!! لن نخنقك .. ان مصيرنا هنا واحد .. اليهودي: هو الموت .. سلمان: ولماذا لا يكون الحياة ؟ اليهودي : وايسة حياة تنتظرني ؟ تنجون انتم واموت أنا ..!! سلمان : (بهدوء) اسمع ! اسمع ! لقد فهمت .. نحن الان كانسات تنتظر قدرها الاخير . . الموت إذا كابرنا . . والحياة إذا إردنا! اليهودي: حديث معقول .. سلمان : هل تريد الحياة ؟ أليس لك رغبة في الحياة ؟ انك لا نزالفتي له أمال كبيرة في الحياة . . أليس لسك أم تنتظرك ؟ أليس لسك زوجية واطفال ، تود العودة اليهم حيا ؟ اليهودي: أن أملي بالعودة اليهم مستحيل ... سلمان : ولماذا ؟ انشا نعطيك عهدا بسلامتك اذا أبطلت فمل هسده القنبلة .. اليهودي: ها .. ها هل تجدونني مغفلا بهذه الدرجة ؟ سلمان : هل تريد السوت ؟ اليهودي : معكم ، لا قيمة عندي للحياة ،ولا للموت .. واحد منسا يموت مقابل ثلاثة منكم ... سلمان: أن نتركك تموت بأبدينا . . يجب أن تتحمل آلام ما قبل الموت .. ماذا بعمل يا خالد ؟ خالد : اكتب وصيتي لامي قبل أن تذوب الشمعة .. سلمان: ماذا تقول لها ؟ خالد : أنشئي اخوتي الصفار على ان يتبعوا طريفي ... سلمان: وأنت يا عادل ... عادل: (مجهشا بالبكاء) أنسا ... ؟ سلمان : لماذا تبكي اومن تبكسي ا عادل : لا ابكي على احد ، لانني ليس خلفي احد . . وانما ابكي لانني ساموت قبل أن أكمل وأجبى ، الموت في الظلام هو الظلام عينه . . سلمان : وانا ماذا اقول ؟ سيأتي غدا ، ولدي الصغير ، ليشهد في الكهف .. ولكنه سينمو مثلنا في الكهف .. حتى يبزع فجسر البخلاص . . اليهودي: حقا ... ما شعرت بمثل هذه الانسانية التي اراها الان ... هل انتم على هذه الانسانية ؟ أنا لا اصدق ما سمعت أذناي .

سلمان : وماذا دفعك الى ذلك ؟

« على وعلى اعدائى يا رب »!

سلمان : بماذا كنت تحلم أن ترانسا ؟

دم الانسسان ...

اليهودي : لقد صوروكم وحوشا برابرة ، تأكل لحم الانسان وتمتص

امل دنقل

سفر الف دال

(الاصحاح الاول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان ـ ما سيكون! والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته . . ثم ذراه ، كي تتنشقه الكائنات ، فينسل بين الشرابين والافتدة . كل شيء _ خلال الزجاج _ يفر": رذاذ القبار على بقعة الضوء ، أغنية الريبع ، قنطرة النهسر ، سرب العصافير والاعمدة . كل شسىء يغر . . فلا الماء تمسكه اليد، والحلم لا يتبغى على شرفات الجفون . والقطارات ثرحل ، والراجلون . . يصلون ٥٠ ولا يصلون!

(الاصحاح الثاني)

سنترال: أعط للغتيات اللواتي ينمن الى جانب الآلة الباردة (شاردات الخيال) رقمي _ رقم الموت _ حتى اجيء الى العرس . . ذي الليلة الواحدة! أعطه للرجال . • عندما يَلْمُون حبيباتهم في الصباح ، ويرتحلون الى جبهات القتال!!

(الاصحاح الثالث)

الشمور زهور ، على حافة القلب تنمو .. وتحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة!

زهرة نسى اناء تتوهيج - في أول الحب - بيني وبينك ، تصبح طغلاً . . وارجوحة . . وامرأة . زهره في الرداء تتفتح اوراقها في حياء عندما نتخاصر في المشية الهادئة . زهرة من غنساء تتورد فوق كمنجات صوتك .. حين تفاجئك القبلة الدافئة . زهسرة من بكساء تتجمد _ في لحظات الشجار الصفيرة _ ف_وق

شجيرة عينيك

اشواكها: الحزن والكبرياء . زهرة فوق قبر صفير تنحني ، وانا اتحاشى التطلع لحوك ... في لحظسات الوداع الاخير تتعرى ، وتلتف بالدمع في كل ليل اذا الصمت جاء لم يعد غيرها من زهور الساء هذه الزهرة - اللؤلؤة!!

(الاصحاح الرابع)

تحل الفتيات في زُيارات اعمامهن الى العائلة . ثم يجهضن الزحام على سلم « الحافلة » وترام الضجيع! تذهب السيدات ليعالجن استانهن ، فيؤمن بالوحدة الشاملة ويجدن الهوى بلسان الخليج! يا ابانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة نحتنا من لد القائلة

نجنا حين نقضم _ في جنة البؤس _ تفاحة العربات وثياب الخروج!!

(الاصحاح الخامس) . . ن

تصرخين ، وتخترقين صفوف الجنود . نتمانق في اللحظات الاخيرة .. في الدرجات الاخيرة . . من سلم المقصلة اتحسس وجهك! (هل انت طغلتي المستحيلة امامي الارملة ؟) اتحسس وجهك! (لم الذ أعمى . . ولكنهم ارفقوا مقلتي ويدي بملف اعترافي لتنظره السلطات ، فنعرف أنى راجعته كلمة .. كلمة .. ثم وقعتسه بيدي (ـ ربما دس هذا المحقق لي جملة تنتهي بي الـي الموت ــ لكنهم وعدوا ان يعيدوا الى" يدي وعيني" ، بعد انتهاء المحاكمة العادلة!) زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الثاكله وأنا لسب أول من نبئًا الناس عن زمن الزلزلة وانا لسب اول من قال في السبوف . . ان الحمامة - في العش - تحتضن القنبلة . قبلینی ، لانقل سری الی شفتیك ، لانقل شوقى الوحيسه لك ، للسنبلة ، للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة . قېلىننى ٠٠ ولا تلاممىي ٠٠. سحب الدمع تحجبني عن عيونك

(الاصحاح السادس)

في هذه اللحظة المثقلة

كثرت بيئنا الستر الفاصلة

لا تضيفي اليها ستارا جدسد!!

كان يجلس في هذه الزاوية
كان يكتب، والمراة العارية
تتجول بين الموائد ، تعرض فتنتها بالثمن ،
عندما سألته عن الحرب . .
قال لها : لا تخافي على الثروة الفالية
فعدو الوطسن
مثلنا . . يختتن !
مثلنا . . يعشق السلع الاجنبية ،
يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية . والغانية !

.. فىكىت!

... بيلس في هذه الزاوية عندما مرت المراة العارية وذعاهما ، وذعاهما ، وفعاهما ، فقالت له انها لن تطيل القعود فقالت له انها لن تطيل القعود فهي منذ الصباح تفتش مستشفيات الجنود عن اخيها المحاصر في الضغة الثانية (عادت الارض . ا لكنه لا يعود!) وحكت كيف تحتمل العبء طيلة غربته القاسية وحكت كيف تلبس حين يجيء ملابسها الضافية وأرته له صورة بين اطغاله . . ذات عيد .

(الاصحاح السابع)

اشعر الآن اني وحيد . .

وان المدينة في الليل (اشباحها ويناباتها الشاهقة) سغين غارقية نهبتها قراصنة الموت عثمرمتها الى القاعمندسنين استد الرأس ربانها فوق حافتها ، وزجاجة خمر محطمة تحت اقدامه ، وبقانا وسام ثميسن . وتشبث يحارة الامس فيها باعمدة الصمت في الاروقة يتسلل من بين اسمالهم سمك الذكريات الحزين وخناجر صامتة ، وطحالب نابتة ، ونشار من القطط النافقة . ليس ما ينبض الان بالروح في ذلك العالم المستكين غير ما ينشر الموج من علم . . كان في هبة الربح . . والان يفرك كفيه في هذه البقعة الضيقة! سيظل ٠٠ على الساريات الكسيرة يخفق ٠٠ حتى يذوب رويدا . . رويدا . . ويصدأ فيه الحنيس دون ان يلثم الربح ثانية ، او يري الارض ، او يتنهد من شمسها المحرقة!!

(الاصحاح الثامن)

١٥٠ سيدتي المسبلة١٥٠ سيدة الصمت واللغتات الودود .

ودمي قطرة _ بين عينيك _ ليست تجف ! فامنحيني السلام . امنحيني السلام .

(الاصحاح العاشر)

الشوارع في آخر الليل . . آه ، ارامل متشحات ينهنهن في عتبات القبور _ البيوت. قطرة . . قطرة ، تتساقط ادمعهن . . مصابيح ذائلة ، تتشبث في وجنة الليل . . ثم تموت !

الشوارع في آخر الليل . . آه . خيوط من العنكبوت

والمصابيح _ تلك الفراشات _ عالقة في مخالبها ، تتلوى فتعصرها ، ثم تنحل شيئًا . . فشيئًا . . فتمتص من دمها قطرة ، قطرة ،

فالمصابيح .. قوت :

الشوارع في آخر الليل . . آه ، السوارع في آخر الليل . . آه ، الصموت . افاع تنام على راحة القمر الابدي الصموت . لمان الجلود المفضضة المستطيلة يفدو مصابيح مسمومة الضوء ، يفغو بداخلها الموت ،

حتى اذا غرب القمر انطفات . . وغلى في شرايينها السيم ،

تنزفه قطرة . . قطرة ، في السكون الميت

وانا كنت بين الشوارع وحدي ! وبين المصابيح وحدي ! اتصبب بالحزن بين قميصي وجلدي . قطرة . . قطرة . ،

كان حبىي يموت

وانا خارج من فراديسه .. دون ورقة توت!!

القاهرة

لم يكن داخل الشقة المقغلة غير قط وحيد . عين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة عرفت ان ساعي البريد من ...

(الاصحاح التاسع)

دائما حين امشي ، ارى السترة القرمزية بين الزحام وأرى شعرك المتهدل فوق الكتف . وارى وجهك المتبدل فوق مرايا الحوانيت ،

في الصور الجانبية ، في لفتات البنات الوحيدات ،

في لممان خدود المحبين عند حلول الظلام . دانما اتحسس ملمس كفك في كل كف . المقاهي التي وهبتنا الشراب ،

الزوايسا التي لا يرانا بها الناس ، نلك الليالي التي كان شعرك يبتل فيها ..

فتختبئين بصدري من المطر العصبي" ، الهدايا التي نتشاجر من اجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمع في لحظات الخصام . دائما انت في المنتصف .

> انت بيني وبيسن كتابي ، وبينني وبين فراشي ، وبيني وبين هدوئي ، وبيني وبين الكلام .

ذكرياتك سجني ، وصوتك يجلدني،

سعدي يوسف

ثلاث قصائد

١ - حالية

شيخ في العشرين يستيقظ دوما ، في ساعات الصبح الاولى يمشط شعرا مبلولا ويدير المذياع ، وينصت للباكين

> یختار قمیصا وردیا وحداء ذا کعب عال ، وکتابا ابیض یقرأ شیئا منه ، واذ ینهض یصنع ما یقرأ کرسیا

في غرفته ، حيث العمل المأجور ثلاثة اطفال بداناء: اولهم ، لا يقرأ حتى نفسه ثانيهم ، ضيع في مزبلة رأسه ثالثهم ، يحلم بالفقراء .

كل مساء و يفلق شيخ ني العشرين شقته ، وينام وحيدا امس ، اسنيقظ في منتصف الليل تناول موسساه وحز بيسراه وريدا وادار المدياع وانصت الآتين

٢ ـ الغيسم

العيسم يقبل بين الشجر النانيء ، والشوك الذي يخضر . الفيسم بهبط مبتلا . وفي هداته يظمأ قلب الصخر .

يهبط مبتلا . وفي هداته يظمأ قلب الصخر الفيــم يسقط مرآة نسينا وجهها المفبر . الفيــم ىلقى بنا ، فتجاءة ، في القفر .

هذا الوريد المرتخي ، بين المدى والكف"-هذا الردى الملتف هذا الذي في لحظة الاشباه يفتح عيني" على مرآه ماذا راى مني ؟ ماذا راى في غيمة بين يدى والخوف ؟

نمرق في حديقة الشارع ، او في الفابة الاولى نفرس ازهارا على كف ومسمارا على كف ومسمارا على كف ويأتي الغيم مبلولا .

٣ ـ ظهيرة

بين ان نتشهى وان نتمشى معا ساحة للتردد او للتأمل او للملال

فكثري أنت:
هل نستطيع التحدث في مطعم
او نراود نهرا ، فنفمس راحاتنا فيه . .
ام نكتفي بالتنفس
ام ننطفي في سؤال ؟

غير اني سأبقى اذا ما رأيتك مضطرب خجلا مسكل اول الخيط منتظرا في الظلال .

ىقداد

د. افنان القاسم

البرهوازيون العفار

فال حسين للسافيه بنوع من النادب:

۔ اشربی کاسا علی حسابی :

ونصفه الاعلى يففز بكسل هوق البار . لكنها شكرته :

ـ لا ، اشكسوك .

فراح بأسف يردد:

- أضعت فرصة ثميئة .. أضعت فرصة ثمينة ..

والساقية تضحك بخفوت متجهة الى اقصى الباد ، ثم جلست على كرسي مرتفع . فجأة ، انفجرت في أجواء القهى رعدة ذات نفم حاد : انها ضحكات الجميع ،وعمام يقول له باصبسع مداعب :

_ يا ابن المفريت! من أين لـك ضحكه العاهر هـذه يا ابن لعفريـت!

كان حسين قد التفت نحونا بعينيه المنفجرنين احمرادا ، وداح يعلق ببسمة مالمسة :

- هذه ضحكة الدكتور! أنا أعرف.. من الذي يزغزغهمنخواصره؟ تقدم خطوة وهو يترنح بعض الشيء ، ثم احاط بدراعه الكرسي الذي يجلس عليه فاروق . رفع فاروق نظارته برد فعل مباشر ، والنفت نحوه متوثب ، فالتقت عيناهما بتحد فطري كنا قد اعتدناه . قال فاروق بلهجه ساخرة :

_ اجرع سمومك آنت ولا تتدخل!

وكانه اوفي له نكته .

السعت بسمة حسينَ الى اعصاها ، حتى غيرت ميعتها وجهه، وقال متهافتا لشدة سكره :

ـ انني اعلق ،ولي الحق بأن اعلق . لو كانت ضحكتك لقلتا رد فعلـك هـذا فـي محله ، لكنهـا ضحكة الدكتور ،وإنا اعلقعليها، ضحكـة أخرى اكثر حدة . وبدا جنا مزهوا . عاد حسين بقول

ضحكة أخرى أكثر حدة . وبدا حنا مزهوا . عاد حسين يقول بلسان شديسه الثقبل :

ـ اننى . . اعلىق . .

وفقد القدرة على الكلام، اخذ يفلق عينيه بقوة ، شادا راسسه للاسام ، دون أن يجهد كلماته ، فبأن كأنه يعادك ذاته ، محاولاسحب رأسه من لباس ضيق ، وفاروق بلهجته الطنانة ،الساخرة،يقول:

ـ انهب . ، انهب . ، اجرع سمومك . . انهب . .

دون أن يحصل حسين على كلمانه . الا أنه اهتز مرة واحده ، وراح يستنم . فلت لذاروق بلهجتي الودية :

ـ دعه وشانه یا فاروق .

فاتسعت عينا فاروق رغم ضعف طبيعتهما من جراء عدست النظارة ، واكتفى بأن رفع حاجبيه ، وعاد فخفضهما ، مستجيبا ، ولكن ، ليس مقتنعا .

قال نديم على طريقت الاحتفالية:

_ يوم تأخذ الدكتوراه يا حنا ، سنرفعك على الاكتاف وسنرفص بك . اذا أردت ان نعبك بك دبكنا ، وسنغني معا : عريسنا زين الشباب، الصد ، دكتورنا إ

انطلق حنا يضحك مفتونا من جديد ، لكنعصام قطعه :

ـ يجب ان تتوفف والا هرب زبائن المقهى . ضحكة كهذه كارثة ! قفز حنا في جلسته ، دراح يلو ح بيديه ، وهو يحرك داسه يمنت ويسرة بايفاع سيهفوني .

لله سبق واطراني صاحب القهى ،قال لي: لك ضحكة تعدي !
وعاد يضحك بقوة من جراء ((الاطراء)) ، ونعن تبتسم مناجله.
عما قريبه ، سيصبح حنا دكتور دولة . دكتوراه دولة في العلسفة .
ثلاثة عشر عاما في باريس . لكنه قضى زمنا في الكونفو خلالها .
استاذ جامعة . اسناذ للزنجيات ((البرجوازيات)) دوات النهسود
المارية . كان يعطي دروسا حول الحرية والجنس والادب الفرنسي.
كان ذلك من اجل دولارات الكونفو . متى صنع ثروته الصغيرة ، عاد الى باريس . متى ضاعت ثروته الصغيرة ،

ـ هل تلمب دورا ؟

مخاطبا عصام .

ت على حسابسك ؟ `

كان حنا قد وضع فرنكا في ماكينة الد « فليبر » .

.. اللعبة الاولى على حسابي .

وضغط زر العداد ، فأخلت الاعداد في حفر الواجهة الامامية ذات الصور الكهربائيسة الملونة تتقهقر بوقع صاخب .

قال عصام بدهاء ،وهو يحدد النظر في عينيه:

ـ ليكن ما بيننا رهانا .

قلف حنيا الكبرة:

- _ انسى العداك .
 - _ على ماذا ؟
- أن أتيت برقم أكبر ، ستكون اللعبة القادمة على حسابي .

وراح يقفر كلما ففرت الطابة الى أعلى ,كانت قد بدات رفصته، زنجي ابيض يرقص في الدغل! ان قامة حنا القصيرة ، الماتنة نوعا ما ، تغري باللمس ، أحيانا ، يرفعها بين الاصابع ، ويقذفها من يد ليد ، شعره الخفيف على جبهته ، المساقط حتى كتفيه ، يبعث الرغبة في شدة ، وحركة راسه ذات الايفاع ، يمنة ويسرة ، مع طابة اللعب، الى جانب حديثه مع الطابة نفسها وتعليقاته عليها .

(يلمن دينك! اصعدي فوق! ادخلي في الخزق! لا تهبطي !
 بعنف! سأخبطك بعنف! المنف الثوري! يا شر ...! لا تذهبي يا
 بنت الكلب! » كل هــذا ،كان يجعل من حنا تموذجا كاريكاتوريا فريدا.

صيحات تشجيع من حوله . نديم وعصام وحسين وزبائن اخرون. وهو يتقاذف نفسه مع الطابة ، بينما العداد يرتفع باستمراد ، السي ان سقطت الطابة الفضية في الحفرة السفلي .

صيحة ماساوية: _ يلمن دينك!

_ هكذا اضعتها!

اجاب وهو ينتفض من شدة الحنق:

_ الم تر كيف خدعتني وذهبت ؟! يلعن سماها !

ازاحه عصام بيد عارفة:

۔ ابعد مین هشا . و

وهو يمهد لنفسه التعوق عليه:

ـ ساريك كيف يكون اللعب .

قدف الطابة ، فضربت في الاعلى على الجانبين ، ما لبثت ان دخلت في المر المضيء ، وراحت تهبط ، لا تلبث ان تقنفها يد الى اعلى ، فتدخل في ذات المر، وفي كل مرة يسجل لله المداد مئة .

ــ فيرية معليم !"

.. سيهزمك من الجولة الاولى!

ـ سنړي . لا تنسي . انظر . حصيلتي جيـده . الف وخمسدئة وخمسسون .

- سيهزمك من الجولة الاولى!

ـ انه يلمب كعاهرة صغيرة!

ضربة ، ضربتان ، ثلاث .. واخذ عصام يصيح بنديم :

_ ابعد عني يا عاهر!

واضاع الطابعة.

دوت ضحكة حنا المغتونة ، وفغز كالغضنفر امام الطاولة ، وهسو يبالسغ في رفع ذراعيه بطريقة بطولية ،قبل ان يقذف الطابة .

_ اترى ؟ ماذا قلت لك ؟ سأهزم جده !

وعصام في اندفاع هجومي تجاه نديم ، الذي قفر بين طاولتين ، بعد ان كاد يسقط كرسيا ،

_ هذا بسببك لقد لصقت بسي .

_ لصقت بك ! فل انى اترتك !

_ انت تثيرني ايها العاهر الصغير!

- انظر .. انظر اليه (يقصد .،) انه يهنز .

وينفجران ضحكا . مع سماعهما لتقدم حنا المستمر على لسان حسين المسكور ، احاطاه بنوع من الحماس اللاشعوري . كأن حسين يتابع الطابة والمداد في آن واحد ، منحرفا آنى الامام بهيئة اهنمام ساحق . مراسل اذاعي ! وها هو ينقل مأخوذا الرقم الاخير :

- ۲۱۰، ۲۱۰، ۲۱۰، ۲۳۰، برافو، ۲۳۰۰، ۲۳۷۰.

وفقد حنا توازنه ، كان يصرخ ويجدف ويضحك ويهنز كانثى نكابد اللذة ،كل هددا في آن واحد .

الى جانبي عادل ، اعتمد بمرفقه الطاولة ، وابتسم . لا بسد ان يبتسم اولا ، فبل ان يقول شبيئا . سالني :

- بما**نا** تفكس ؟

رفعت حاجبي ، فوقعت على فاروق ، ابتسم فاروق ، وقال بلهجة مديدة لا تنم عن رضاد :

ــ انهم يلمسون !

حينما التفتئا ، كإن حسين يضحك دون صوت ، وهو يفرفص هالكا لعدم تمالكه ذائمه .

ردد عادل دون آن تخبو بسمته :

- انهم يلمبون !

وكان لصوته اثر في نفسي ، ثم ابتسم هذه المرة بسمة واسعة. لحظتها سقط حسين على الارض وراح يتلوى كالقبيح. وكان نديم قسد حمل حنا بيسن ذراعيه وراح يتقاذفه الى اعلى ، وحنا يقهقه ،ولحظة ان اعاده على الارض ، لاحظ أن عصام يتقدم ، فشلتت اساريره بدايات الهزامة . لهذا كاد حسين ان يموت من الفسعك .

قلت :

ـ حسين يشرب الخمر بكثرة هذه الايام .

علق عادل:

ـ كي يتلوى من الضحسك !

قال فساروق :

- سيكون من الافضل ..

يد سقطت على كتفه: نديم يضحك بقوة دون أن يكبع جماحذاته، كان يبدو عليه السكر من أثر الضحك:

برانظر ! انظير !

مشيرا الى حسيسن

قال فاروق ببرود ازعج نديم:

ـ. انـه سكـران ا

ارتفع حسين رويدا ، رويدا ، ورهى نفسه على حافة الباد . قال لاهشها :

ب واحبد بيبرة .

فتقعمت منه الساقية ببطء:

قال نديم:

ـ انه « فرانكو » ، هذا من شأن « فرانكو » .

تم اضاف :

ب لو كنت عاشقا لعرف ، لقد هجرته اسبانيا ، اقصد حبيبته الاسبائية !

مع حسين ، لا يحتاجك ان تكون عاشقا كي نعرف ، كلنا على علم بالامر ، اخبرنا واحدا واحدا كل على حدة ، لا ترفع صوتك ،

ـ لاذا لا أرفع صوتى ؟

. 'هذه المرة سياتي ليرؤي ((حكايته)) على مسامع التجميع .

... فليروها ، سنتسلى قليسلا ،

.. لا ، اما انا ، فيلا أربيد أن السلى لا قليلا ولا كثيرا ، انهذا يسبب الحيض للرجيل !

لكن نديم صاح بحسين :

- اسبانيا ! تحيا اسبانيا !

_ اترید استازازه ؟

التفت حسين بوجه متلوح ،وقد ضجت في اننه الكلمة ، دب نحونا كالجمل المجوز ،ما لبث ان مط شفنيه ، وراح بهتف بلسان

مخملور .

_ تحيا اسبانيا!

فال عصام بلهجة منتصرة .

_ ضع فرنكا ايها الهزوم!

بينما داح حنا يبحث في جيوبه منكسرا ،وفد حصده الحزن.

- كيف استطعتها! أيها الملعون!

ارتخى حسين على كنفي فاروق متهالكا ، فرفع فاروق اصبعا محندا:

ـ أياك أن تفوه بحرك !

اعتمل بصعوبة وهو يجمع يديه من حوله ، ما لبث أن القسسى ذراعا ورفع اخرى في اتجاه امراة تعبر بخطوات سريعة من وراء السزجساج :

ـ هذه لك يا فاروق .

ـ لى! من طلب منك أن تبحث لى عن وأحدة!

ـ ضيب! اذن ، هذه لي .

_ هذا شانك .

- انظر! ردفيها!

بدل خطوات متارجحه ، عندماً وقع بصره على ، أبسيم باطباب، ورجسانسي:

_ اشرب كأسا على حسابي .

شكرته ، فلاحت الخيبة في عينيه .

قال لنا حنا:

_ طيب ، مع السلامة، حان وفت العمل .

سأله عصام مصطنعا الدهشة:

ـ اي عمـل ؟!

فابط محفظته ، وضربها بكفه ضربتين :

- الى العمل!

يقصد عمله من أجل الدكتوراه .

قال عصام متجاهلا قصسته :

_ ضم فرنكا آخر ، لفد غليتك ايضا هذه المرة .

فاطلق حنا ضحكة ثاقبة:

_ شليت عرضي !

جذبه من ذراعه:

- ضم فرنكا آخر ، وابدأ اللعب ..

تدخل نديم:

ـ دع الدكتور يذهب ليكتب رسالته .

مخاطبا عصام بلهجة ممازحة . اضاف :

ـ انه رجل فكي ،انسان فيلسوف ، مواعيده دقيقة ، واوقاله نميئة ، انسان منظم وليس تنبلا مثلك ا

اطلق حنا هذه المرة ، ذات الضحكة الرنانة ، ضحكته المعدية :

- أنت وحدك من يفهمنس .

تقدم عصام بخطوات رصيئة ،وهو يرفع اصبعا مهددا في وجهنديم:

- لا تقل عنى تنبلا! لست تنبلا!

كان جادا . لكنه انار انفعاله :

ـ انت تنبل! لا تتقين غير لعبة الفليبر حتى اخذت فيهسيا البطولة ! دع حنا ينهب ليندس . اذهب يا حنا ، واكنب جيا ، ولكن ، لا تسهر كثيرا ، سنسبب الاذي لعينيك !

وكانه عكف عن مغادرةالقهي ، ركز يديه على ظهر الكرسي ، وفال

بهيئة غائبة بعض الشيء:

ـ لا استطيع الا أن أسهر. يجب أن أعمل عشر ساعات على الاقل

في اليوم. بالامس مثلا ، لم اشمر بالوقت كيف مضى حتى المساح وقد كان ذلك بسبب مرور سيارات جمع الفمامة .

قال عادل:

- تعمل كثيرا!

قال فساروق:

سهذا كثير! (ثم اضاف:) حاذر الا تصبح اعمى يوم حصولك على الدكتوراه ، على الإدل ، كي ترى بأم عينك درجة الشرف السي ستزين شهاداك .

صححه حنا بدافع من جنون العظمة:

_ درجة الشرف الاولى!

ـ اذا اردت .

ـ لدى مشروع رواية (وجته حديثه لي :) نحسن نسمى مجموعة القصاصين بلا شهرة! (اختصر ضحكة) بعبد روايتي التي طبعتها. على حسابي سنه ٦٥ ، كنبت روايسة اخرى ، لكني لم أنهها لليوم ، يجب أن أعيدها . لفعد عهدت لاحدهم ترجعة روايني الأولى ، كسسى اطبعها هنا ، ليس لاني عاجز عن ترجمتها ، ولكن ، بسبب ضيسف الوقت ، حا بحاج الى نطوير ، لكنهسا جيدة ، هنسي في وصعهسا الحالي ، ننت قد صممت على الا أنشم أنناجا طالما بقيت حيا . ان شهرة عظماء الفكر لا بأني ألا بعد مهانهم ، يكتشفهم النقاد والفراء، فمصبح اعمالهم غذاء دائما للبشرية .

ابنسامة منهكمة طبعت شفتي فاروق:

- لا داعي لان يموت الكاتب او يفتل نفسه ، كي يكتشفه الناهد . الاصالة في الانتاج ، سواء أكسان الكانب حيا ام ميتا!

احتدت لهجة حنا:

ساعلى ألعكس! موت الكاتب يضاعف من « معنويه » الاصالة التي تبكلم عنها ، هنا يمكن للكلمة المأساوية ان نصل بعدها الرابع ، دون النظر الى المقاييس المادية للاثر الادبي .

- تقصد أن هالة الموت أساس لتقييم أعمال الكانب المتوفى رحمية الليه!

_ ليس نهاما ، اذ يجب ان تكون اعمالا جيده ، متعوبا عليها علمی ای حال .

طالما هي جيدة ومتعوب عليها ، اذن لماذا يخزنها الكانب كي تفراها الصراصير ، منتظرا مماته ؟ لينشرها ،كسى تقرأها نحن ،

نفخ: - لا نريسه ان تفهمنسي !

والتفت نحوي بوجه مبتهل لا فكأنه يطلب مؤازرتي:

- على كل حال هذه امور لا يفهدها الا كتاب فيما بينهم . وضحك ، هذه المرة ، دون رعود .

سأله عسادل:

- لماذا لا تكتب الفصة الفصيرة ؟

_ لیست حقلبی .

_ ومفالات ؟ لنفل ، مقالات فلسغية .

ـ هذا يتوفف .

_ على ماذا ؟

ـ على كم تدفع الجريدة او المجلة . افلمن الف فرنك للمقالة الواحسة لا اقسل .

- من اجل مقال فلسفى ! (مندهشا) لا يوجد من يدفع مبلفا كهذا . أنت تبالسغ !

- الذ ، لن اكتب .

ثم اضاف ونصفه الاعلى ينكب للامام:

- في الكونغو ، وصل راتبي الشهري الى الف دولاد ، انسمع؟ لكنب قذفتها باصبعقدمي الصغير ونركت ، رغم أن دكنورا، الدوله لـم تكـن فـي جيبي .

قال له عصام:

- كنت تريد أن تذهب ، فقطعت علينا اللعبة ، والان ...

لكن حنا لم يعره اهتماما . راح يقول كأنه يقرأ علينا قطعة املاء:

ـ اذا عدت لبيروت ، طلبت ثلاثة الاف ليرة ، ليرة تنكع ليرة، والا ، فضلت القعود في النار . سأستمع الى الموسيفي ،وسأكتب قصصا وروايات . ثلاثة الاف ليرة ، لا اكثر ولا اقسل .وفي النهايسة سيأتون لي ، انا اعرف ، ليبوسواااصبع قلعي الصغير . اذكر ذلك . ثم ، لا تنس انني ((متلبتن))، اي ، لي كائة الحقوق، وساشخ عليهم. اعاد عصام بشيء من الالحاح:

- اين الذي يريد ان يذهب ؟ تعال ، هذا الدور على حسابي ، ساضيع فرنكيا .

. W. mitay . Y -

دون ان يرفع عينيه عن عادل . في النهاية ، قال :

ـ اذكر ذليك .

وكأنه يضع رهانا . ناداه عصام :

ـ تصال .

واتجه صوب الماكينة .

لكن حنا راح يشد شعره عند الفرق حتى آخره ، وينشره ، وقد بدا عليه التأمل:

ـ لدي مشاريع عديدة . متى فرغت من شهادى كنيت . ريمـا كنبت هذه الايام(رمى نظرة استعطافية نحوي) فانت لا تدري . ليست مشكلية الهام ، وانميا الراحة النفسية .

عاد عصام وارتمى على الكرسي بعد أن يسس تماما:

_ مالها راحتك النفسية ؟

لكن حنسا ضحك . قال فاروق :

- ان حنا يتكلم عن راحته النفسية ، لانه مفكر وادب . من يكتب يبحث عن راحته النفسية ، اليس كذلك يا حنا ؟

وفاروق يدفع نظارته باصبعه ، بعد أن خفقه الاحمرار . ولسم تتمالك ذاته ، ضحك لضحكة نديم ، فسقط القناع عن وجهه . اخذ نديم يده ، وضرب كفا بكف ، وهو يتجاذبه:

.. يا ليك من افاق!

ولكى يمحو سوء الظن من صدر الرجل ، راح برسل ضحكنه على دفعيات:

- لا أعاق ولا يعملون! لقد فهمنى حنا ، ومها فصد به لا بمت الى الافق بصلة . ثم دفع رأسه للوراء ، واتخذ طابعه الجدي . قال ني حنا بتادب كبيس :

_ هل تأتي قليلا ?

نهضت ، وصاحبته الى خارج القهى ... ضباب .باريسضباب. على صفحية الرصيف شتاء .وهو يجمع مطفه حول عنفه ، قال:

ـ ما كان لي ان اخرجك في البرد . هل ممك .ه فرنكا ؟ تناولت محفظتي واعطيته .

ـ ساردها لك خلال يومين . بعثت يرفية لبيروت . لا اعسرف ماذا جرى لاهلب ! تأخروا على هذا الشهر . على أي حال تكسون البرقية قد وصلتهم ، وها أنذا الان في الانتظار . مثلما قلت لك ، ساردها للك خلال يومين ، هذا أذا تأخروا . أنه شيك ـ برقبة ، وهنو سرينغ .

_ بسيطـة ،

ودهب .

وأنا داخل ، تلقفني حسين:

- اشرب كأسا على حسابسي . وهو يسرنسح . فلت له مره اخرى : - لا ، اشكرك .

راح حسين يدلي الايمان الفليظة كي اشرب كاسا على حسابه. فكردت اعتذاري بلطف:

- المرة الفائمة منشرب كأسا على حسابي أنا .

تركني ، ونكوم مهموما فوق البار . سمعته يهمهم لنفسه :

- لا يريدون ان بشربوا كأسا على حسابي !

رأيته يرفع رأسا منهاويا ، ما لبت ان نفدم من احدهم هناك ، في اقصى البار ، وبدأ يتكلم اليه بتعطع ، ولكن ، دون توقف ،والاخر يصغبي دون اهتمام ، هازا رأسمه على التوالي .

قال نديم بهيئة طفل ماكر:

ساحسين يحكي قصمه مع ((فرانكو)) لكل الناس .

أطلق عصام ضحكة ((فلاش)):

ـ بموت وبحيا وهو يفكسر ب ...!

تدخل فاروق بفالب كيس:

- ابركوا الناس في حالها!

مفاجأه لعصبام:

_ وماذا فلنا ؟! الذي فلناه ، انه يموت ويحيا وهو يفكر ب. . . !

_ وأنت ؟

_ آنيا ماڌا ؟

ـ الا تفكر به ٠٠٠

. 7 -

ـ من اجل ذلك سبع سنوات وأنت في باريس ، سنة اولى ، و، « ادب عربي » ،دون نجاح ! كم من كلية بدلت لحد الان ؟

انفجر نديم ضاحكا:

_ ارايت لماذا دعوتك بالتشبل ؟

حغر جبينه الغشل ، وتردد قبل أن يقول:

- اسمعوا ، يجب أن أنجع السئة .

فال فاروق بصيفة قطع :

_ ولم لا ؟ لست افل ذكاء من الناس الذين ينجحون .الكلينجع. دفع نديم ظهره الى الوراء ،وهو ببدي تفوقه:

_ بشرط أن تداوم على الحضور يوميا ، يجب أن يعرفك الاساطة (النف تحمو عادل) تعمور أنه أتى يعضر درس ال المنهجية)) بمالامس فقط ، منذ بداية السنة الجامعية، فحسبه الاستاذ مراقب شرف!

قال عادل وهسو يقضم ضحكنه:

له هیشة مراقب شرف ، الرفیق عصام !

_ ارأيت ؟

قلت له ، وانا افصد رثاءه :

- أضعت نفسك بنفسك ! يا مسكين !

مدخل فاروق بسرعة : - لم يضع الشيء الكثبي بعد . قليل من الارادة (ما لبت أن توجه بحديثه لعصام لائماً :) لو سممت كلامي منذ البدايسة وسجلت معسي في ((جوسيو))، لكان معك دباومك اليوم .

دفع رأسيه للوراء:

_ لا احب الرياضيات (ما لبث أن أضاف ببسمة خفيفة وهو معجب مسن امره:) مع اني كنت طوال عمري الاول في الرياضيات!

قلت له : _ كل شيء يتبدل ...

ارتفع نديم في جلسته وهبط فبل ان عول :

_ الكل يتبدل الاحنا . لديه مشروع رواية باستمراد! (واطلق ضحكة مستغزة) قال له عصام بلهجه ممازحة : .. اخرس ! لا تتكلم

عن حنا! أنه روائي وفيلسوف وهو طيب اكثر منك ، فأين انت من صفاته ؟

اذا بندیم ینفج ضاحکه من جدید ، دون ان یثیرنا ذلك . راح یقول ، وضحکته تمنع کلماته :

- طبع داراية على حسابه سنة ٦٥ ، فكان قارئها الوحيد ! ثم همهم بنفس منقطع :

_ وشاريها الوحيد!

قال فاروق مستهجنا طريقته في طرح الامور:

_ وماذا في هذا من عيب ؟

- الميب أنه قد تكلف طباعتها مرتين ، فهم لم يحاسبوه حتى اليوم. فليل من الضجيج ، وسقطنا في الصمت .

فجأة قال عادل:

ـ هذا اسماعيس .

سيارته ذات الحصانين توقفت منذ قليل . كانت المتهة فد بدات تتساقط مع الضباب ، وفي الخارج ، حركة موظفي السباعة الخامسة: انه موعد انتهاء العمل . ضرب باب سيارته ، شم اخفاه زوج متابطا اللراع ، ما لبثنا ان رأيناه يتقدم ، صحبة مصطفى .

حيتًانا اسماعيل بهذه القنبلة:

س اسمعوا يا شباب ، الاحوال خطيرة!

!? I3la _

لقد استدعائي البوليس!

دراما . عادته . جنب نفسه فوق كرسي ، واطلق نفسا . مسدد قعميه ، واطلق نفسا آخس . أعساد :

_ الاحوال خطيرة!

وهو ذائغ البصر . قال عصام منفعلا:

_ ماذا هناك ؟ اوضع !

كان مصطفى قد سلم علينا واحدا واحدا ، بابتسامته الوجزة ، المعاثمة على فمه ، وصوته الذي يتصنع الرجولة: « كيف حالكم ية شباب ؟ ماشى الحال ؟ معسان ﴾

التفت اسماعيل بمنة ، ثم يسرة ، فلفتت انتباهي لحية البوذي التي له ، ما لبث ان الصق ذقته في صدره ،ونفخ :

- لا استطيع ان اتكلم .

نبر عصام:

ـ هذه تسمى ولنفات الان! واحد من اثنين ، امـا ان تحكي او ان تحكي او ان تذهب من حيث أتيـت .والاءلم كل هذه القدمـات والحركــات والكهات طالـاً لا تربـد أن تحكــي ؟

ـ قلت لكم هذا القهى ملغوم ، مقهى مخابرات سرية ، وحلرتكم من الجلوس فيه، لكنكسم تصرون على ذلك ، وكان باريس بطولها وعرضها انعدمت من القاهمي .

بصبر : وبعديسن ؟

ـ وبعدين ؟ انظر هناك ، على يمينك ، الرُجِل السلاي يقسرا العريدة . اؤكـد لـك انسه بوليس ، ومسا يعريك انه صهيوني . منذ منسى وهو هنسا ؟

قال عادل مهتما :

_ منذ ان انينا .

قفز اسماعيل:

- ألم أقل لكم ؟ أنه يتصانع قراءة الجريلة ، بينمنا هو يصفى لننا . شكله يقول أننه يعرف العربينة أكثر منك .

تجعد جبين عصام ، وحصلت في عينيه الخضراوين عاصفة من حشيش . لكنه قال بهدوه ، مركزا نطق كلهاته :

- كلامك عجيب! وماذا لو استمع الينا ؟ فليستمع الينا مسا شساء لسه . لسنا زمرة قطاع طرق ، نحسن اناس على قد حالنا ، لا نبحث عسن الشاكل ، ولسنا فد المشاكل . اما أنست ، فربما كنت خطيرا لدرجسة تدعوك لكل هذا الحذر .

ـ أنا خطيس !

قالها بحزن ، بمتاب وحزن .

تدخل نديم بهرج:

ـ أنت خلير وخطير جدا !

وانفجر ضاحكا .

قلت لهــم :

ما لكم والرجل ؟ لا داعي لان يكون المره خطيرا كي يتعلم الخطر، ان التحدّر مطلوب على اي حال، وربما كانت لديه اسبابه .

ما لبت فاروق أن قال مشيرا نحبو الرجل الذي غادر المقهى:

- لا ترتعد فرائصك .لقد ذهب الرجل .

فقلد عصام ضحكة عاهر ، ضحك على اثرها الجميع ، حتـــى اسماعيل . عاد يبحث ويبحث ، كاته يريد ان يجد ما يعوض ذاته :

ـ وما يدريكم أن هؤلاء التوانسة الإبالسة الذين من حيولكم ليسبوا مغايرات ؟

> اطلفنا ضحكة واحدة معا . تقدم على اثرها حسين : ـ تضحكون ؟ اضحكونا معكم ! كيف حالك يا رئيس ! موجها خديثه لاسماعيل .

> > ــ رئيس !

- الم تصبح زعيما بعد ؟

توجه لسؤالي:

- اهو سكران ؟

قلت له:

- أنت زعيم هذه الايام ، زعيم بحق ، الجميع بقولون ذلك .

- لماذا ؟ اللبه يسامحكم !

صاحب علاقات ! واذا اراد احمهم أن يراك تقدم اليكبطلب،
 ولماذا ؟ لكي يحدد موعدا أولا ، ثميمه ذلك ، ليلقاك .

داح يطبطب بيده على ظهري مستلطفا:

_ الله يسامحك !

۔ متی تسرالہ ؟

_ متى شئت . (وفتع مذكرته)

_ ارايت ؟ (وانا اشير الى اللكرة)

_ مواعيدي كثيرة ، ماذا افعل ؟ اذا لسم استجلها ، ضاعت . لا يعنى فلسك انى لست لك كل يوم . الاثنين القادم ، ما رايك ؟

- اليوم الاربصاء .

ـ اذا اردت التقينا غدا الخميس ، عندي ساعـة ، بل ساعـة ونصف للقائك ، بين الحادية عشرة والثانية عشرة والنصف .

_ لا ، اغضل الاثنين القادم . اترك لنا وفتا كافيا .

_ طيب . ما رأيك في مقهى ال (اسكولية) ، ساحة السوربون، الساعة الثانية عشرة .

ساكسون قريبا من مقهى (الكاروس) .

_ طيب في (الكاروس)، انفقنا .

لا أدري لماذا أخفت موعداً من أسماعيل ! ولاي موضوع اسمعت عصام يهمهم لمبادل :

> ... هذا الولد ، لم اعد اعرف كيف يتصرف هذا الولد! قال اسماعيل بطريقة عشائرية :

ـ أنت صديقي منذ سنين ، ولا اعرف كيف الصرف أنها! كيف الذن اسمك صديقي !

- قلت لم أعد أعرف ، وليس لا أعرف . كنت قد فتحتموضوعا، وجعلتنا جميعا نصغي اليك ، ثم بدلته بطريفتك الدرامية ، وشعبه . اذا ليم يكن قصدك أن تقوله ، فلمناذا اول منها دخلت ،ضربتنا قنبلة كهنده ؟!

.. ترید ان احکی ؟ اسمع ..

جنب لحيته مرتين ، وسكت . التفت من حوله ، وفتع فمسه ليقول ، الا انه توقف عند تدخل السافية :

- ماذا تريدون ان تشربوا ؟

رفع عصام بده الى رأسه ، وبدا عليه الانزعاج . نفخ عادل . قال اسماعيل:

_ بالون ليمونادة .

- و ... السيد ؟ (متوجهة لمصطفى)

لكنه عاد يؤكد:

- مثلما قلت لك ، بالون ليمونادة ، لم اطلب كأسا ،هل فهمت؟ ۔ فهمت جیسدا .

وغمزني . والساقية تقول لمطغى :

ـ لم يقل السيد ماذا يريد ؟ قال مصطفى :

بيبرة .

تدخل حسين :

- اجعلهما اثنين . عجل مصطفى القول:

۔ اثنان بیسرة .

انفتلت الساقية باتجاه الباد . جر حسين كرسيا ، وتهالك جاتب مصطفى . نفخ في وجهه خمرا ، فتقلصت تقاطيمه .

_ انت سكران ؟

ـ لا (وتجشأ) لدى شيء اقوله لك .

توجه لي اسماعيل بيسمة متخابثة:

- ثمن كأس الليمونادة يساوي الضمف ، مع ان محنوى البالون لا يقسل عنه كثيرا!

والكركر ضاحكا . قال فاروق ، وهو ينحني الى جانب ، كسى يقترب اكثر ما يكون من اسماعيل:

_ قل لنا ، ماذا عندك من حكايات غريبة ؟

انتظر اسماعيل لحظمة قبل أن يتكلم ، ثم قال ، بطريقة اذاعية :

... ثم تكن عملية استنطاق بقدر ما كانت عملية استفزاز دنبشية ، والاخطر من ذلك أنه تم ذكر بعض الاسماء . وحاول البوليس أن ياخذ مني بعض الملومات ، حتى الملومات الشخصية ، بعبد أن الرهمنسي انه على علم بها (التقت نحسو عصام وركز عليه نظرته :) هذه امسور ليست بالخطيرة يا اخ ! اتظن ذلك ! (ثم أضاف بطريقة بوليسية .) هناك من ينقل اخبارنا ، خصوصياتنا الدقيقة ، انه واحد قريب من الجميع .واحد منا ، اتفهم ؟ (لسم يزح عينيه عن عصام طول الوقت :) اتريدني بعد هذا أن اطمئن لخيالي ? بعدما خرجت ، صرت أشك في الجميع ، الملاك عندي شيطان ، صرت أشك في نفسي .

سال عصسام:

_ اسماء من ذكسروا ؟

... لا داعي لاعادة ذكرها الان .

اخذ نديم يشتم ويبصق .

قال فاروق:

... وغير الملومات االشخصية ؟

انفجس نديم:

ـ هناك جواسيس منا! جواسيس يقبضون ا

قلت لنديم بدهشة:

- غريب أمراد ، من يسمعك يظن أننا عصابة قتلة ، لنا أسرارنا. والجواسيس من حولنها بالعزينات ، كل يحاول أن يقتنص لنفسه سرا ليحوز على (ميدالياه)!

صاح بي نديم ،وهـو يلتفت دوما نحو اسماعيل:

- انت لا تعمل سياسيا ! اما غيرك ، فيعمل سياسيا ! أفجعنسي:

وما الجريمة في ذلك ؟ العمل السياسي لا يعني وضعك في القفص. قال عادل:

_ المطلوب أن نفهم ممنى العمل السياسي : كيف ولماذا ومع من ؟ اذا باسماعيل يقول:

- طلبوا مني ان آحد من تحركاتي ، وقالوا لي اني اثير شبهسة الجميسع .

اعاد عصام بشيء من العهشة :

ب تحركاتيك!

ورمى فاروق كلماته:

ـ انت تتحرك كالدجاجة فوق البدر ، اغبياء هم لدرجة انهسم لا بعرضون هسذا ؟

عتب عليه:

_ ليس هــذا وفت المزاح يا فاروق !

انفعل فساروق:

لا . بجد . هل صحيح ما نقوله ؟ البوليس غبي لدرجسة انسه لا . يغهم تحركاتيك ؟

نبر اسماعیل بعد آن احس نفسه « مجروحا »في صمیمه :

_ كن مكاني ، واعمل ما اعمله ، تكون ((القضية)) لك شاكرة. نصف ضحكة ، ثم قال عادل بتهكم:

- الانصال باجنحة اليسار المتطرف يحدم ((القضية)) برأيك ، اليس كذلك ؟ كفيي عمياء وغباء . هكذا ، أنت تفرغ « القضيسة » من محتواهسا الثوري!

- اعرف ماذا تمنى ؟ تربد الاتصال بالحزب الشبوعي ، والحزب الشيوعي فقط ، اهذا ما تعنيبه ؟

_ ليس أنت، على مستواك الفردي . يكون دائما باي الاحوال لو حصل واتصلت بالحزب الشيوعي فرديا ، فهم أن يقفلوا ابوابهم في وجهك ، ولكن ، المطلوب الاتصال بالشيوعيين على اساس تنظيمي . أنهم القوة الوحيدة ، التي يمكن أن تدعمك وتدعم قضيتك وقضيتنا جميما بشكسل ايجابي وتام ، والقاعدة الاكبر اتساعا التي يمكن أن تغذي من خلالها شرعيسة القضية لتنطلق بعدها الى الاعم والاشمل المتمثل في مجمسوع الجمهور الفرنسي ثم الاوربي .

قال اسماعيل وانفه بضيق وينسع لانفعاله:

_ اعلمك أن اصدقاءك الشيوعيين لا يسمعون لنا .

قاطعه محتدا:

_ لا يسمعون لك أنت ، طالما ترفع وتداوع عن شمارات بسسارك الطفواسي .

استمر اسماعيل يقول ، دون ان يطرأ تغيير على لهجنه :

- كنا قد انصلنا بهم ، لكنهم لم يقفلوا الباب في وجهنا فقط ، بل وطردونا . قل لسي بالله عليك ، مع من تريسنا أن نعمل والمغروض علينا أن نكون سغراء لقضيتنا ،نعرف بهسا ، ونكسب من أجلها الإصعاد .

قال فاروق وهو يدفع نظارته باستمراد ، مستنبطا كلماته :

ثم ابتسم له عن عمد ، بسمة صفراء .

تجاهله اسماعيل: ـ تكنكم تنسون ، هناك اختلاف مبدئي بيننا وبينهم . شرخ هائل بيننا وبينهم .

قال عادل بلهجة رادعة:

... اوقف اسطوانتك! اعرف ماذا تقصد بالاختلاف المبدئي .

لقد تكلمت عن الاصدقاء منذ قليل ، الاصدقاء الحقيقيين االذين يمكن ان يخدموا القضيمة والثورة ، واتا اقول لك أن الحزب الشيوعمي الغرنسي _ بغض النظر عن « اختلافاتك » المبدئية معه _ الوحيد الذي يمكننا التعاون مسعه الى جانب حلفائنا الاسترانيجيين الذيسس لهسم مصلحة بالنضال من اجل الاهداف التي تناضل القاومة لتحقيقها . يجب ان تفهم بأن المقاومة جزء من الثورة العالمية ، وان حلفاءها الاستراتيجيين الى جانب حركة النحرر العالي: العول الاشتراكيسة ، والطبقة العالمية العاملة . كفي ، لا تتخبط يسارا ويمينا!

كان فاروق طوال حديث عادل يصغى بانتياه شديد ، وقد بدا اتفاقه معه من خلال همهماته الدائمة المتواصلة . قال اسماعيل محاولا ان يكبح جماح هیجته:

- سأقول لك ، انني مع من يرفع شعارا الى جانبي الان ،وليس غدا . مع من يتظاهر من اجلى تحت عصا القمع ، ويهتف فلسطين ستنتصر ،على مسمع الجميع ، وفي وسط السان ميشيل . مع من يكتب في ((لوموند)) وردا بسطرين على الاقل ، يفند فيه زعما صهيونيا ، ويظهر مأساة بلادي . انني ابن وقتى ، يجب ان اشتفل آلان باي شكل من الاشكال ، والا مت غدا بغيظي .

ضجة . قطعها عادل :

- هذه هي ازمتنا! في فهمنا للبعد الطبقي العالى والعربسي للمقاومة ، ننطلق من انفعالنا الوطني . الثورة ليست انغمالا وطنيسا ، ليست ربطسا عاطفيا بينها وبين الجماهير ، بينها وبين حلفائهسا الاستراتيجيين ، وانها ربطا علميا ، دون الانفصال عن القضايسا اليومية اللحة التي تميشها الجماهير ، كذلك دون تحول الملاقة السي تربطنسا مع حلفائنا الاستراتيجيين الى علاقمة مثالية . تجمعنا وحدة الهدف ووحدة المصير ، يجمعنا وجودنا مصا في خندق واحد ، نناضل ضد الصبكر الأمبريالسي .

- ... والمسكر الاخر ?
- ـ ماذا تقصد بالمسكر الاخر؟

ـ يجب أن تقول أن هناك قوتين تتحكم في موازين القوى عاليا، احدى هاتين القوتين الاتحاد السوفياتي ،وهو ، وان كان يمثل الثقيل الاكبر في المسكر الاشتراكي الا انه يعمل لا من اجل مصلحتسك او مصلحتي ومصالح الشموب الصغيرة التي في مراحل النضال ، وانما حسبها تقتضيه مصلحته ومصلحته فقط ، منسترا وراء مقولة التعايش السلمي ، التي يطرحها من وقت لاخر ، كلما اسقط يده من قضية، او تنكسر لاخرى . أن لسلبيات الاتحاد السوفياتي معادلة من طراز اخرى تضمه في أحد صفوف المسكر الامبريالي، ربما كان الصف المتأخس والاسهل اختفاء من العيسون .

ضجة اخرى! ندخل عادل ، وندخل فاروق ، وتدخيل نديم ، وحسين ، ومصطفى ، وأنا ، لكن صيحة عصام اسكتتنا . ما لبث ان اتانيا صوت السافيية :

- ... الهدود من فضلكم!
 - نبر عصسام:
 - _ أنت تخرأ الان!
- دفع حسين اصبعا تعبا:

قال عصام:

- ان الاتحاد السوفياتي هو طليعة المسكر الاشتراكي مثلما يقول عبادل ، هذا صحيح .

- لم تأت بشيء جديد ، لقد فلت انه يمثل الثقل الاكبر فيي

المسكر الاشتراكس.

- لم اتم . دعني أتم ... (غامت عيناه الحشيشيتان للحظة ، ثم سطع فيهما ضوء أخضر . قال :) للاتحاد السوفياتي وزنه السياسي والمادي والبشري عالميا ، وهسو القوة الوحيدة والكفوءة التي بامكانها أن تردع وتقف في وجه المسكر الامبريائي حائلة دون فرش اصابعه فسى العالم ، وعلى الخصوص ، في المناطق التمسي اسميت اصحابهما بالشموب الصغيرة ، والتسي هي في مراحل النضال الاولى ، ومسن ضعف النظر ، بل أنه من العمى ، أن تضع الاتحاد السوفياني فيصف واحد مع الامبريالية العالمية .هذا ما اردت فوله منذ قلبل ١٠ليس كذلك ؟ امسا اذا اختلفنا معه في بعض النقط ، فنحسن في انفساق معه حول بعض النقط الاخرى . وحتى لو لهم يكن كذلك ، فمن مصلحتنا ان نتفيق معيه ، وليس المكس ،ونحسن نماني من وضعنها الحالسي الامرين . اذا اختلفنا معه حول هجرة البهود السوفيت ، فنحسن نتفق معه حول ازالية الكيان الصهيوني في فلسطين ، وبناء دوليه ديمقراطيسة .

تكلم فاروق بعصبية:

_ تقصد يا سيد أن نلعب كالبهلوانات على جهيع ألحبال ، دون قعر سياسي واضح ؟ أن نخدع الاتحساد السوفياني برمنسه فائلبن، نحين معك ، ولكن في ظهره ، نعمل ضده ! (وعصام يقاطعه منهوك التقاطيع: لم اقصد هذا! لم اقصد هذا!) الامور مبدئية ، وموافف الاتحاد السوفياتي من القضية دوميا مشرفة ، فلنعارف بهذا ، والا ، من انت ؟ وما هي قدراتك ؟ وما هو وزنك ؟ فلتذهب وتحرر اراضيك، الطريق مغتوح ، أن استطمت . لكنَّنا مهرة فقط في القفزيالكلمات! لم يقل لسك الاتحاد السوفياتي مرة ، اقصد في خراك ، ولا تحارب. حارب . اسقط الهياكل الرجمية التميانة ، وحارب ، لقد قدم أسك السلاح ، وسيقدمه لك دومها .

كان اسماعيل ينتظر كلمة ((جوهرة)) كهذه:

- السلاح! من اعطانا السلاح؟ من قدم لنا السلاح؟ الانحساد السوفيساتسي ؟

- ـ اذن من يكون في رأيسك ؟
 - _ الصيبن .
 - صاح حسين من طرف :
 - _ أنت ماوى يا رئيس ؟
 - ضحك نديسم :
- _ لقد عاد حسين الى رشده:
- علق فاروق وهو يضحك أيفسا:
- _ للذا رشده ؟ أكان مجنونا ؟
- .. اقصد ، لا يبدو عليه أنه سكران بعد .

رغم ملاحظة نديم الا ان حسين راح يعارك الكلمةبلسان مثقل:

_ منذ قليل كنت متفقا معك تمام الاتفاق ، اما الان ، طالما انت ماوى ، فانى انقض اتفاقى (التفت لمصطفى فجأة ، وقال مهموما :) انتى لا اطبقهم ، رغم انهم يعملون لبلادهم ليل نهار ، لكنب لا اطبقهم العبينيين .

- .. انه يقول الحقيقة!
 - ثم همد .
- غمزة : ـ هناك سبب .

فراح حسين يخنفر ضحكته :

ـ لا اطبق نساءهم: صفراوات الوجوه ، فصيرات ، يبتسمن بلا سبب باستمراد ، لا أطبق نساءهم .

انتهره فاروق ، فأوقف خنفرته ، وقد عجز ـ هذه المرة ـ عن التصدي لـه . وبقي يفقر فهه .قال فاروق لاسماعيل :

_ هكذا اذن!

ـ الصين هي البلد الوحيد الذي يمديا بالسلاح والمال ويفف الى جانبنا ، على طول الخط ، وقوفا مطلقا ، وبدون شرط ، مثل وقوفه الى جانب العينسام .ان تجربة الصين هي النجربة الاشتراكيسسة الوحيسة التي يجب ان نقتدي بها ...

عدم احدهم منا ، وشعره يسقط على وجهه ، مرددا :

ا مكنا ! مكنا ! - مكنا !

وهو بشد فيضنه في الهواء .

انفجر ندیم بصخب نضحك ، وراح یعلده وهــــو بشد علـی هـ عسـه فیضنـه :

ــ مكذا! مكذا!

ما لبث الرجل أن انحنى بوجهه المبعثر ، وبدأ أنه سكران للجميع. قسال كمن يستعيد حلما:

ـ مليون ونصف شهيد! اتسمع ؟ ولكن ... (غاب للحظات ، ثم نطـق بصعوبــة:) الجزائر اليوم حرة! عروس!

وكأنه يقع على القية لا بريد ضياعها:

_ هناك جبال في فلسطين كجبالنا ، اليس كذلك ؟ احاب نديم هازئا وهو بحاول اخفاء ضحكنه:

- لا توجد في فلسطيان الا الصحراء .

فضرب الرجل قدمه في الارض وراح يشتم ، ثم انفجرت عيناه ، ورانت كيف راحت تنتزع عن خدوده الحمراء ((وطنيته)) الطيبة :

. . حنى ولو كانت صحراء ، ماذا بعني ذلك ! تسلغوا لهبها ،

وقاتلوا .. قاتلوا .. لن تحرر بلادكم الا سواعدكم .

وسألنى بعاطفة بدت لسي صادفة وعفونة:

ـ لديكم السلاح ،اليس كذلك ؟

هززت لـه راسـي .

اعتركت تعابيره للخطة حسبها دهر فتال في سيناه ، ما لبث ان قال وفد اهلكه الاسى :

_ ليس لكم حظ! لو كانت الجزائر على حدودكم لرايسم كيف تحارب الرجسال .

ثم انكفأ على عقبيه في اتجاه البار ، دون ان بنطق كلمة . نهض اسماعيسل .

ـ الى أيسن ؟

- سأذهب لآخذ ابني من دار الحضائة ، وتجهد الان امرأتسي بانتظاري على الرصيف .

رفع رأسه نحو ساعة القهى : السادسة وخمس دقائيق. اضاف :

ـ بنتهى عملها على السادسة . لقـد تاخرت اليسوم اكثر مسن السلادم .

وخرج يتبعه مصطغى .

اقترب فاروق من عصام ، واندمج كلاهما في حسديث صاحبته حركات اليه .هناك على البار حسين يغني مخموراً «عيونئتسحروني وفتنوني ،على باب الدار اخذوني ..» ولا احد يصفسي . صيحسسات الزيائن . طرقات طاولة الغليبر . اطراف حديث الساقية مع مومس المقهى . كان عادل قد تركني ، ووضع داسه قرب راس فاروق محدثا الياه بخفوت ، وكان عصام قد نهض ليشارك بلعبة الغليبر ، تبعهنديم، وتقدم حسيسن مترنحا ، ثم اختلطت أصواتهم ..

إدار پس

دار الاداب تقسدم

محمد علي تشمس الدين في مجموعته الشمرية الاولى

قصائد مهربة الى حبيبتي أسيا

● « قصائد مهر"بة الى حبيبتي آسيا لوحة فنية مؤلفة من اربعة مقاطع يتلو"ن فيها الرمز بمنظور تراثي عصري وواقعية جديدة وتجريد يجعل اللفظة الشعرية ذات ابعاد وعمق. حيث يتحوّل المجاز فيها السيخ خصوصية مونولوجية تتابع فيها الصور تتابعا عفويافيه براعة واصالة . وهو مجاز منفوم قائم على تعادلية صافية بين اللغة الشعرية في القصيدة وبين رصيدها الصوتي الموسيقي . فهو مرهف كالبكاء ، وشمسه مزاجية وهواه أزرق . . »

الدكتور عناد غزوان في كلامه على قصائد مهر"بة / الربد الشعري الثاني نيسان ٧٤ .

« قصيدة فاتحة للنارفي خرائب الجسد » حشد غريب من رموز الرعب والتمزق والاحتراق . وفي هذا الحشد لا يعطينا الشاعر مجالا للتوقف لكي نعرف مانحن فيه بل يسير بقدوة دون توقف متهما مجموع الطبقات في اقتسام أشلاء العالم ، وبالمساركة في جريمة اتتهاك الانسان وتوزيع اشلاء جسده على بعضهم البعض ، والقصيدة تظهر طاقة شعرية فريدة ، طاقة تترجم شعريا ، وعن قهم ، العصر الحاضر والتراث الانساني ، بكل البوس واللاانسانية والتمزق المتواجد فيها » .

جبرا ابراهيم جبرا في كلامه على قصيسدة فالحة للنار . المتقسى الشصوي الثانسي ١٢ / ٧٤ .

صدر حديثا

ممدوم السكاف

مسافة للممكن ... ومسافة للمستحيل

كل ما يفجع العين ممكن ، والطوى ممكن ، والردى ممكن ، والهوى مستحيل ! ! . . والنبوءات سادرة في عماها ، والعمائر مشنوقة في لظاها ونكتة باخها عابر ورصيف منعطل " وعاشقة قد غواها الاصيل : وعاشقة قد غواها الرحيل .

* * *

ملكة أنت أبرقت للحواشي والمطر الناقع والصهوة المكتراة والشراعات مطويسة ، والثريات مطفأة ، والشهادات زائفة ، والاحمر الفاقسع ، والاصفر القرمزي ، والشكايات كاذبة ان تقيم الدليل ان الهوى مستحيل

* * *

طفلة أنت أبرقت للسحاب
وابرقت للعواصم
وأبرقت للبراعم
وابرقت للوكالات والقصر والوجع المستقيل
وابرقت للزوايا ..
وابرقت للتكايا ..
ان يضيئوا الفتيسل
ان الهوى مستحيل

* * *

للعطور التي أرخصت ، والمسرايا التسي حطمت ، وخضوع الطيور للريح والفرس القرطبي المزوق بالخرز الفارسي والنياشين والبياره مشرعة ، والخطايا السباعية ، ووردة الجسسرح غائرة ، والغروب التقيسل:

ندائي الملطخ المستطيل
ان الهوى مستحيل

ولها كسرة الخبز والكرز الساحليي ، والفضب اليعربي القديم الصلاة ، الدعاء ، القدوم ، الدهاب، البراري ، الصحاري ، العبيد ، الملوك ، الإهاجي ، المديح ، السقوط ، العليو ، الهروب ، الرجوع ،

الكنار المفرد ، والبلبل الميت ، متحف الجن ، ضفدع البؤس ، رقصة الشمع ، والهتاف الكليل : ان الطوى مستحيل وان الردى مستحيل وان الهوى مستحيل وان الهوى مستحيل

* * *

وضبطناك مرة ، في المواخير مر"ة ، في المناشيسر مر"ة ، في عيون اللها مر"ة ، وفي عيون اللصوص اخرى ، في الجراح الفزار والوطن المستعاد ، وفي بارة الخمر ، وعلى سلم القصر تعشقين الامير . . لصة انت تسرقين الغير

* * *

الجبال الوحيدات ملكي ، والبحار العميقات ملكي، وملك الغيوم ، . وملك الملاهي . . وملك المقاهي ، وملك الازاهير ، ملك العصافير ، ملك الخطايا ،

وملك البغايا وملك العرايا . . وانت ، واحدة ، ملك هذا الاحير فاغرقي في هواك المربر . . ! !

* * *

للسفينة التي غالها البحر . والنورس الابجسدي وشاهدات القبور . و « المارسليز » الحزيس والشرفات الزنابق ، وشيخ معمر . وعانس بالرة . قبلتي وسمومي ، وغرغرات عيوني ، ونحيبي على العصور السقيمات ، وجهلي بكل السطور، وسغسطتي العاقره وليك الطعنة الفائره

* * *

أفتدي ميتا ان يعيش . .
افتدي عاشقا فاشلا ، وسجينا بأشغاله الشاقة ،
حارسا نائما ، هرة تأكل اطفالها . . ثورة محبطه . .
بحياتي وثروتي _ وهي شعري الهشيم _ ودمعتي
الفاتره ولك الموت والدفن والنخيل اليباس وفاتحة
قاصره

حمص

تطور الشعر الروسي ومدارسه

(١) كلمات قبل البعاية (١)

لا شك أن أي دراسية عين تطور الشعر الروسي ومدارسه لا بد ان تعود بسرعــة وقبل ان تتعرف على بدايات الميلاد ثم تمضى في رحلة هذا الشعير مع التطور ، او تتحدث عن المناق الدامي في مسيسرة هذا الشعسر بيسن الحيوية والطابع المأساوي .. لا بد أن تعود قليلا الى الوراء .. الى ايام ما قبل الميلاد بالنسبة لهذا الشعر الني لا يربو عمره على اكثر من فرنين من الزمسان .. السسى حيث كانت النماذج الشفهيسة التي ما زالت هناك نصوص فليلة منهسا محفوظة لدينا .. وترجع معظم النصوص الاولى التي وصلتنا من هذا الشعسر الى الفرن العاشر الذي دخلت فيه المسيحية الى روسيا عبر بيزنطة .. حيث اصبحت السلافية لفة الكنيسة .. وعلى مدى قرنين من الزمان لا تستطيع أن تعثر على غير حفئة قليلة من النماذج المدونة مسن هسده البدايات الشمربة .. لكن البداية الحقيقية التي يستطبع الباحث ان منمد عليها كما تجمع اغلب المصادر عن تاريخ هذا الشعبر تعود في ااواقع الى القرنالثالث عشر .. حيث بدأت تتكون فيه البدابات الاولى لبراث شمسري بتمزج بالنراث الادبي للكنيسة السلافية. وتعف اعظم مؤلفات هذه الحقبة علجمة الجور Slovo o Polku Igoreve كتبت حوالي ١١٨٥ ـ بمفردها (٢) كانجاز فني اصيل (لا يمكن مقارنته الا بأغنية (رولاند) . وموضوع هذه الملحمة المؤثرة هو هزيمة الاميسر الجور في صراعه ضد الغزاة الاسيوبيسن واسر اعدائه له . وقد كان اؤلف هذه القصيدة احساس مرهف بالطبيعسة ووعي قومي كبير .ويتسم وصغه للحوادث بالوضوح والدرامية ، بينما تتسم فقراته الفنائية والتي تروي حزن زوجة أيجور مثلا بحدته العاطفية وعذوبتها الشعرية . كما أن وحدة الشكل والكمال الشعري في هذه القصيدة مضعانها في مرتبة اعلى من كافة المؤلفات الاخرى للفتسرة عينها . بؤكد لنا هذا أن الشعير في روسيا في مستهل القيري الثاليث عشر كان قد وصل الى مستوى عال من الاجادة مها نتأتي ممه مقارنته

(۱) سنثبت اسم المرجع بالتفصيل وبلغته الاصلية في اول مسرة نذكره فيها ونذكر معه كل المعلومات البيبليوجرافية عنه . وبعد ذلك سنكتفى باسم المؤلف والكتاب باللغة العربية فقط

مقارنة مرضية بمثيله من الشبعر الاوروبي » (٢) .

وتتابعت النماذج الشعرية الشغاهية بعد ملحمة ايجور . . فكانت هناك مجموعة القصائد البطوليسة التي عرفت في المصور الوسطيسي (٤) والتي امتزجت فيها الخرافة باسم (بيلينسي بالاسطورة بالاغنية الشمبية بالوقائع والاحداث التاريخية ، ومجموعة اخرى من القصائد الدينية هي (مراثي بوسف Dukhovnye Stikhi) ازدهرت ما بين الفرنين الخامس عشر والسابع عشر دما بسؤال تتهاول مثل (بيليني) حتى اليوم والتي اهتمت بالجانب القصصيّ وبسبكور المعجزات والخوارق الدينية في حياة روسيسا وفي حروبها . واستمرت المراوحسة بين القصائد البطولية ذات الطابع الشعبي واللغة العبارجة والقصائد الدينيسة ذات الطابع الكنسي واللفسة لسلافية دون تطور فني كبير ، حتى عصر بطرس الاكبر (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥) السسسلي اسس امر اطورية روسية متراميسة الاطراف ،وشيد لهما عاصمة جديدة علس نهر نيفا قرب بحر البلطيق هي سانت بطرسبورج ساليننجراد الان ، واكتسب لبلاده مكانا عظيمها وم موقا في اوروبا عقب انتصاراته الحربية على الاتراك والسويديين ، وعمل على الانسلاخ بها بعيدا عسن فبفسة التقاليد البيزنطية بتزمتها وعزلتها فالقسسى بروسيسا فسي تيسار الحضارة الفربية بعنف ، وفتع ابوابها لمنجرات هذه الحضارة وادابها ومعارفها . وقد قام بتأسيس اول جريدة روسيسة وشجع ترجمسة العلوم والفلسفات وآثار رجال الفكر والسياسسة في أوروبسا وارغدم ابناء الطبقات العليسا على تعلم اللغات الاجنبيسة وآداب السلسسوك الاوروبية . وكان لتنامى تيار الترجمة وللجريدة المفضل الاكبسر فسي تسبيط اللغيسة الروسية وتحريرها من جمود سلافية الكثيسة القديمة التي انزوت تحت ضغط اصلاحات بطرس الاكبسسير بعيدا عن الحياة وتقوقمت على نفسها داخل الكنيسة ، بعبد أن تركت بعض مغرداتهما وبعض تراكيبها في اللفة الجديدة البسطة . واخلت هذه اللفسة الجديدة تستوعب ثمرات العقل الاوروبي ، وابداعسات عصر النهضسة الاوروبي ثم المدرسة الكلاسيكبة والكلاسيكية الجديدة في الشعسر والسرح من بعده ، وخاصـة خلال القرن الذي امتد منذ وفاة بطرس الاكبر وحتى اندلاع شرارات الثورة بالمؤامرة التي كانت فاتحسة عصر

⁽٢) عن هذه الملحمة اخذ الموسيفار الروسي برودبن موضوع اوبراه الشهيرة (الامير ايجور) .

⁽۳) مارك سلونيم (تاريخ الإدب الروسي) ترجمة صغوت عزيز، منشورات الإلف كتاب بالقاهرة ١٩٦٧ ، ص لا ولا ،

⁽⁾⁾ عن هذه القصائد البطولية اخذ الوسيقار الروسي ريمسكي كورساكوف موضوع احدى اوبراته المروفة .

طويل من الفورات والثورات والانفجارات التي لم تهنأ حتى عام 1910 . . واعني بها مؤامرة الديسمبريين المشهورة عام 1870 . . خلال هذا القرن اخذت اصلاحات بطرس الاكبر تؤتى ثمارها ، فماجت دوسيسا بالافكار المقلانية الاوروبية وبصراعاتها الدائمة مسع الافكار السلاعية التي حاولت أن تشد روسيسا بعيدا عن الانزلاق وزاء خطى اوروبسا البحامحة . وخلال هذا القرن الميء بالصراع المتشوف السي البحث عن الخات القوميسة وسط تيارات الثقافة الاوروبية المتلاطمة ولد الشعر الروسسي الحديث .

(٢) الليلاد ٥٠ ورحلة البحث عن المجذور:

قلّت أن الشاعر الروسي الماصر أذا أراد أن يمد يديه إلى الماضي فانه لا يستطيع أن بذهب بهمنا لابعند من فرنين من الزمنان . فالاعمال التي أشرت اليهنا فبل قليل لم تكنن سوى التراث الشعبي الشفاهي من جهة أو التراث الديني المحدود الاثر والقيمنة من جهة أخرىوبدايات المتاثر بالادب الغربي في الشعنر المكتوب على النسق الكلاسيكني المتحدد من هوادس وبوالوا والتي ظهرت بشائرهنا الاولى في اشعناد بولوتسك أو في كتابات كانتريمير الساخرة كانت أوهن من أن تكنون بداينة حقيقينة لتراث قومني .

اما التراث الشمري في اللغبة الروسية التي ينتمي اليها شاعر اليوم ، فلم يظهر بالطبع الا بصد منا اصبحت هذه اللفة الجديدة التي ظهرت في عهد بطرس الاكبر لفة الفكر والادب ، وبدأت بعدذلك بسنوات على أيدي ذلك العبقري المتعدد المواهب ميخائيل لومونوسوف (۱۷۱۱ ـ م۱۷۲) Mikhail Lomonosov تكتب الصفحات الاولى في كتاب الشعر الروسي . وكان لومونوسوف ـ الذي يذكرنا بليوناردو دافینشی ۔ ابن صیاد من اصل ریفی ،ولکنه قبل ای شیء اخر کان أبسن أتفتاح روسيسا على أوروبسا في عصر بطرس الاكبر الذي عاش فيه فترة صباه . واغترف بفضله من مناهل العلوم الطبيعية حتى اصبح استاذا للكيمياء في اكاديمية العلوم الروسية . ثم قام بدور فيادي في انشاء جامعة موسكو . ولسم يقتصر نشاط « هــذا العبقري ذي النزعة الاوروبيسة الرفيمسة والمثل الحقيقي لعصر التنوير على العلم، بل امتنت معرفته من الكيمياء والرياضيات حتى اللغويات والبلاغة . وفي الادب الروسي الذي طبعه لوموتوسوف بميسم الكلاسيكية الفرنسية كانت خدماته هائلة . وقد اقترح في اعماله النظريسة ان تنهض علاقسة جديدة واكثر عضويسة بين سلافيسة الكنيسة واللفسة الدارجةالمتكلمة. ووضع اصلاحاته اللغويسة المقترحة موضع التطبيق في كتاباته ،بالصورة التي أصبح معها المؤسس الحقيقيللانب الروسي الحديث » (ه) وللشمر · الروسي بشكل اخص ، لاف استطاع مع فاسيلي تريدياكوفيسكسي اندي كان استاذا Vasily Trediakovsky (۱۷٦٩ _ ۱۷.۳) البلاغة واللانينية في اكاديمية العلوم ، أن يؤسسا نظاما جديدا لعروض الشعر الروسي غير ذلك النظام الذي يقوم على الراوحة بيسن الارتكاز على القاطع والذي دخل اللفة الروسيسة عن طريق النماذج الملاتينية والفرنسية والبولندية ، وينهض نظامها على فكرة اختلاط العروض التي كانت سائدة في الشمير الشعبي الروسي . ووجي لومونوسوف « أن الشعير المنغم الذي يعتمله على تبادل النبسرات والذي لا يتقيسه بعدد او ترتيب معيسن طلمقاطع غير المنبورة - كمسا في الالانيسة والانجليزيسة _ اكثر ملاحة لروح اللفة الروسيسة . وكان هسذا التغيير الهام في المروض فاتحسة عهد جديد في الشعر الروسي، وساعدت قصائد لومونوسوف كثيرا على تقدمه » (٦) . لانه لم يكتف

بتأسيس واحد من البحرين العروضيين اللذين استمر الشعر الروسي يجري عليهما حتى اليسوم وهو البحر البينادي الذي ينهض علىعروض الإيامب الانجليزي _ اما البحر الثاني فهدو التيرنادي الذي ازدهسر في المرحلة الرومانسية على ايدي ليرمنتوف تيكراسوف _ ولكنه كتب عددا كبيرا من القصائد التي اكسبت هذا البحر شعبينه ووطدت دعائمه ، كما قدم عدد كبيرا من البحوث التظرية في لقة الشعر اوصى فيها باستخدام سلافية الكنيسة استخداما محدودا وفي الشعسر البطولي بشكل اخص ، ودعا فيها الى اللجوء للفسسة الحديث مع البعد عن الالفاظ النابية الستهجنة .

ومع ان اكثر شعر لومونوسوف كان في تمجيد الانتصارات الحربية الذي احرزتها القيصرة اليزابيت _ ابنة بطرس الاكبر _ فان شعره على صعيد المعنى كان الاب الحقيقي للشعير الروسيي كما كان على صعيدي اللغة والعروض . ومع ان قصائده اليوم نبدو لنا هامدة وربما فارغة من المعنى ، فان القليل منها ما زال قادرا على التأثير في القاريء حتى اليوم . كما انشا اذا ما قسناها بمقياس زمانها سنجيد انها «تستطيع ان تقف في صف واحد مع افضل النماذج التي فدمنها الكلاسيكية الفرنسية أو الالمائية الرائفة ، والتي كانت تمثل المعابير الفنية لضروب مختلفة من الادب الروسي ، وبدات بها الكلاسيكية القومية المباينة في روسيا واستمرت حتى عام .١٧٨ تقريبا ، وكانت تحتوي على عناصر وافعية اكثر مما كان عليه الحال في البلاد الاخرى » (٧) وفي هذه القصائد نلمس جندور عين حالات الفكر والوجدان وعن صبوات الروح الروسية . .

يخفي اليوم وجهه وتغطي ظلمة الليل السهول .
ويتسلق الجبال ظل اسود . وتزور اشعة الشمس عنا
وتنكشف الوهاد . . الوهاد التي لا قرار لها
وتمتليء بالنجوم . . نجوم كثيرة لا تحصى
وانا ضائع ، كحبة من الرمل في موجات المبحر
او كذرة من التراب في مهب العاصفة
غارق في هذه الوهاد التي لا فرار لها ، تضنيني ظنوني.

في ابيات لومونوسوف هذه نلمس الاهتمام بالطبيعة واعتبارها المراة التي تنعكس عليها حالة النفس والروح معا . ونلمس فيها بنور الاهتمام بالوصف والحركة وغيرها من الممناصر الواقعية التسي نهاها ذلك الشاعر الله كانوا يسمونسسه راسيس الشمال ، الكسنتور سيماروكوف (۱۷۱۷ ـ ۱۷۷۷) Alexandr Sumarokov والذي اغرته الطبيعة الدينية والفلسفية والسياسية لشعر لوموبوسوف على تحديها « فتبني مدرسة مفايرة في الشعير الفنائي تعتمد على البساطة الشديدة وعلى طبيعية اللغة والاسلوب ، واعتبر مؤسس شعر الحب الروسي الحديث . وما تزال لقصائده الجيدة واغنياته قوتها على التأثير بحساسيتها الفائقة وايقاعاتها الشجيسة »(٨) وبجنوحها ألى التغلغل في اعماق العشاق والسي التعبير مناشواقهم العارمة وعواطفهم الجياشة .. وبحرارة جزئياتها الواقعية وتنبعها لحركة النفس البشرية ، وباسلتهامها للاغنيات الشعبية الروسية وعرضها الواقعي للحياة .. وفي هذا المقطع من احدى قصائده الفنائية نلمس بعض خصائصه التي القت بشيء من ظلها على شمير الحسب الروسي بعد ذلك ..

⁽ه) ديمتري ابولينسكي (كتاب بنجوين للشعر الروسي) ص ٣٥٠. The Penguin Book of Russian Verse , Introduced and edited by , Dimitri Obolensky , London , 1965 . P . xxx v .

⁽١) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١٥ .

١٦ ص ١٦ ،

⁽الله المسلم) من مقدمته لا (كتاب بنجويسن للشمسر الروسسي) ص ٣٦ .

انني مشتاق لرؤياك .. ولكن ما ان افعل حتى يعتريني القلق والخوف من ان تفضحني عيناي ففي حضورك امتليء بالبلبلة ، وفي غيابك يملاني الحزن من فرط التفكير في انك لا تدركين مدى حبي لك ويجتهد الخجل في ان يدفع هواك العنيف بعيدا عن قنبي ويجاهد الحب في ان يدصف بالخجل بعيدا وخلال هذه المجاهدة العنيفة تغيم براهيني وغلال هذه المجاهدة العنيفة تغيم براهيني

هكذا ادفع بنفسي من عذاب لعذاب . واتوق لان افتح قلبي لك واخجل من الافدام على ذلك ، ولا اعرف في الوافع ماذا اريد . إعرف فقط ، انني مليء بالاسي .

وكلما توغلنا في النصف الثاني من الغرن الثامن عشر ،احسسنا بان البنور التي القاها لومونوسوف وسيماروكوف قد اخذت تؤتسي ثمارها ، وان التقدم الثقافي والادبيوي روسيا فد فطع خطسوات فساح ، ولا سيما في عصر القيصرة كانرين الثانية (١٧٦٢ – ١٧٩١) التي كانت تكتب القصص والمسرحيات ، وتراسل فولتير وديدور وتطلب من رجال بلاطها ووزدائها الاهتمام الجدي بالشعر ، ونضع الكتاب والشعراء في مناصب الحكومة الهامة ، ومنحهم النياشين ونمدهم بالمون المادي ، واسست الحكومة في عهدها دور النشر واصدرت المجلات واستوردت الكنب الفرنسية ونظمت العروض المسرحيه ،

في هذه الفترة ظهر واحد من الشعراء الذيب ساهموا في لكوين الجذور التراثيسة التي يرتوي منهسا الشمر الروسي الحديث وهسسو بافريل ترجافين (۱۷۶۳ - ۱۸۱٦) Gavrul Derzhavin الذي ساندته كاتريسن فتدرج في الناصب الهامة حتى عين _ في عهسه الكسندر الاول ـ وزيرا للعدل ولم يعرف درجافين بمهارته الاداديسة وترفعه عن الحيف والملق ونزاهته المفرطسة وحبه للعدل فحسب ، بسل عرف ايضا كواحد من اهم الذين اصليسوا بدايات لومونوسوف وسيماروكوف والذيسن وسعوا افق اللفسة الجديدة بعد ان اصبسحت لفة البلاط الرسمية ووسيلة المجتمع المنعلم الى المعرفة . (وكان لقصائده دوى ونفمة عريضية ، وخصوبه في الاستعارة ، وتأثير خطابي مكتسبع يهز غرف القصر الامبراطوري الواسمة التي كانت تلقى بها . وتوحى قصائده بالقوة والحدة الشعرية. فقد أستبدل بترفعلومونوسوف الدفيق وغموضه ، حركة خطابيسة ودقة حسية . وفي بعض فصائسده رسم صورة جزئيسة لمعاصريه ، ونجع في مضايقسة السلطات بحبسه المنسف للعدل وكراهيمه للظلم ، ونتخلل دوح الاستقالال والسجاعة الادبية كل سعره . ومن الغرب أن هذا الوظف الكبير ذا النزعة العقلية المحافظة اصبح رائدا تلشعس المني الذي اكتسب فيالفرنين التاسع عشر والعشريسن في روسيها تغمات ثورية قوية » (٩) .. ولم يؤثر درجافين في مسار الشعر الروسي بسبب من نزوعه الدائم لنصرة العدالة الاجتماعيـة فحسب ، ولكن أيضًا لاحتفاء شعره بمجموعة من العناص الفنية التي كفلت له فوة التأثير ، مثل الاحتفــاء بالضوء والالوان والاهتمام بالتنويمات المعددة على الكلمات الرئية ، وتوفيفه بين عقلانيسة لومونوسوف وعاطفيسة سيماروكوف المفرطة ، وانطواء شمسره على تيار العواطف القوية والمشاهسد الحية المثيرة للانفعال كأغنيسات طيور المندليب او رقص الفجريات او الصور التي جرفها نبادالزمان. وتستطيع ابيات قليلة من اي من فصائده ان تجسد لنا هذه الخمائص بصورة ابلغ من كل وصف أو تحليل .. وهـنه ابيات من قصيدته (رقصية الفجر) ..

التقطي جيتارك ايتها المرأة الفجرية ، واضربي اوالده وصيحي بصوت ممتليء بنشوة شهوانية .

ادخلي كل شخص في زقصتك ، والهبي ارواح الرجال والقي ، بوجهك الخمري الاسمر ، النار في قلوبهم اعيدي للحياة في وفت واحد ، جنونها واحاسيسها الشهوية وقشمريرتها العصبية ورخاوة الحب ، والفن السحسري للباخوسيات القدامي .

وفي قصيدة (عندليب في حلم) تناكد بقية ملاميسيع بشعر درزجافين ، حيث تندغم المواطف المتوفدة بالبعد العقلي ، والعناصر الخيالية بالعسور الواقعية والرئية .. ويبرهسن الشاعر فيها على « ايوفونية » الأغسة الروسيسة وجمال تناغماتهسا الصوتية الم تعتمسد القصيدة كلية على صوت حرف كما يقول اوبولينسكي ..

كنت نائما في اعالي التلال وسمعت صوتك اوه . . أيها العندليب ، أن روحي تستطيع أن تسمعك حتى وأنا غارق في المنوم . انا يجيء الصوت ، واونة يرجع العمدى أنا تثن ، واونة ترن ضحكاتك في اذني من غور بعيد وعندما ارفد في حضن كاليستو ، تبهجني اغنياتك وتنهداتك وصغيرك في نومي الهنيىء

في السنوات الاخيرة من حياة ندجافين « الذي كأن شاعــرا عيفريا عظيما ، وكان شعره الصدى الاميسن لحياة الامسة الروسيسة والانعكاس الحقيقي لعصر كاترين الثانية » (١٠) او بالاحرى في العقد الاخير من الغرن الثامن عشر والعقديسن الاولين من القرن التاسيع عشر ، وأبان حكم الكسندر الأول ، أخذت الكلاسيكية في النبول ، وبدت عاجزة عنن استيعاب مطامح الشنخصيسة القوميسة التي بدأت تحس بكيانها عقب ننامي الانتصارات المسكرية واتساع رفعة التعليم وانتشار الثقافة ووسائل النشر . وتحت جلد الكلاسيكية التي تعانى من النبول بدأت ارهاصات ميسلاد حساسية جديدة ، غير الحساسية الكلاسيكيسة تملن عسن نفسها . وحاول الكاتب ألمسرحي الساخسسر دينيس فونفيزين (١٧٤٥ - ١٧٩٢) أفنناص هذه الحساسية الجديدة وهي 14 تزل ندرا غائمة في الافق البعيد ، لكن محاولاته ما لبثت ان تعرضت الضطهاد شديد النه عرض في مسرحياته بالاوضاع القائمة . وبدأت الرياح التي تهب من الباب الذي ضحه بطرس الاكبسر على الغرب تضايق احفاده . . توشك أن تزازل عروشهم الراسخية وهيى ننقل أنى عقسر دارهم اصداء مسا جليته الاستنارة الفرنسيية علىعرش لوس السادس عشر وماري انطوانيت عام ١٧٨٩ حيث ساهتهمسا الى المفصلة . واخلت افكار صانعي الثورة الفرنسية التي شجعت القيصرة كاتريسن من قبل ترجمة اعمالهم توفد شرارة النمرد في نفوس المثففين. وما أن برفت أونى التماعات هذه الشرارة في مسرحيسة فونفيزيسن (الامل الصغير) حتى احس الحكم القيصري المطلق بنسذر الخطسر الوشبيك ، وبدأ يفيس من نظرته الى المثقفيسن ومن معاملته لهم .. واخلب منائي سيبربا بعرف نوعة جديدا من الوافديسن اليهسا لسن أبث أن يتؤايد على مر الايام ، وهم أصدفاء الحريمة من الكتماب والمفكرين . وبدأ أن اللقاء الحميم بين السلطة والمجتمع التعلم قسد انتهى الى غير دجعة وان الحرب بينهما قد اندلعت ولن يهسدا اوارهما حتى عام ١٩١٧ ودبمها حتى اليوم .. في هذه العقسود المتوترة التي لن تلبث ان تسلمنا الى تخوم المؤامرة النسي فتحت الطريق أمام قرن كأمل من الفورات والانفجارات والثورات حدثت

⁽٩) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١٩ .

١٠) ف . ج. بلينسكي (الاعمال الفلسفية المختارة) ص . ٤
 ٧. g . Belinsky , (Selected Philosophical Works , Voreign Languages Publishing House , Moscow , 1956 , P . 40 .

اول انطاقة هامة في تاريخ الشعر الروسي الحديث .. وكانت هده الانطاقة هامة في تاريخ الشعر الروسي الحديث .. وكانت هده الانطاقية صدى لهذه النوترات الجديدة ، واستيعابا لاجتقالحساسية الجديدة التي اطلت برفقتها ، وتعبيرا عن تشسوف الشخصية القوميسة الروسيسة الى العثور على هويتها الخاصة بعد رحلسة المخاص المرفية التي عاشتها منذ عصر بطرس الاكبر حتى اواخسر القسون الثامن عشر .

وكانت اعمال نيقولا كارامزين(١٧٦٦ ـ ١٨٢٦) Nikola Karamzin هي البداية الحقيقية تهذه الانطافة الادبية الجديدة ، ليسفقط لانه عكس تبلور ونمو الوعي القومي في كتابه الهام تاريخ ((الدواسة الروسية » والذي كسان علامة فارقسة في تاريخ الكتابة الروسية س كمية يقول بلينسكي - ولكن أيفسا لانه استطاع في قصصت الحزيشة المؤسية _ وخاصة (ليزا المسكينة) _ ان يعش على النفمة الادبيسة التي خرجت بالادب الروسي من عنق الزجاجة الكلاسيكيسة المحلمية ، وإن يبدأ نليك الرومانسيية الصاطفية الحزينة فيسبى قصصه الليئة بتنهدات العذاري واشهواق الفارقين في العشق واحران الحب غير المتبادل . واستسلم فاسيلس جوكوهسكس (۱۷۷۳ س ۱۸۵۲) Vasily zhukovsky (۱۸۵۲ س ۱۷۷۳ الشعر) وبسدأ به حوالي ۱۸۰۸ ما يسمى بالعصر اللهبي للشعر الروسي ، متمردا على الطريقة الكلاسيكية الغرنسية ، مستفيدا من الاعمسال الرومانسية الانجليزية وخاصة اعمال شكسبير وبيرون . وحتى يخلق مناخا ثقافيا يستطيع أن يتقبل اشماره أو بالاحرى يتنوقها عمد الى ترجمة الاوديسة وعدد من اعمال لوسيسان وسكوت وبيرون وجوتسسه وشيلي وصفار الرومانسيين الالمان في واحدة من اعظم الترجمسات الروسية واكثرها اشراقا . وخلق عبر عوالهم هؤلاء الرومانسيين تيارا من الرؤى الجديدة والافكار الجديدة والتراكيب الشعرية الجديدة. واستغاد من هذه الرؤى وتلبك التراكيب في قصائده الجيدة القصيرة وهوالية الشبجية التي الرت في معاصريه كثيرا والتي لا يزال بعضهما يقرأ بشفف حتى أليوم . « ويعتبر جوكوفسكي بحق مبدع القاموس الشعري واللفسة الشعريسة التي استمرت فاعليتها طوال القسنرن ·التاسع عشر ، ويقيم شعره الجسر السسدي يربعد بيسن الفنائية التقليدية لدرجافين وبواكير أعمال بوشكين الشعرية » (١١) وتتميز قصائدة بالبساطة والتوهج وقوة الايقاع ، وبالاحتفاء بالالوانوالحركة وبالشفف بتصويس مناظس الطبيعة في تشابكها وتفاعلها مسع عواطف المحيين وتنهدات المشاق . كما اهتم في قصائده الوطنية بالمشاعبر والقضايا القومية اعصره ومواطنيه . وهذه واحدة مين قصائده القصيرة التي يصف فيها تحظه فراق بين عاشقيان ، وتحمل القصيدة عنوانا غريبا على عناويسن القصائد في هذا الوقت، وهو (١٩ مارس ١٨٢٣) ربما كان تاريخ هـ ذا الفراق الحزين الذي تريد القصيدة أن تهبه الخلود ...

لقد فهمت قبلي في صمت ، وكان الحزن في عينيك ممتلنا بالمشاعر ، فنكرتاني بالماضي المجبيب . كانت تجربتك الاخيرة في هذا العالم ، ورحلت كملاك صامت ، وكانت احزانك مسالة كالسماء . وكل الذكريات الارضية ، وكل الافكار السماوية المقدسة هنا ، نجوم في السماء ، والليلة هادنة .

ولم يقمل جوكوفسكي وحده على ترسيخ ملامح هذه المدسسة

(۱۱) ديمتري ابولينسكي من مقدمته (لكتاب بنجوين للشمسير الروسسي) ص ۳۷ .

الانبية الجديدة في مجال الشمر . بل قام بهلاً الدور معسه فنسطنطین باتیشکوف (۱۷۸۷ ـ ۱۸۸۵) Konstantin Batysnkov الذي اشتهر بنزوعه الى احياء الماييس الوثنيسة الهيلينية والسي الاستفادة من التراث الاغريقي في الادب ومن مدرسية الاسكندريية الفلسفية . فكان ذا نزعة ابيعورية « تطلب السعادة والنجاة من الالم .. وتضع السمادة في اللذة وتجمل فانسون الاخلاف المنعمة الذاتية وتقصى الآلهة خارج العالم » (١٢) حس شهوابي متقد منع ميلواضع اللي التشاؤم وشغف بالتغني بجمال المالم المرئي وبالمتع الحسية العابرة . وكانت عواطفه الحادة وتناقضاته الداخلية التي انتهت ب الى الجنسون تكسب شعيره نكهة فريدة مؤثرة ، بجمع الى جمسوح الانفعالات الرومانسية رصانة ألبناء الكلاسيكي وجمال اللفة الجديدة التسبي بدأت حكومه تركيز السلطسة تحاربها ، داعيسة اني العودة من جديد الى سلافية الكنيسه المهجورة . لكسسن اشعار ايفان كانت تقرأ بشغف من الكبار وتنفذ الى فلوب الصفار وتعلمهم » (١٣) ما لبثت مع انتاج هذيسن الشاعريسن ان حسمت المركة لصالحاللفة الجديدة ، او بالاحرى لصائح الرؤيسة الجديدة . فلم تكن المعركسة ممركة فيلولوجية بل كانت في جوهرها معركة فكرية واجتماعية .وما ان تبشى كربلوف رؤى الشعب الروسي ولفته وحكمته وبعت منجديد روح الغن الشعبي الوثنية الانيمية ومزجها بواقعية الفلاح وبسروح الغكاهية الشفيفية والسخرية المسسرة وبالحكم والامثال الشمبية المتداولة حتى حسم المركة لصالح المدرسة الادبية الجديدة ، ومهد ممها الطريق اظهور الشاعر الذي كان تعبيرا عن اكتمال رحلة البحث عن الجنور انفومية والذي نبلورت عبره ملامست الشعر والادب القوميين .. وأعني به الكسندر بوشكين السندي صيغ من كل ببارات القسرن الثامسن عشر وخسسرجت مسسن معطفه كل اتجاهات الفسرن التاسيم عشر .

(٣) بوشكين ٠٠ بداية أأشعر القومي وارهاصات الثورة:

ويعتبر الكسندر بوشكين (۱۷۹۹ ـ ۱۸۳۷) Alexandr Pushkin بحق فانحبه عصر جديد في الادب الروسي . استقطب بدايات همذه المدرسة الجديدة ثم قطع شوطا فسيحا في طريدق النضج والتبلور . واستوعب عناصر الحساسية الجديدة وخلق عبرها شعرا قوميا اصيلاء واستلم ارهاصات الغضب والثورة واستشرف بها آفاق المستقبل البعيد . تذلك كان بوشكيــن فاتحــة عصر جديد على صعيدي الشعــر والفكر مصا ، عصر احتد فيه الصراع بيسن الادب والسلطة في عهد نيقولاي ، لاول (١٨٢٥ - ١٨٥٥) الذي بدأ حكمه بمذبحة الديسمبريين المشهورة في ١٤ ديسمبر ١٨٢٥ . وفرض بهما توعا من الاستقسرار بالرغب لعرش ال رومانوف الذي هبت العواصف فسي عهسد احيسه الاكبر الكسنند الاول ، ووجد بوشكيننفسه طرفا في هدا الصراع المرير منذ بدأية حياته الادبية ، فظل طوال حياله القصيرة الخصيبة مقلقاً للسلطات ، مغنيا صبوات شعبه في الانعتاق من دبقة الارهاب والتخلف ، مخترقا حجب ااستقبل البعيد ، متنبئا بالتغيير . فقد « كسان الغنانون الروس على فعر كبير من الاحساس بالمستقبل ، يسمع لهم أن يتوفعوا من روسيسا مثل هذه المهام ، ولم يخالجههم الشك لحظة واحدة في أن روسيا ، مركب كبيسر كتبت عليه رحلة بحريسة كبيرة . فهم كالروح الشعبيسة التي ارضعتهم لسم ينميزوا ابدأ بروح الحدر والاعتدال والدفة ، لأن كل ما يهدد بالهلاك كان يحمل لهم مسرات لا توصف - كما يقول بوشكين - وقعد لازمهم

⁽۱۲) راجع د . ابراهيم بيومي مدكور كرم (دروس في تاريسخ الفلسفة) ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ،القاهرة ١٩٥٣، ص ٢٠٠ (١٣) راجع ف ، ج ، بلينيسكي (الاعمال الفلسفية المختارة) ص ٢٢٨ .

الشعور بالقلق والجهل بالفعد في كل مكان وكانت المسالة بالنسبة لهم ، كما هي تلشمبهي اعبق اعماق احلامه ، هي : كل شيء او لا شيء . لقد كانسوا يعركون انه لا يجعر التقدير الا بما هو رائع، مع ان الرائع امر صعب كما علمناأ فلافون » (١٤) ولم يكسن بوشكين واحدا من هؤلاء الفنانين المتطلمين الى المستقبل الحالمين بالامسود الرائعة الصعبة فحسب . . بل كان رائدهم جميعا . . به بدا هذا الاتجاه وبه بدات رحلة السفينة الروسيسة صوب الحلم والثورة . . وحتى نتمرف على دور بوشكين الكبير في بلورة الطابع القومي في الشمسر وفي التعبير عن ارهاصات الثورة المخترنسة في النفوس الشمسر وفي التعبير عن ارهاصات الثورة المحترة العاصفة .

آه .. لماذا لا تحفر كلماني القلوب على الفضب ؟
 ولماذا ينبغي على هذه الشملة ان تتوهج عبثا في كياني ؟
 ولماذا لم أوهب الفصاحة ؟

هل اعیش حتی اری شعبی حرا ؟

متى تكسر قيود العبودية البغيضة التي امر بها القيصر ؟ متى يشرق في سماء وطني فجرالعربة الجميلة الخالصة ؟

بهذه التساؤلات التي تشتهي التغيير والمستقبل يختتم بوشكين فصيدته الشهيرة (القرية) . . ويتوج بها ذلك التنافض الصادخ ـ الذي تجسده القصيدة ـ بين جمال الطبيعة الخلاب وهبح العلاقات الانسانيسة الجائرة التي تغرض سيطرتها الغاشمة على روسيسسا القيصرية في هذه العترة .. فترة حكم الكسندر الاول ثم أخيه نيقولا الاول من بمده . وتلافي المتنافضات وتصارعها في هذه القصيدةهو اغضل المداخل الى حياة بوشكين وفنه .. ففي حياته كانت تتصارع الدماء النبيلة الزرقاء مع الدم الزنجسي الحساد ، الولاء للنظام الامبراطوري مع الكراهيسة الحادة تلقيص ، الاحساس المبيق بالذات مع اللوبان الصوفي في الله ، الانتساء بجمال الطبيعة مع العذاب بما في الغرى الروسيسة من جور وبشاعة ، الارتواء النهم من كسل ينابيع الحياة مع العزوف المرضي عسن هذه الحياة ، الارتداد الى لفة الشعب البدائية مع الحنين الى ان يسوس هذه اللغة في شعاب الشمر حتى تتبلور وتشف . من تلافي هذه المتنافضات وتصارعها ولد نور هنذا الشاعر الكبير ، بعند أن ولد هنذا الشاعر الزنجي الملامح في ٢٦ مايسو ١٧٩٩ لاب من اشراف روسيسا يعمى سيرجسي ليفوفيتش بوشكين ولام جميلة (ناديجيدا اوسيبوفنا) تنحدر منصلب عبد حبشي هو ابراهيمهانيبال ربيب بطرس الاكبر وقائد جيشه . واغترف النساعر منذ طفوله من مجموعة من المنابع العرفية الخصية . . من حكايات جدته لامه الني كانت تجوب فيها سهوب سيبيريا وادغال افريقيا ، ومن الاغنيات الشعبية الروسية التي كانت تتفئى بها مربيته .. ومن عالم المكتبة الفرنسيسة الكبيسرة التي كسان يقتنيها ابسوه والتي فتن بهسا الشاعس وهو يبلسغ العاشرة حيث فرأ فيها بلوتارك وهوميروس ولافونتين وموليير ورااسين وفولتير وديدور . ومنشوارع موسكو وباحاتها الشعبية واعيادها التي يلعب فيها المثلون ذؤو الاقنعة الزائفة والشعور المستعارة والتي كان يصحبه اليها مربيه، والتي شهد فيها التهريج الشمبي الروسي وهو يلتقي في وجدانه بنعابات موليير الطريفة ويتناقض معها . ويرده الى اللغة الروسية التي كاد أن ينساها في غمرة فتنته بمالم الكتبة الفرنسية . فتتصادم في وجدانه الثقافة السلاغية مع الحضارة الغربية وتمتزج بها .. من هذه الثنائية وهذا القلق ولد صوت لم يسمع له مثيل من فيسل ، صوت حدس صاحبه منذ البداية انه مرصود لدور كبيس فعب عن شنى هذه المنابع المرفيسة بنهم وفهم واشتياق .

والتحق بالمهد الامبراطوري في تسارسكويه سيلو حيث اكتملت بقية عناصر ثقافته . . أذ تعرف بوشكين في هذا المعهد على عالم آخر غير عالم الاداب الكلاسيكية والقصص المليئة بالخوارق ، وهمو عالمهم الغلسفة المثالية والنزعات العقلية .. حيث كانت تتردد في جنبات هذا المهمد الذي اسمه الكسندر الاول اصداء من افلاطون وديكارت وتوما الاكويني وسبينوزا وليبنتز وديدور وفولس والواد .وفي هـذا المهسد تتلمذ بونكيسن على دى بوردي ساشقيق الزعيم الشبهيد جان بول مارا ـ المسبع بفكس الثورة الفرنسية وعنفها . وهيه ايضا تحرر من انطوائه وعزله ونعرف على أهم أصدقاء عمره .. بوشين ودلفيج وكوساكونه والامير بيوتر فيزيمسكى ـ وكلهم من الشعراء وان لسم يتميز منهم في تاريخ الشعير الروسي سوى البارون انطون دلفيسج Baron Anton Del'vig (1AT1 - 1V1A) والامير بيونسس فيزيمسكسي (١٨٩٨ – ١٧٩٢) Prence Petr Vyazemsky - مع هؤلاء الشعراء انطلق بوشكين يصب من الفكر والادب ويتبارى . في نظم الشعر . . وما أن حان ميماد تخرجه عام ١٨١٥ حتى كسان قد قطع شواقاً طويسلا على درب ألشعر المسير . فلمسا استمع درجافين الى قصينته (ذكريات تسارسكويه سيلو) حنى هب صارخا (أنا لم امت .. أنا لم امت .. هذا هو درجافين الجديد » (١٥) . والعقيقة أن بوشكين لم يكن مجرد درجانين جديد ، وأن كان

وما أن بلمغ الثانية عشرة حتى بدأ يكتب الشعر بالغرنسية،

والعقيف أن بوسدين لم ينن مجرد درجائين جديد ، وأن كان فيه قدر كبير من نزاهة درجافين وحبه للعدالة .. فقيد تجاوز كل من سبقه من الشعراء الروسي منذ البداية بمنهجه الجدد واكتشافاته العبقرية وبصيوته النافلة ، وببساطته المحشنة المتحررة من كل قيد بلاغي مزخرف والتي يتبدى معها الشعر وكانه فيض تلقائي مسن العواقف النبيلة المتدفقة . بهذا الاسلوب الجديد الذي تمانق حروفه بساطة آسرة غنى بوشكين عقب تخرجه من المعهد الاميراطوري للثورة المبهعة ، وتحسس بقصائده ملامع الجنين الذي ينبض في دحسسم القللم والغير والاستبداد القيصري . واخلت الثورة تغريه ، ويناديه صوبها المنبعث من كل المغالم المبثوث في محيط الانتليجنسيا الروسية عسكرية كانت ام معنية ، فيكنب بوفرة وخصوبة والحاح .. ويكتب عسكرية كانت ام معنية ، فيكنب بوفرة وخصوبة والحاح .. ويكتب في نسيد الحرية) الذيصار شعارا لكل الجماعات الثوريةالمديدة في هذه الفترة :

إنني اريبه ان اغني للحرية ان افضح الشر المتربع فوق العروش يا ابناء الحظ الاعمى ، يا طفاة العالم ، ارتعدوا فان شيئا بعد اليوم لن يستطيع حمايتكم لا التهديد ولا الوعيد ، لا مذابح الهياكل ولا السجون

كونوا البادئين الذن بحني رؤوسكم امام قوة القوانين الثابتة ها هو يقلف بالقفاز علنا في وجه عدوه ويدعوه للمبارزة ..فهل سسكنون ؟ لقد تلقف حس القبص هذه الاشعار بخوف ودعدة

تراهم سيسكنون ؟ لقد تلقف حرس انقيصر هذه الاشعار بخوف ورعدة وقد احسوا أنها ننادي الكارنة وتمهد لها ، وتلقفها منهم القيصر بغفب وامر بنفي الشاعر الى الجنوب عام . ١٨٢ . وفي المنفى انفتح وعبي بوشكين على عالمين جديدين متناقضين عالم انقرية الروسية الجاثية تمت اقدام القناتة الغليظة ،المثقلة بالفقر والجور والوحشية ، وعالم القوقاز بجبالها البيضاء المدهشة وهوائها العاصف ومياهها المتدفقة بيسن شقوق الاحجار المهيقة . عالم الطبيصة الخلابسة والانسان بيسن شقوق الاحجار المهيقة . عالم الطبيصة الخلابسة والانسان المطحون . هذا همو العالم الذي غناه بوشكين في قصائد المنفى في و (السحب) و (ينبوع باخشى سراي) و (السير القوقسمساز) و (الرياح) .. و (حوديات البحر) و (العجنز) و (الشيطان) و (الرياح) ..

⁽۱٤) الكسندر بلوك (المثقفون والثورة) ترجمة يوسف حلاق ، (١٥) راجع هنري ترويا (بوشكين) ترجمة الدكتور فؤاد ايوب، مجلة (الموقف الادبي) عدد اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٢ .

وبورة على المعضارة وبمردا على بلك المواضعات الاعطاعيه الجابره، وادراكا عميقا تتلافى المتنافضات وتصالحها في هؤلاء العسوم العمويين المطحوبين الماكريسن الطيبين الكرمساء .. متنهسم مسسل الطبيعة الكريمة الرهيبه التي تحيط بهم . واذا كانت اغلب اعمال سنوات المنغى الاجباري متفله بالرومانسيه مسبعة بالحنين الشبوب الى الطبيعة فانها لم نحل من تماد ذأت مداق مفاير .. فعد كنب في هذه الفترة أيضا (مفامرات جبرائيل) الطافحه بالهرصَّة و(العنجر) المهداة أنى برونس وشاربوب كوردي والني بمجد الاعتيال السياسي و(الوشاح الاسود) والفعسول الاولى من (اوجين اونيجين) التسى ستستفرق كنابتها سبع سنوات كامله . نما كب مأسانه الشمرية الاولى (بوريس جودونوف)والني كانت بحق شهانة الميلاد للمسرح الروسي . . وما ان أنتهى بوشكين من هذه المسرحية عام ١٨٢ حنى مات الكستند الاول ،وولى نيقولاي ألاول العرش بعد ايسام من العلق شجعت المتعفين على أول بورة مجهضة ، أذ أجهز عليها العيصر في ١١ ديسمبر بعنف دموي ، واعدم بعض زعمانها ونعى الاخرين الى سيبيريا . وكان ضمن مسن ارسلوا ألى المنفى صديق بوشكيس وزميل دراسته الشاعر بوشين. وكسان هذا الاجهاز العنيف على الرومانسية السياسية الني تمتنها العركة الديسمبرية أيذاءا بالناعب التسي سنواجهها الرومانسيسه الادبية بعد فليسل.

فيعد عامين من هذا الناديخ الدامي يستدعني العيص الشاعس الى موسكو ، راغبا في احتواء تورته والاستفاده من شعبينه .ويسارع التساعس بنلبيسة الدعوة ويعرب عسن امتنانه بها ، فيظسن انعيصر ان البركسان قد خمد ، وان جموح النسباب فسد تخليعسن اندفاعه لتعقل الكهولة العادمة .. نكسن هيهات! فها هي (بوريس جودونوف) تتير سخط القيص عندها ينشرها الشاعس في موسكو ، تم ها هـــي قصيدة () (ديسمبر) بوفظ المدبحة التي حسب نيعولاي انهود واراها التراب ، وبعدها تجهد (اندريه شيئيه) السسى كتبها عن الثورة الغرنسية و (الانتشار) التي يسخس فيها من فكرة الحكم الطلسق و (﴿ لِرَعَاعِ) التي يدين فيها ملتي الحاشيبة واستخذاء الحكومه . وبسبب هذه القصائد الحادة كالشطايا الجريئة كالصاعقة ، انطلقت حول الشاعر النسائس وحيكت المؤامرات . فلم يملك ازاءها سوىالهرب الى بطرسبورج ، لكنه لا يلبث ان يصود . فضد توحد الشاعر والبطل في بوشكين .. قاذا كان الشاعس هو يقل التأمل فان البطل هو شاعر الفعل . وبوشكين هذه الفترة كأن الاثنين معا ... التحدي والفناء.. وفي ضوء هذا الامنزاج العميق بين الشعر والثورة كتب بوشكين اعم قصائد هذه المرحلة .. (النبي) و (الفارس البرونزي) ممجدا الغمل الثوري مهمسا كانت عافيته ومهما تعقب الغشل خطاه . وكانت الغارس البرونزي كما يقول بلينسكي (١٨١١ - ١٨٤٨) « هيالابداع الغنى في أسمى درجاته . فأنت لا تعرف ما الذي يدهشك في همهده القصيدة التاريخية : اروعة الوصف وجدته ام البساطة في التعبيسر، فالاثنان معدا يبلغان أرفع مراتب الشر » (١٦) .

وبعد هذه القصائد الحائة التي البت عليه القيصر وحكومه ، قرر بوشكين بملء ارادته هذه المرة ، العودة الى منفاه الاختياري ، فرحل الى بولدنيو عام ١٨٣٠ غير عابيء بوباء الطاعبون الذي كان يجناح المنطقة ، وامضى فيها عدة شهور كانت من اخصب فترات حياته، حيث اكمل (اوجين اونيجين) وكتب (الفارس البخيل) و(دون جهوان) اكمل (القريبة)وعدة قصص نثرية منها (ناظر المحطة) و(أبئة الضابط) و (ملكه البوسنوتي) الى جانب مجموعة من المحاولات المسريسسة القصيرة منها (الوليمة) و (الضيف الحجسسري) و (موزادت وسالييرى) . وكانت اعمال بولدنيو من اعمق اعماله الشعرية واكثرها نضجا ، ذلك لان (آثار بولدنيو محتواة في حالة نفسية واحدة ، اذ

ان وحدة الزمان والمكان تؤدي الى وحدة الالهام فيها . وتعكس فصائد هذه الرحلية الغنائيية فضلا عن صبوات روسييا هموم الشاعبير وآماله . فافكار الموت والحب والفلق ، سردد فيها دواما العطاع الار١) وظلت هـــده الافكار التي ترددت في اضعار بولدنيو الذابية هي الواقع الذي عاشه الشاعر في السنوات انست الباقية من حياسه . اذ عساد عام ١٨٣١ الى بطرسبورج وتزوج وعاش حياة مثقلة بالقلق والعداب حتی فضی فی ۲۹ ینایر ۱۸۳۷ علی آثر اصابیه ی میارزه به تبدو بريئة في الظاهر وتنطوي على مؤامرة او جريمه في الوافسع .. مخلفا وراءه اعظم الفراغ ، محققا في سنوات حيابه الفصيرة المثقلة بالنفس والعذاب ألكثير من الانجازات .. تحرير الشعر من ربعة البلاغية .. العودة الى منابع الطبيعية الاولى .. البحث في أعوار الماريح عن المن والاسطوره .. بمجيد الثورة والفروسية والعداله .. بكريس الادب نسلاح من امصى اسلحه الانسان في مسيرنه نحو «نحريه .. الساف اجنه المستقبل وهي تنشكل في رحم الحاضر بعوة ومضاء . . حفق كل هدا لانه استطاع ((أن يحفق الوازن أنكامل بين انشكل والحوى حيس تمزج نديه الطبيعة المستقلبة الخلافة مع دفية عظيمة في التعبيس تبلع ، اذا جاز ان نفول ، درجة الدهة الرياضية الصادمه . وحيت سلافي على درجاب منفاويه من الانستجام والتناسق ، الصوفيه الجديدة بصفها استسلاما تلاما في الله ، مع الونتيه القديمه بصفها تاليها للانا في البطولة » (١٨) لكل هذا استطاع شعره أن يكسون التبشير الحقيقي بثورة الشعر في اتفرن التاسع عشر . والصوت العوي الذي خرجت من اهايه أهم التصورات والرؤى الني نهل منها السعير الروسى حتى اليوم . فقد كنان بوشكين شاعرا للمستقبل لا شاعرا للحاضر وحده . وقد اندك هيو وسط عناأبات النفي والفهر والملاحقية هده الحفيقة وتعزى بها عندما كتب ...

لسوف يسمعون بي في كل اركان روسيا المظيمه ولسوف يلهج باسمي كل لسان ولسوف يحبني قومي طويلا لان فيثارتي هزت جميل المشاعر ولانني غنيت للحرية الاناشيد ، في زمني العاني وناديت بالرحمة من اجل المقهودين .

وفد يبدو انسا تريثنا طويلا ازاء حياة بوشكين العصيرة العاصعة وموهبته الخصية العابية . ولكن ذلك كان ضروريا لان بوشكين ظل الحرف الاول في ابجدية الشعر الروسي لدى كل الاتجاهات .. لـدى الانجاهات الرسمية ولدى الخارجيان عليها على حد سواء . بناه الجميع وزعموا بانه الجند الاصيل لهم . ولانه الستطاع ان يجعل الشمور نادرا على استيماب « صورة المجتمع الروسي عير لحظة شائفة من لحظات تطوره » (١٩) . ولان هذا التريث كان ضروريا حتى نتعرف على كل الروافد التي ستصوغ مسيرة الشعر الروسي حتى اليوم .. فمن صدامه الدائم مع السلطسة بدأت دحلة الشعبر الروسي الدامية في مواجهه القهر السياسي وطبعت هذه الرحلة الشعر بميسم واضحح حتى اليوم . ومن شغفه بالطبيعة ولدت اجنة تيار حي ومتجدد في الشمسر الروسي لجأ الى الطبيعة ترفعا عن ابتدال موهبته مرةوفناعا للتعبيس اخرى ورؤيسة فلسفيسة وصوفيسة للعالم ثالثة . ومن موفقه من فضيتي المدل والحرية ينحدر تيار كاسح من الشعر الروسي الذي اوقف جل اهتمامه على الفضية الاجتماعية والافتصادية وربما الاداربة ايضا . ومن مسيرة حياته الغاجعة تشكلت الحروف الاولى في رحلة المناق الدامي بيسن الحيوية والمأساوية في تاريسخ الشعر الروسسي التتمة على الصفحة

⁽١٦) راجع نجابي صدفي (بوشكين ، امير شعبراء روسيا) دار ستارف ، القاهرة ١٠٤٥ ص ١٠٣ .

⁽١٧) هنري ترويا (بوشكين) ص ١٧٧ .

⁽۱۸) المرجع السابق ص ۱۱ ، ۳ .

⁽١٩) راجع ف.ج. بلينيسكي (الاعمال الفلسفية المختارة) ص ٢١٢.

خليل الموسو

اربع معزوفات من قيثارة بردى الم امرأة عبلى

المزوفية الثالثة:

ما زلت اصفيّق للآتين من الماضى: اقرا: حيث ك . . احفظ: عهدك ... أرسم: وصلك ... اصرخ إلحرية لون الشهداء . . للحريبة لون الشهداء ٠٠ لكنك ما زلت الوجع الآتي تبتاعين الالم المفقود وتنتظرين آه يا أمراة حبلت من وجعي اندفعی . یا امرأة حبلی اندفعی انتحبى ، اوجاعك تكبر في صدري انتحرى . يا ايتها الاوجاع انتحرى احزانك تنمو في خلدي ابتعدي . يا ايتها الاحزان ابتعدى اقتربي : هذا جسدي هذي انهار دميي

المزوفة الرابعة:

بشرى لك يا امرأة: اعقد مع نهديك الورديين معاهدة حبلي بالنار وامنحك الاوسمة الخضراء . . اوسمة الفقراء . .

اسقيك دم الغرباء :
هذا سيفي . . هذا سيفي
بايعتك رمحا في جسدي
بايعتك سيفا في عنقي
انعتق . لم يبق من العشاق سوانا فاقتربي
بايعتك سيدة : هذا زمن الفقراء
هذا عصر الشهداء
سيدتي : لم يبق سوى الحب الآتي
لم يبق سوانا يا امرأة
لم يبق سوانا . . .

دمشبق

المعزوفسة الأولسي:

تزرع عيناك سؤالا في صدري: « أحببتك ؟!» « ما أحببتك يا وجع الحلم الآتي ؟!» .

الح مطر النغم المرمي على شفتيك يشق عراه فمي، أرغى حلمي ،

عربه ، اصبح كاسا . . خمرا . .وترا مذبوحا . . فاض دمى

انفتحي يا أيتها اللفة

انفضحي يا ايتها المسجونة بين القلب وبين الذاكرة العبلي ،

يا أيتها الحبلسى انفلتسى امتدي وعدا . . وجدا صوفيا : المتدي وعدا . . وجدا صوفيا : «حبك ، اكبر من صدري ، صوتك ، أوسع من حلقي ، صمتك ، اطول من عمري حرحك اكبر من ألمي . . » احببتك ؟! ما أحببتك يا أمرأة حبلت من وجعي ؟! ما أحبيتك يا أمرأة حبلت من وجعي ؟!

المزوفة الثانية:

لانشر عيناك على مدن الحلم الابيض طلا من بردى . . اجنحة بيضاء . . ربيعا اخضر . . ونصفق في ارصفة المنفى : كفا . . كفا . . كفا جسدا . . جسدا المنصي المنات المنات

ماذا تبغين ايتها الكآبة؟

تاوه باب الزنزانة . جاءتك فرقعة الحديد . اطل بوجهه الخشبي. خبئ مسلسه في معطفه . انزل السيجار بحركة هادئة ناعمة . انطلق الدخسان ذائبا .

_ كيف الحال ايها الصديق؟

تمعن ، اصبحت صديقهم !؟ بدأت بشكل آخر ، استهزأ كلماتك منك ، قبض الربح كلها كلها !

- لم انم البادحة .
 - المسك الضرب ؟!
 - ـ لم تجريبه!
- ـ بلى ، جربته في مظاهرة !

« لتصدح الالحان . عيدنا في هذه الايام . سنخبط منها الفد. ها هم الاصدقاء يجتمعون في الغرفة العليا . العجوز تحضر الشاي. نسيت نظارتها الصفيرة ،تبحث عنها فلا تجدها .

... ماذا تفعلون ايها الملاعيسن !؟

رهنا نخفي القماش والاصباغ . محمد رضا كان اسرعنا . وجهه الطفولي قابل المجوز بكركرة هادئة :

- لم تضحك أيها الاشقس ؟!

تعرفه جيدا . ضحكته مبيزة في الحي . شعره علامة صارخسسة كالعلم الاحمر . كيف كان شاذا في شعره ، ياللغرابة !

ـ يا امي نحن نكتب خطابا غراميا لمحمد رضا!

ـ وماذا أخفيتم هناك ، تحسبونني عمياد ، يا للابالسةالصفار !» وجهه ينضع بالالم . مثل هؤلاد يتألون ايضا ؟!

- ۔ في مظاهرة ، كيف ؟
- ـ انت لا يحق لك ان تبحثهن عواطفي ، انا لي الحق فقط !
 - (حين تناولت السماعة جاءني صوته حادا كالنصل .
 - انهض! لدينا عمل مهم جدا ا
 - ـ حالا يا سيــدي .

رمقتني زوجتي . عندما نهضت ، القـت الغطاء فظهر بطنهـا

- ۔ این ستلعب ؟
- ب الى المعيل طبعا !
- . في هذه الساعة المتأخرة مناطليل ؟!
 - ـ مشاكل كثيرة في البلد .

- **_ غدا ستكثر الظاهرات . انا خانفة عليك .**
 - ـ ساحمي نفسي بقوة .
 - _ جميع الناس يكرهوننا!
- تحن لا نميش من اجل الناس ، نميش من اجل انفسنا فقط . سنسحق من يعترض طريقنا .
 - ۔ انا خائف۔
 - _ سائهب ، انتبهي للطفل » .
 - نحن نعرف بعضنا جيدا باخالد .

تحرك قليلا فبانت رجله اليمنى تزحف في اثر اختها .اعادالسيجاد الى فمسه وسحب الدخان بقوة الى جوفه . بدأ اكثر ارتياحا . كأن الالسم الذي طفح في عينيه غاص في الإعمال .

_ لعبنا كثيرا وحان وقت الجد .

هذا هو الوقت الرهيب . وقت الجد هذا يفتح ابوااب الجحيم .

- « ذهبت العجوز واستياؤها . قال محمد رضا :
 - _ يجب ان نخفي اللافتات في ثيابنا .
 - _ كلا ، الإكباس افضل!
- _ لو وضمنا اللافتات في الثياب لانتفضنا .هذا مضحك !
 - غضب محمد وحك شعره الاشقر:

ـ الى مظاهرة!

ـ نعم ، الناس اصابهم بعض الخمول والمدادس مغلقة . كيف يمكن تحقيق اهدافنا بدون نشاط الناس ؟)

دخل شرطي ممتلىء الجسم . دُو شاربين كثيبن . وقف صنتمدا لاي امير .

ـ اربطـه !

جادك شرسا ، اخذ يديك وطواهما وراء ظهرك ، اوقف ك اسام الجداد ، ربطك جيدا ، حبات عرق صفيرة تنمو في جبينه ، رائحت رائحة رجل جبليعاش طويلا بيسن الماعز ،

۔ انزع ملابسه!

ملابست تكاد تتمزق على يديه ، يبدو عجلا ، لديه اعمال اكشر اهمية . اخيرا وقفت عاريا ،

(نسرع في السوق . الحقد ، الغوف ، الشك . الناس كلها تعرفك . انت الذي سوف شمل المظاهرة في المدينة . انت عضو خلية . الجميع يعرفك . تثرثر في كل مكان . الجواسيس يتبعوبك . جميع اصدقائك آخبرنهم بالمظاهرة . التعليمات مشددة . خرفتها . لا انضباط . والان خوف يجتاحك . الان تريد أن تندس عاديا بين الناس ، وانت الذي اردت الوقوف متميزا فوفهم ، كيف ؟ العيون تراهبك وتترصدك لا تتمجل في خطوك . آنهم يكتشفونك . اللابس بغرزة بشكل لافت للنظر . أحدهم يسأل : اصبحت سمينا هذه الايام ؟ هل هذا اقتراح للنظر . أحدهم يسأل : اصبحت سمينا هذه الايام ؟ هل هذا اقتراح انه بثقافته ووسامته وحبيبته سيصبح زعيما . تبا له ولاقتراحاته . لا فائدة من الخوف . لامض بسرعة . ولكن المخبر يلاحقني . يتصنع البحث عن دكان ما . حيلة غبية . يجب أن أنجه في هذا المنعطف .

والان ها هم الاصدهاء مجتمعون ، كل شخص بمفسرده . شـق الطريق اليهم ، اين محمـد ؟ ها هو يأتي اليك . وجهه الوسيم ، ذو الرائحة الفارسية ، مشناق الى الفرب . يبدو هادئا . انه يبنسم. يبتسم بالفعل في هذا الوقت ! يقترب منك .

- _ کل شيء جاهز ؟
 - . Lalar _
- اراك مرتعشا مصفرا ؟
- لا تتهمني بالجبن يا تافه!
 - _ خالد ؟

هجمت عليه دون وعبي . سندت له ضربات حقيقية . داح يدافع عن نفسه بلا هجموم . شعره الجميل ، وجهه ، حبيبنه ، بنت كلها مثيرة للحنق والبغض . كيف لا امتلاك انا كل هذه الاشياء ؟

تجمع الناس حولكما . كانت الضربات موجعة حقا . اذا بــه يهتف فجاة :

_ يسقط الاستعمار!

تردد الشمار من أفواه عدة ظهرت اللاعتات . وجدت العصي بسرعة. فعي البعض ،جاء آخرون . انتبهت لنفسك : لسم لم اظهر لافتاني ؟!»

- اعترفت بقضايا اهم ، له لا تعترف عليهم ؟! دمرت نفسك ، سوف سبجن عشرين سنة كامله ، استخدمت المعجرات والسلاح وقمت بالقتل المتعمد مع سبق الاصراد . . كل هذه التهم تلقيك في جهنم ، لن تتردد في استخدام حقتا ضدك . . اذا له تعترف باسماءاصحابك . . جميعهم . .

ينفث الدخان والكلمات بحنق شديد . الشرطي يتابع حركسات يده بانتباه . السوط ينتظي .

- اعترف باسماء اصحابك فورا!
- « ـ سوف طهب مع جماعتك الى السوق ، نشم رائعة غريبة . .
 - ما الذي تتوقعه ؟

- مظاهرة كبيرة تهز البلد . الهدوء عم الناس ، بعد ان استغلوا طاقتهم في الحركة والضجيج ، لكسن هؤلاء الحمر لا يتركسون الامسور تهدا ، سوف يحاولون تأجيج النار الخامدة مرة اخرى .

- _ والاوامر ؟
- ـ الضرب بشدة .
- سنلجأ الى النار ثانية ،تلك مشكلة كبيرة .
 - ولكن آلا توجد وسائل اخرى ؟

رمقنى بحدة . كأنه يقول ((أتظهر التردد الان ياتافه !))

جاءت اللا كطلقة حاده اخترعت رأسي . تذكرت زوجتي الحامل. لو حدث لي حادث في هذا الوقت ؟ آه يجب ان لا افكر في هسسله الظسلال السوداء ».

ـ لا اعبرف .

. 4 -

آه كيف نطفت بهذه الكلمات ، وانت الذي حرقت نفسك ،كيف؟ لا ، لا هائدة من الصمود . هيا اعطهم جميع الاسماء ،ماذا سيغطون لهم ؟ مجرد تحقيق نهافراج، أسا انت فسوف تحرقك نار جزيسرة السجناء الملنهبة عقدين من السنين او اكثر . ستنتهي .يجب ان تدلي باسماء رفاعك علهم يخففون عنك الحكم .هيا ، هيا ، بع بالاسماء السرية والعلنية وفك العقدة .

- . ! 1 _
- _ مسانا تقول ؟
 - . 17-

هوى عليك السوط بحدة وعنف . ضربات متتابعة سريعةلا تتوهف مطلقا . البدوي الشرس لم يعجز .يداه نتحركان كالآلة . ايسن تهرب تجده خلفك تماسا . انه يستخدم يديه الآن صفعا ولكمات مستمرة . ها هسو يستخدم حداده ..

هيا اعترف على الآخرين بعد ان اعترفت على نفسك يا ابله . من في العالم اعترف بهذا الشكل ، من ؟ « بنطلق جماعني ، نفتش السوف بحثا عنهم ، انهم موجودون دي كل مكان .وغير موجودين أي مكان . الاسلحة جاهزة ، الدوريات تنظر اللاسلكس ينتظ .

وظهر الضجيج من مكان لم ننوفعه . سوق الخضار الغديسة . آخسر محل يمكس ان نتوقع فيه نشوء مظاهرة . .

- ـ الفيادة ، نرجو السال عوات الامن فورا !
 - ـ العيادة ، ترجو ـ أين المظاهرة ؟
- _ في السوق ،عند سوق الخضار القديمة! »."
- _ ايها الغبي لماذا اعترفت على نفسك فحسب ؟
 - _ الذي اعرفه فعسلا .
- _ ما اعترفت به سيؤدي بك الى كارثة ، ان لم نساعدك نحن !
 - ـ تساعدوننـي ؟!
 - ۔ نمم ، نساعدك .

راح يفك الحبل . فدم لك سيجارا . رحت تدخن بعنف . كانت السجائر كثيرة في الفرفة ، الجميع يدخن بادمان . تفكير دائم في مستقبل البشرية . والان التفكير في الاعتراف وسحق الكرامة .

_ سوف نخفف الحكم عليك . سنتان أو خمس على الاكشر ، وما أن تحل مناسبة هامة حتى نقدم للك المرحمة الجاهزة . ستكلون صديقنا في السجن ، السجائر ، المجلات ، الراديو ، الفلمسان ، ستكلون كلها تحت تصرفك ..

يكفي ايها السفاح ، يكفي ايها القائسل! انتم واجهزتكسسم وامتيازاتكسم

« من ايسن ظهر هؤلاء الرعاع ؟ امطرونا باحجارهم ، مزفونا ».

« ها أنت تنطلق مع الجموع ، ظهر الفقراء فجساة ، الاسمال البالية ، العرق ، رائحة الارض ، جميعها طلعت بفتة ، تفلفل العمسال بينكم ، شقوا السماء هتافا ، فهسو حي متدفق بالبؤس وأندر ، ظهر المفنى الاشقر في المقدمة ، اخرج كمانه الفديم ، فانبعثت الالحسان الهادرة ، نفم حاد ينطلق في كل الجهات يعانسق الاشجار والطيور وأليسوت ،

_ جاءوا !

الرعدة عسري في بدنك . نهتز . تريد أن تجري . سدوا الطريق امامك ، وامتلات الازقة بالهاربين . هيا أهرب معهم ! التعليمات ؟ القها في البحر ! ولكن . . انهم يطلقون النار . الضابط يطلق حقده من مسدسه . أهرب ، أهرب ، لا فائدة من الوقوف . حماقة كبيسسرة

التصدي لهؤلاء . انهم يزحفون فوق الجثث. الشعر الإسعر انقلب جرحا مفتوحا » .

- لن يفيدك احد . الاعتراف سيخفف الحكم عايك .
 - ـ ما الذي يضمن لسي ذلك ؟
 - ـ لا شيء ، سوى ثقتسك بنا .
 - ۔ ثقتـي ؟

(انهم يقلعون الباب . فورا الى غرفتك . صمتت العجسور منعورة . سحبوا زوجتك شبه عادية . يأخذونك من فراشك . الفيد. السلاح فوق راسك . يبحثون في الغرفة عن ادلة . مزفوا فراش العرس . بعثروا الكتب . لم يجدوا شيئا . وفقت الام تبحلق وتبكي بعون نظارتها .

- _ ماذا تريدون من ولدي ؟
- اسكتى يا امرأة ، لا تزعجينا .
- انا ازعجكم أيها الوحوش الكافرة! مزقتم ما اشتريناه بعذاب
 العمر ، كسرتم يدي ولدي . .
 - انا ازعجكم يا كلاب ، يا مومسات .. انا .. ؟
- اسكتي يا اماه ، دعيهم يبحثون مرة ثانية ، لن يجدوا شيئا.
 - ت سنجد ، سردالك البلل بالبول يؤكك ذاك ١١ ا
- « اجلسوك بعت الاضواء الساطعة . احضروا الصور ، بعايسا المملية . كتب . تقرير قديم ، كيف عثروا عليه ؟
- ـ نحن نعرف كل شيء . انت فعت بالعملية . كسرت ساقي ايها المجرم . اخلت المتفجرات الموضوعة في علية كعلب الصابون ، وزحفت تعت السيارة . كان الحارس نائما . ووضعتها بشكلها الرسوم في هذه اللوحة . انظر جيدا ! نفلت العملية الساعة الثالثة صباحا . . هذه صحيح ؟

بوفف الحركة في رأسك . عينا صاحب الوجه الخشبي بضعنان. اصابعه بدى الطاولة بهدوء وثقة . زجاجة الحبــر كمحيط هائل . سيقتلعون اظافرك . سيسلخون جلدك . يعرفون كل شيء . هل هسلاة صحيح ؟ حدثت خيانة ولا شك . خيانة اودت بك . تآمروا عليك .خيانة هائلة سوف نبتلعك الان . هذه اللحظة : هيا استسلم . الاصابح الميـون . المسدس . المحيط الازرق . الخيانة .

۔ نمسی

نطقت بالكلمة وابتلهناك نيران الجحيم . اين ذهبت اللا ؟ تعودت على اللا ، عشت منها ، كيف خرجت هذه اللفظة الزانية « نعم » ؟ »

ـ هل كان دائما فتلي ايها المجرم ؟! فمت بعملك البطولسي واعترفت . اصبحت في نظرنا قحبة .

الست رجلا مطلقا . سنبصق عليك . اعترفت وانتهيت . فصا فائدة الصمود الكاذب في نصف الطريق . هيا بح باسماء الكلاب الذين ينامون ملء جفونهم . هيا والا عننا الى الضرب والسجائر . .

آه يا آلهة الجحيم كيف سامضي هكذا معلقا في الفضاء ، بيسن السماء والارض ، الجميع يبصقون في وجهي ، يريدون الزيد من الاعترافت ، لا يشبعون مطلقا .خنت القضية . هل آمنتها حقا ؟! اعترفت ، كيف اهرب من الاعتراف . تلاحقني لعنة وحشية ناكل لحمي ودمي . بصفات طفل .هل استطيع أن أزيل النمل وأقصه من جذوره بسكيسن لا تشبع من اللحم ؟

«جاءوا بجثته . شعره الاشفر يزهو في الطريق علما احمر يقود نصو غايسة بعيدة . (هل سيصلون اليها ؟) احضره الناس . الجمع الغفير استحال ربابة حزينة . بكاء ونحيب وكلمات زاهيسة وبائسة. هل رأيت خطيبته ؟ الافل منه وسامة وجمالا ؟ الصامسة الضجولة ؟ المزقة الثياب ؟ التي كانت تعض اصابعها وتأكلها ؟ الذابلة المجوز فجهاة ؟ المجنونة بين القابر فجأة ؟هل رأيتها ؟ انت رأيتها . رأيت الحب ينبض بالسدم والجنون . غصت في وحلك ايها الجبان . سرت في الطرقات تعزف اغنية لسم يفهمها احد . سرت وانت تشق صدرك .

انت نحبها في الحياة والموت والجنون . ظهرت بلرة السوء . حاولت ان تسحفها ، تلقيها بعيدا . ظلت تنمو وشرعرع . غدا القتل فرصة ذهبيسة لك . الوجه الطفولي الرائع غاب ففرحت . جاءتك الاحلام للكوابيس . أنها لك . الهرب اعطاك اياها . خذها ايها النذل . ضمها فوق جثنه . ابك بين الجموع وتصنتع الحنون . مثل جيدا . تعملق خلف صورته . .) .

- ــ لن اعترت . العلوا ما تساؤون بي .لست سوى چثة هامدة . ــ نعرف ذلك . ولهدا نحـن نريـد ان نجعل هده الجته بدلـي بيعض الاسماء ، الاحياء لا يعترفون يا صديعي ،والن الاموات . .
 - « عندما دحلت وجدت زوجني منعورة .
 - _ الخادم حاولت فليي !
 - اصيت بعزع شديسد .
 - _ این ذهبت ابنیة الکلاب ؟!
 - سفطت على صدرك .
 - ۔ سیفتلوبنا . یچپ آن نہرپ .
- ـ ماذا تقوليسن ؟! نحسن في امان هنا . لدينا اسلحه وحرس. اطمئنسي .
- ب المد دينون لمزيفنا . لا أحد يعينا هذا . الباعة 6 الاطفال .
- الساء ، المراهلون ، جنيعهم يريدون الفاك بنة . يجهد أن فرجل ،
- ـ سالي هنا . نعالي هنا، يجب ان تسنريحي ، لا تتمبي طفلنا . جلست وهي برسس .
 - ــ ماذا فعلت الخادم ؟
 - وجِهها شاحبِ فاحل . موت مخيف يزحف نحوها .

عندما كنت نائمة شعرت بشيء يخنفني . كدت اموت . كانطعلي يبكسي بشدة . بقوة استطعت ان ازيح الوسادة التي وضعتها الراة على وجهي . اخذت دفعة هائلة من الهواد . المرأة اندفعت بقوة نحسو الباب . لو كانت اقوى لقتلتني المجرمة . أه !

انخرطت في كساء حساد .

ـ لماذا فتلت هذا الشاب ؟ لماذا ؟ كان جميلا ، جميلا ؛ لم يعدد على احد . كان طيبا، فتلته ! آه يا الهي تحسن الوحوش احياء نرزق ، السم ؟))

- اخبرنا بالخلية الني نفنت العملية . الرصد . الساعدة .

هيا أدل باسمانهم وارح تفسك من هذا العدّاب . لسبت بطلا ، مجرد خرصة صالحة لمسح الارض القدرة .هيا أذكر الاسماء العادية لثلاثة من الحمقي الاخريس !

« الليل نقدم . وها هو الصبح يقنرب . وانت تمضي الى العمل السلي لسم تفهمه .

- ـ سوف ننتقم لرفيقنا وشمينا .
 - ۔ هذا عمل جباد!
 - _ سوف تنفذه انت!
 - 99 UI 9 UI _
- _ نعم انت . صديقه العزيز . يجب ان تنتفم . .
 - * * * * *
- انت اصلح رفيق في المنطقة ، جسميا ونفسيا وسياسيا .

ها هي السيارة تربض تحت المهارة . الحارس نائسم . ازحف ازحف . حتى تدخل تحتها . لسم ترتعد ؟ آه ابن الاسلاك ؟ القفاز لا يغيد هنا . يجب أن تخلعه . ستكون كارثة لو لسم تنفجر . البصمات. هيا لا فائدة الان من التردد . هل هذه حركات الحارس ؟ آه أنه نائم. وثقوا بسي . سارتفع في عيونهم جميعا . سانتقم لمحمد وانقد هسدا الضميسر المتعفى) .

- جاء الشرطي ثانية . سوطه لم يزل ينتظر .
 - ـ. ألن تواصل اعترافك يا حقير!
 - (_ لا تخافى ، سوف ندهب من هنا .

- ـ اين ؟ اين ؟ كل هذا البلد مقبرة لنا .
 - _ ماذا افعل اذن ؟
 - _ اترك هذه المهنة!

_ سائھب ..

- ماذا ؟ اترك المهنة التي نقلتنا من الحضيض الى القمة ؟! ولم، من أجل وساوس المرأة مخبولة ؟! لن الفعلها مطلقا ، مطلقا !
 - كنت اكسر كوب الشاي . نظرت الي بوهن وحزن .
- ... نقلتنا من الحضيض الى القمة ؟ قل نقلتنا من الكرامة السي العنساءة والاجسرام.
- ماذا تقولين يا امرأة مجنونة حمقاء ؟! اسكتى ، لا أريد سماع هذه الكلمات منذ الصباح الباكر ..
- سكتت وهي تبكي . قمت نحوها ، اخلت راسها بين يدي .وجدت عينيها تنامان في غابة محروقة ، اطفالها قتلى وزهورها افاع .

تناولت مسمسى . اخلت مفكرتي . سقطت صورة على الارض . كنت انهسها . حين تناولتها وجنت امي تناديني . وجهها الكئيب بعانقتي ، معالم قبر امي اضعته ، وضعتها ثانية .

اغلقت الباب، جاءني الصباح متجهما . الحارس اسرع الى تحيتي. عيناه هادئتان .

- _ اجلس هنا ، لا تبارح الكان .
 - _ حاضر يا سيدي .

السيارة باردة . يجب أن أبحث لها عن مكان تنام فيه . سيمزقها الطل . عندما ادرت المغتاح ، وملأت السيارة بالبنزين جاءني الاعصار من الاسفل . دوي . ألم . نار . دم .»

« السيارة تحملك الى الموت . ماذا حدث فعلا ؟ هـل اكتشفوا العلبة ? بصماتي ستكون هناك في انتظاري . لا شيء لافت للنظر . ماذا ستقول الام الان ؟

عندما وضعت اولى قدميك جاءك صوت الام قرحا:

- قتل السفاح يا ولدي!

اعظم بشرى ، انجزت عملك العظيم . انتهى القلق الذي نخيرك في العمل . انت من الخالديسن . ارقص هنا واشرب نخب النصر. الام لم تستغرب هذه القبل . المطو . راتك تتسلل خفية . تحمل ادوات الوت والربيع القيادم.

- _ ماذا تعمل في هداة الليسل ؟
 - _ ازدع الموت .

تأتى الزوجة . ترفعها . تحضنها .لا تسعك الفرحـة . ايـن تقبلهما ؟ دعوني > دعوني ارقص نخب الفرحة العارمة .

- لم يقتل السفاح فقط ..
 - ترمقها بمجب .
 - _ من ايضا ?
 - _ زوجته .
- _ زوجته ، ماذا اصابها هي الاخرى ..!

ـ لقد نزلت حيثها سمعت الانفجار . جاءت مدعورة عاربة . بطنها المتلىء بتقدمها كالكرة الكبيرة . راحت تبحث عن زوجها . الحارس وقف منعورا يحرس السفاح . حين التم الناس في ثوان ضربوها ضربا مبرحا . أن لم تمت فسوف بخرج طفلهاجثة هامدة .

الصفر لونك فجأة . غاب الفرح .

- _ ما اقسى الشعب في انتقامه !)
- سوف نحضر زوجتك لتراك وتقرأ اعترافاتك !

بدت اللا حادة عنيفة هذه المرة . ستبصق فوفك منن صورت نفسك امامها بطللا مقداما ، ستظهر حقيقتك بشبعة كالجماجم انطاق في اعتباقك ضدهم جميعا ، جرهم الى وضعك ، لا شيء بوقف الخيانة، الخيانة محيطك يبتلع القارات دون رحمة . هما قبل أن تراكوتضربك على وحهك بحداثها.

- _ ماذا تقسول ؟
 - ! 1 _
- ـ ثانية ؟ تتصنع الشجاعة . سنهزق وجهك امام اصحابك .. اشار للشرطي فالبسك ثيابك العاخلية بسرعة . قيسعك نانيسة

غاب عنكمــا . « كانت جالسة في غرفة النوم تنتظر . دخلت عليها باكتئاب . اطفات النور . غدوت شبحا مخيفا امامها . جلست على السرير ونزعت

ملابسي وقعمي الصناعية . زحفت نحوها . كانت شاحبة وحزينة.

- _ هل سنخلق طفلا جديدا ؟
 - ـ نعـم ،
 - الن يقتلوه ثانيسة ؟
- . انزعي هذه الافكار القاتمة .
- ـ وجوههم تلاحقني . وحوش مفترسة !
 - لن يقضوا على رغبتنا.
 - ... ولكنهم سيئتصرون !

ظهرت مخاوفي على لسائها . نطقت بها . ((سينتصرون)) هسله الكلمية الخيفية التي تؤرقني اذن .

- نعم ولكن بعد فترة طويلة جدا . انهم يحيون بنواقص كبيرة ، وحين نقضي على عقلهم المفكر ، تنظيمهم ، سننام بهدوء . يجب ان

حاولت أن تتكلم لكني أغلقت فمها ، رحت التهمها وأشرب مين نيمها بلا توفف .

ــ ها هي يا سيدي !

دخلت قلبك وغاصت نصلا لا يعرف المساومة . عينان تبكيان بصمت ، ووجه صارخ صامت .

- ها هو زوجك جثة نتئة ، يتفق مع صديقك الاشقر فيسي الموت الان!

تطالعك والشرطي يمنعها من الاقتراب.

- اعترف بارتكابه الجريمة!
 - اينة جريمية ؟
 - قالتها بارتماش.
- محاولة اغتيالي يا منحطة .
 - تسميها جريمة!
 - اجتاحه غضب هاثل:

- انظري اليه لا الي ، انظري الى الخائن الذي اعترف وانهار كالراه . انت الفناة صمدت لكن هذا الرجل المقاتل تحول الى حداء مهتریء ، ابصقسی علیه !

وجهها كالحجر . كيف اصبحت هكذا ؟ هل هو الحب ؟ هل همو الحمل ، البطن المتلىء بذكرى والواعد بالفد ؟ هل هي الكلمات العظيمة ، ليالي الكتابة والفرح والموسيقي والعمل اليومي الدؤوب ؟ كيف غدوت امرأة من نار فجأة ؟ هيا احرقيني فلست سوى خرقة . قملة . ذبابة تزعج الثور في حقله . حوليني الى تراب وسمساء ابتها الرأة القديسية!

« دخلت المنزل بشوق كبير. وجدت الاضواء مطفأة . ماذا حدث! حيسن اعدت الضوء الى الكان الكثيب وجدتها على الارض. قطعست شرايينها وبلعت كمية كبيرة من الحبوب . وجهها أزرق ، وعيناها مشنوقتان . الشمير الاسود الفاحم اصطبغ بالدم .

- حين انتبهت وجدت الصباح طالعا كالحريق » .
 - ـ اطردها!
 - ـ لن تتغلب علينا!

اخدها الشرطي بعنف وهي تحدق في وجهك ,كانها لعنة وذكسرى حب مريرة وامل ينمو بين الجثث .

- _ ساحضر مرة ثاتية ، فاستعد!
- ـ البحرين ـ اغلق الباب المتأوه وعاد الصمت .

جودت فخر الدين

خالد في ذاكرة المرم

في ذكرى الشاعر عبدالطلب الامين

يولد فسي اللحظة وعدا يحضر في ذاكرة الزمن المظلم بعطيه الحاضر بعدا يفتح عينيه على الجرح يلملم بالاهداب خيالات العشب المروى دمساء يخرج قنديسلا يمطر اسيافا وزهورا ويعيش طويسلا يحيا منتشرا بين الآلام وبين الصبح يتخلد في ذاكرة الجرح . يخلع بردته النبوية يلج العصر من الباب الواسع يكسر عند الباب عصاه السحرية لا يهسط بل يصعد من قاعدة الالم يطلق اشرعة من عرق ودم يخرج من فوهة البركان ويصبح ضوءا يتسئل بين الفينة والفينة يدخل في مقصورات المرحلة المتجهمة الوجه ويحدث ضوضاء كنت أراه على كتف العتمة متكما تواق الرغبة للكشف وغوارا للباطن حتى التيه يهوم خفاق فوق مساحات الظل وتزهر كالخضرة في عينيه مسأفات الحلم المتقطر فوق لبانات الحاضر كالخمرة اذ تومض صافية كالبارب توقد ذاك الكامن في العمق المتخفى تحت رماد الاعوام المتثاقلة الخطو فينضو عنه غبار الهجرة في التاريخ المهزوم ويعلن شوقها

للسفر القادم نحو البدء كنت اراه بحدق مشدوها يتوسم عشبا يتطاول فوقضفاف النهر فتفحؤه رائحة الماء الاسسن يفتح نحو الخارج آفاق الفربة يفلت في سانحة كالبرق فيخلع اردان الماضي يتعرى كالصدق ويصبح اشتاتا وعلى طرف اخر للعالم تبدأ صيرورتسه يتكون شكىلا آخب يرجع محتشدا باللفة المحكية بهرب كالآتسي يأتى كالهارب بحضر منفلتا ىتفلت منفمسا (كان بحدثنا عنه المكدودون الضعفاء النوام على الارصفة السهاد على المنعطفات ومما قالوا): « لا يظهر الا في الليل ويفرق تحت ستار العتمة في انشاد الفزل الفاحش بعرف أن الدم يشرق ان أهدر في الليسل يجيد الحب اللاعدري وأكثر ما يحسن وصف اللظمة لا يتخيل الا اسراب الطير ميممة شطسر الافق الرحب وآتية في طيأت الفجر المحبول برائحة الدم يبقى في هذا الليل وحيدا يبكى احيانسا ويفنى احيانا يتكون في هذا الليل شعاعا (يأتي من غامض علم الله) ويصبح في اللحظة وعدا يحضر في ذاكرة الزمن المظلم بعطيه الحاضر بعدا يحيا منتشرا بين الآلام وبين الصبح بتخلد في ذاكرة الجرح .

د. جليل كمال الدين

صلم عبد الصبور ناقدا

يعد الشاعر المعري صلاحالدين عبدالصبور من انشط الادبساء العرب واغزرهم انتاجها .

فقد كتب العديد من دواوين الشعر ، والمسرحيات الشعرية ، والمقالات ، والمراسات ، والتحقيقات ، وادب الرحلات . ومندواوينه المشهورة (الناس في بلادي)) و « القول لكم)) و « احلام المضارس المشهورة (الناس في بلادي)) و « القول لكم)) و « احلام المضارس القديم)) وغيرها . وقد صدرت تباعا في الخمسينات والستينات . اما موضوع حياة وجهاد واستشهاد الصوفي العربي الكبير ، المشهسور بالحلاج . اما مقالاته ودراساته فقيد توالت في مجلات (الشهر) بالحلاج . اما مقالاته ودراساته فقيد توالت في مجلات (الشهر) و « المجمهورية) ، كما تشر بعضها في جرائد « الاهرام)) و « الجمهورية) القاهرية ، وقد جمعت هسده برائي واضفيت البها دراسات ومقالات اخرى ، فصدرت ، فيما بعد ، في كتابين هما « حياتي في الشعر)) و « وتبقى الكلمة)) .

والذي يهمنا هنا هو حقل النقد الادبي في نشاط عبدالصبود وابداعه الفني والفكري .

فعبدالصبور من الشعراء الذين يمكن تسميتهم بالشعراء النقاد، وهم عائلة كبيرة تمتد من كولدرج الى شلي الى ايليوت وماياكوفسكي وتاظم حكمت وتفاردوفسكي وتيخونوف وغيرهم .

وبالطبع ، فان النقد الادبي ، والبحث ، والدراسة الادبية مناطق ليست محرمة على الشعراء ، بل لعل الشعراء هم اولى النساس بارتيادهما ، لارتباطهما الذي يكاد يكون عضويما بابداعهم الشعري الحديث . فهم مهندسو الشعر ، ومبدعوه ، وهم من ينبغي ان نسال ونستشير في مجال ابداعهم ، وان كان هذا لا يعني ، بالضرورة ، ان يكونوا هم المرجع الاوحد والافضل فيهذا الخصوص ، فالتفرغ للنقد الادبي والتخصص فيه شيء غير معارسته كهواية ، او كنشاط ثان، او كمجال للتوضيع والتغسير .

يوضح عبدالصبور اصول منهجه النقدي ـ دون ان يفرد ذلك او يؤطره باطار مستقل ـ افي الفصل الخامس من كتابه ((حياتي فسي الشصر)).

فهو يرى انه رومانتيكي سابق ، وواقعي لاحـق ، لكـن بصمات الرومانتيكية قيه ثم تزل بيئة . ويقول في ذلك بالحرف :

« كنا قد خرجنامن عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية ، بموسيقاها الرقيقة وقاموسها اللغوي المنتقى ، الذي تتناثر فيه الالفاظ ذوات الدلات المجنحة ، والايقاع الناعم » .

وحين يتحدث عبدالصبور عن الكلاسيكية ، والنيوكلاسيكية (اي الكلاسيكية الجديدة) العربية ، يردف ، فيقول :

(وكنا قبل ذلك كله اسرى للتقليد الشعري العربي الذي يؤثر ان تكون للشعر لفته الخاصة ، المجاوزة للفسة الحياة ، والبعيدة عنها بعض الاحيان » .

والن فانه يرفض الكلاسيكية والكلاسيكية البجديدة ، ويعلن انتماءه للواقعية ، مرورا بعباءة الرومانتيكية ، او جسرها على الاصع .

غير ان الواقعية التي يتحدث عنها عبدالصبور في كتابيسه النقديين ليست واقعية طبيعية او فوتوغرافية ، وليست واقعية الشتراكية ، وانما هي الواقعية الانتقادية ، الرحبة ، التي لا تضيق بعالم ايليوت ولفته وفاموسه وانجازاته ، ولا بسأن جون بيرس ، ولا بقسطنطين كفافي ، والتي تفيد في ذات الوقت من انجازات بريخت، وبريخت الجديد كما يسميه عبدالصبور ، ويفصد به بيتر فايس صاحب المسرح الوثائفي او التسجيلي ، كما تفيد من افكار ومنجزات لوركا، وسارتر ، وفوكن ، ولويد ، وتنسي ويليامز وغيرهم من اقطاب المدارس الادبية الحديثة في اوروبا والولايات المتحدة .

والحق الذي لا مراء فيه هنو ان عبدالعنبور ناقسها لا يختلف كثيرا عن عبدالصبور شاعرا .

فان عبدالصبور ناقدا هو الوجه النثري ، الوجه الاخر لعبت الصبور . واذا مثلنا لابداعه بعدالية ، فسان نقده هسمو الوجمه الاخسر من المدالية ، في مقابل الوجه الشمري .

ذلك ان نقداته لا تصدو ان تكنون توضيحات وتعليقات وتغسيرات وتأملات وانطباعات وشروحا مرنة خفيفة الطلل لاشمساره الحديثة ، ولتجاربه الشعرية ، التي اغتنت ، في الفترة الاخيسيرة ، بالمسرح الشعري ، وبالافاق الجديدة التي تفتحت لسه في طوافه الشعسري والفكري ، جغرافيا وذهنيا ، في اوروبا الاشتراكية وغير الاشتراكية وفي الولايات المتحدة واسيا .

يؤمن عبدالصبور بأن الثقافة تراث عللي ينتمي اليه الشاعسسر الحديث بالضرورة ، فهو يتسول :

« ان الثقافة هي تراث هي متعمل بين الماضسي والحاضر ، متجه الى المستقبل » .

وهو يقترب كثيرا من المفهوم الايليوتي للموروث الادبي ، ولكنسه يرفض رجعنين ، ويعلن انتماءه الى التراث التقدمي الانساني العام ، ويوصي بالرؤيسة الشاملة للتراث العربي ، وبالاقدام على قراءتسسه قراءة صحيحة ، تاريخية ، مرتبة ، اي انه يعي البعد التاريخسسي للعمليات الادبية ، ويقيس كل شيء بظروفه .

ويقرد عبدالصبود ، بالحرف المواحد ، في ختام كتابه «حياتي في الشعر » ، أن التراث ليس بالتركة الجامدة ، وانميا هو حياة متجددة ، فالقصيدة التي لا تستطيع ان نمد عمرها الى المستقبل لا تستحق ان تكون نرائا ، واذن فهو يؤمن بالبعد المستقبليللماضي ـ اذا صح التميير ـ ، وبالعلاقة الجدلية بين التراث والادب المعاصر.

ويرتبط منهج عبدالصبور النقدي ، اوثق ما يكون الارتباط ، بمنهج شلى الرومانتيكي ، ولكن بثياب معاصرة .

فهو يؤمن بالشهوة لاصلاح العالم ، التي كانت لازمة شلسيني الشهورة في كل منا كتب .

غير ان عبدالعبور ليس بالاخلاقي المحترف ، وليس بالواعظ ، وان تردى ـ احيانا قليلة جدا لحسن العظ ـ في حماة النثرية ، والتفسيرات السائجة في بعض الاحيان . وهذه السذاجة هي لون من الطيبة التروبة التي تعنون لسيكولوجية عبدالصبور ذاته ،وتفرض نفسها في شعره ، كما تجد صداها في كتاباته التقدية .

وهو يرى ان ابن خلدون مثلا اقرب الى دور كايم وسوينبي منه الى ملايبين العرب الذيبن لهم يسمعوا باسمه .وبهذا يعلن عبدالعبور ، صراحة ، انتماده المبرد الى اسرة المثقفين العالمية ، دون ان ينكسر قوميته ، وانتماده السياسي التقدمي بشكل عام ، ودون ان ينسى الجوهر الابديولوجي للابداع الادبي والغني .

ويضيق عبدالصبور بالمادلات الميكانيكية ، وبالتبسيط ، والتمهيم، فهدو يرى معادلة كتلبك المعادلة التي تقول أن التاريخ العربي عظيم، والأدب العربي عظيم ، يراهما غيمر صائبية .

فالادب العربي ينبغي أن يدرس ضمن ظروفه ، وهو ليس في كل الاحوال ، انعكاسة للتاريخ ، وقد يعظم شان الادب في فترات الضعف السياسي ، والعكس بالعكس . أن الشيء الذي يؤكسه عليه عبست العبور هو العاليسة والانسانية وشمولية الرؤية الغنية .

وهذا ما جره الى السرح الشعري ، ليجد الزيد من الحريبة في عرض افكاره ، كسا جره ، بالقابل ،السبى العالم الصوفسي والمسطلحات الصوفية . ويقع عبدالصبور في بعض تجاربه الشعريبة في هو ة الميتافيزيكية الحديثة ، وان كان يريد تبريرها بالصوفيسة الثورية . ان عالم الدراما الشعرية لديه يجدد مدخله في القناع، وهو ينتقل من الوضوح المطاق الى الابهام الموحي ، دون ان يتخلص من النثرية . ويربط عبدالصبور النافسسد ذلك بفهمه للموروث الادبسي بالشكيل الذي عرضناه .

كلية الاداب ـ جامعـة بغداد

سعيد رجو

صراع في اروقة الذاكرة

تفشاني غاشية الاحزان الارضية تزكمني رائحة حنوط الاجداث الحجريه اشعر اني في جوف بناء اثري: مجهول الابواب يتردد في عتمته الآسنة فحيح هوام الصمت المفمورة بجليد الاحقاب .. بحليد الاحقاب .. ويفوح هسيس الاموات من الاشكال العظميه

اضرخ من غيهب هاجسي الفاجع في وجه الاقدار تهتز الاشباح البشريه ترتج مداميك الذاكرة الحجريه وكعاصفة

أركض في الاروقة المأهولة بالاهوال وادق ادق بأقدامي طبل الارض لينهض عفريت الزلزال

طب

عبد الفالق الركابو

الصهيل والصدى

كلَّما ازدهر الدم ، ما بين عرقوب _ والبحر ، فاجأت الارض ابناءها يلجون التخوم البعيدة ، ينتصبون ، على كل رابية ، شجرا ، تستظل العصافير ما بين اغصانها

غير أن البنادق ، مبهورة ،
تشرئب بأعناقها الزرق ،
تفتض عذرية الصمت ،
يخضل وجه البراءة بالدم ـ
تهوي العصافير
تفرض الصمت ، أكنها
تستثير السؤال

- 1 -

عادة تستفز المدينة عشاقها
كلما انتصف الليل
عندما عكرت ، هدأة الحلم ، ما
بين عرقوب والبحر ، اطلاقة
فاستفاقت على جثة الصمت _
تنزف .
تنزف .
فاجأت الخطوات المرببة
فاجأت الخطوات المرببة
بالجريمة فارتعشت شهوة
واصطفت ، من جنود الفزاة ،
العشيق الاخير _

. . . . هي ، الآن ، منهكة تسترد ، على عريها ، طرف الثوب ، تنهض مثقلة بالكابة ،

تشرع أبوابها الالف للربح ، تقذف قفازها في وجوه الرجال

- 7 -

بيننا ، الآن ، ثمة اطلاقة تفرض الصمت :
فاجأنا في الهزيع الاخير ، استدار ، على مقلتي طفلة ، اثقل النوم أجفانها ، حلما مرعبا ، وارتمى ، بين أفواهنا والرغيف بين أفواهنا والرغيف الاخير ، يدا أثقلتها الجريمة سادرنا مثلما جاء سادرنا مثلما جاء ساطلاقة تفرض الصمت ، لكنها تستثير السؤال

- \ -

ارفع ، الان ، سبابتي ثم اسألكم واحدا واحدا:

- من ٤ نرى ٩ استدرجته
 الدروب المريبة _
- من أغلقت ، دونه ، الارض
 أبوابها الالف ــ

من ذاق طعم الدم المر ؟ ـ وحدي أنا استفردتني الذئاب التي ، فوق انيابها ، ازدهر الدم ، وحدي انا اسمع الخيل تصهل عبر البراري البعيدة ، لكنني لا أرى ٠٠

اثرا . . للرجال . .

العراق

مدينة الموتى

« ـ فتحت شوارع المدينة المكتظة بالحركة اشعافها الكبيرة، رابتلمت جميع اللدين شاهدوا الجثتين ، وعندئذ : تحسوك ابو در الففاري . نهض واقفا وهيو ينفض الفبار الذي علق بثيابه . لم يلت المنظير الى الجثة الاخرى . ارسل عينيه خلف الانوار البعيدة للمدينة التي تفقيد الوانها ، وتحرك بيطه . كان يتجه نصو البيوت المتيقة، حيث الفلام والسكون ، والاصدقاء الذيب ينتظرونه »

تجمهر الناس . طوقت الكان عشرات الدوائر ، ومع مضي الوقت اصبحت الدوائر الجديدة لا ترى شيئا من المركز . كان الخبر « اصبح سبب التجمهر خبرا يثير لديهم اكثر من احساس بالففسول . قال احد المتجمهرين وكان في الدائرة الثالثة :

.. سمعنهم يقولون انها جثة الفغاري .

في الدائرة الرابعة تعالى صوت ، يخاطب الذين حوله :

- اراهن على انها جثة ابي در .

عرف الناس في الدوائر التالية أن أبا ذر كان يسير في وسط الشارع فدهسته سيارة حديثة تركته جثة هامدة .

في الدوائر الاخيرة عبر المتجمهرون عن افكارهم بقولهم ان الرجل سقط ميتا من شدة الجوع ، اما شوارع المدينة فحبلت بالافاويال والاشاعات ، وهكذا تحولت الجثة وصاحبها السسمي مجموعة من الاساطير والخرافات . .

اقترب احد الرجال من الجثة وتفحصها بهدوه . تفحص المساحة الصغيرة التي حولها فكر للحظات . قال :

... لا يوجــد اثار تشير آلى شيء . لا دمـاء . لا تشويه ، يبدو وكان النوم ادركه وهو يسير ،

ـ لماذا لا تقول الموت ؟. سال اخر .

اجاب الاول:

ـ ليس ميتا . لا يبدو كذلك .

_ لكنه ميت .. قال الاخر .

لم يجب . نظر الى السماد . كانت صغيرة جدا فوقه . فكس :كم سيكون رائعا لو استطاع اجتياز هذه الاسوار ، لينطلق بعيسدا . فتطهر له السماد اكبر . حاول ان يفادر مكانه لكنه لم يستطيع . سمع صوتا الى جواره :

_ احضروا طبيبا .

حلق الصوت فوق الجميع كلائر جريع . اتسعت السماء قليلا واندفع رجل يجهش في البكاء . توفف امام الجثة . مزق ثيابه . امتلا فعه بالعويل . سمع صوته في الدوائر البعيدة :

ـ ما اقسى فراقك وما اعظم حزني عليك ايهسسا البائس . فديتسك نفسسي ؟.

راحت الميون تغترس الشهد:

- اهذا هو الطبيب ؟.. تسامل أحدهم .

... من يكون هذا الرجل ؟.

تمالی مسوت :

- ريمة كان احد اقرباء الرحوم .

قال ثالث :

- لكن من ادرانا انه ابو در الفقاري؟ .

قال الاول:

- فتبحث في جيوبه ، فاذا كان الغفاري احتفلنا به كما يجب. اضطرب الرجل المزق الثياب ، امسكت به الميون البادزة خارج الإحداق ، حرك احدى يديه وانتفى مدية ، رفعها امام الميسون ، امتلا فعه بالعويل ، سمع صوتسه في العوائر البعيدة :

- أن اسمح لاحد بتغتيشه .

ازداد ضفط الدوائر وضافت السماء . نظر الرجل الى المدية . رفعها الى الاعلى . حسب المديسن الى جواره انه سيطمنهم بها ، لكن ما حدث انها الجهت نحو صدره ، وتهاوى الى جانب الجثةالاولى ...

اللاذقيسة

محمد مصطفه درويش

يوميات من العزن والمطر في دفتر طرفة الدمشقي

- سكنتني امراة ليليلة انتهي فيها ، ومنها ابدا دفتري : صدرك ، عيناك أنا . جسد يكتب ، روح تقرا

-1-

ليكن شجرى: سيد الارض ، حوذي" كل الفصول!! ليكن شجري: جمرة الرفض ، سارق نار الخصوبة ـ لا وطـن° أنت - لا أمراة انت بئر من القتل ليلك ، عرش من الدم: كل نهاراتك الملكية .. ها رجلا اصبح الفقر ، ها عاشقا اصبح النهر ، هذا حنيني نصيف من آلخزي ، سيقط عن خصرها ها دمشق بأثو ابها الداخلية تشنق!! ها بردى يتسلق صارية النزف ، من خو"ن الماء ؟! من هر"ب الضفتين ؟! واشعل في غابة النبض هذي الحرائق!

_ * -

٢٥ تكسّر بين يديك جليد المثول .. ؟!

اوقفوا البحث ، الني عثرت على جثة الليل: مخنوقة ... بين انقاض ذاكرتي ، الوقت الثي: تودع عفتها ... الآن ادرك سر" السعال الرمادي" للنار،

من لم يمت _ با حبيبة _ بالفقر ، مات حنيف الى امراة . . او بلاد مسافرة ابدا: في رياح ال . . . وال . . . ! !

- " -

أنا مدينة الجنون! ونهدك الليلي بابنها أحلم أن تكوني: غابة عرى تستبيحني ذئابها!!

- 1 -

ما بيننا محطئة ،
ووجعي حقيبه!!
ما بيننا يفتض ثدي الضوء ،
والمسافة ...
شرشت كالاحزان في نخاعيالشوكي والمسافة ...
يا حبيبه!!
وفي دمى اتحدت بالجنون والخرافه ...

-0-

ما زال تشرابي:
الخمور ،
الخمور ،
الذّتي ،
دعيني .
مشتعلا بالحزن . .
ها أفردت أفراد البعير ،
عمد يني .
بالدميع _
هذا الليل كأسي الاخيره!!
ما جسدي المثقل بالحنين ،
قامر _
فلن تخسر غير الموت ،
والعشيره . . . (!

-7-

بيني وبين الريع:
عشق جارح ،
ما آخر الليلسوى الليل ،
ونهر غربتسي ،
يخب كالصواعق:
في جسد الشجر!!
يقرأ يومياته في دفتر المشانق!
يسال:
يسال:

وردة المطر!!

- ٧ -

لا انت ، لا الاقامة الجبريه!! لليسل في عينيك ، علَّمتنسي: ان جنوني فرس* رمليه ـ تحرن ان ريحك انكرتني!!

- 1

كيف قرأت أمس ، في عينيك سورة القلق !! وما أنا بقارىء كيف لبست موجك الذي احترق !! وما أنا بشاطىء

- 1 -

من نكأ العشيه:
في جسد الفابة جرح النبع!
ما أصعب اكتشاف ابجديه!!
للحزن في عينيك ،
او للدمسع ...

- 1 - -

ليتنسي شاهده: فوق قبر ينام بأثوابه في التراب!! آه يا حاقده: كيف تطوين حبًا ، لبسناه كالموت ، طي الكتاب!!

-11-

اشتهيك المسافه:
بين جرحيين:
جرح اسميه:
وجرح أسيه:
لا وقت للحب"،
فلننتحر ...!!
جنتزي غيمة الغصد،
للي رماد اللغافه!!
المسافات، في جسدي؛
تحتضر ...!!

نمشسق

تطور شخصية البطل الثوري في روايات عبد الرحمن الربيعي

مبدالرحمن مجبد الربيعي ، قصاص وروائي عراقي (١) ، تمبسر كنابانه عن تغور الثورة العراقية وتجارب انكفاح الوطسي والثوري وتزخر بزخم الحياة العربية في العراق وتاريخه القومي والاسطوري ، وتخلك من خلال رصد التطور في شخصية البطل الثوري . فتصوراحدث قصصه القصيرة ((مملكة الجد)) (٢) كيف تشحد الثورة عزيمة دجل من صميم الشعب وتمده ذكريات مشاركته العفوية في صفوف الثورة الوطنية ، ضد الانجليز خلال احتلالهم للعراق ، بمعين لا ينضب للنضال والقاومة الانسانية طوال حياته . وفي هذه القصة ، الكتوبة بسروح الرواية ، يعزج الربيعي التاريخ الثوري العراقي ابتداء من نورة الحسين واستشهاده ومرورا بثورة العشريئات وثورات العراق الاخرى، حيث يظهس بجلاء الحس التاريخي والاسطوري والقومي والوطنسي والثوري ، اذ تمثل كلها ابعادا ثرية لادب الربيعي .

في روايته القصيرة «عيون في الحلم » (٣) (٧. صفحة قطع متوسط) ، يصور الربيعي تجربة الثوري فسند الحكم اللكي فسنسي المواق . وبطلها سالم رسام (٤) وثوري معترف عاني مرارة الاعتقالات المتكررة ونفي من مدينته الى قرية بميدة نائية يلخص البطل الشوري اتعته قائملا : « عندما اعتقلت اول مسرة تصورت نفسي بطلا ، والعراق كله يهتف بحياتي ، اخلت آمشي مرفوع الراس والاصفاد في

(۱) أصدر عبدالرحمن الربيمي خمس مجموعات فصصية وروايتين. المجموعات القصصية هي « السيف والسفينة » (۱۹۲۱) ، « الظال في الرأس » (۱۹۲۸) ، « وجوه من رحلة التعب » (۱۹۲۹) ، « الواسسم الاخرى » (۱۹۷۰) ، « عيون في الحلم » (۱۹۷۶) ، وتصدر فريبسا سادس مجموعاته القصصية بعنوان « ذاكرة المدينة » .

(۲) مجلة « بيروت المساء » اللبنانية ، عدد ١٥ - ١٦ ابريسل (نيسان) ١٩٧٥ ، ولكن تاريخ كتابة القصـة يرجــع الى عام ١٩٧٤ كتاريخ الكاتـب .

(٣) كتبت سنة .١٩٧ ونشرت لاول مرة بمجلة الاقلام المراقيسة العدد التاسع عام ١٩٧٠ ، ثم كونت مع خمس قصص قصيرة المجموعة القصصية الخامسة للربيعي ومنحتها عنوانها ايضا . صدرت مجموعة «عيون في الحلم » عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ١٩٧٤ . واليها تعود المقطفات والإشارات .

()) بلاحظ ان تخرج الربيعي من كلية الفنسون ونيله لاجازتيسن الكديميتين فيها ، يجمل من ابطاله فنانين تشكيليين ، فمن هسسذا الوسط الفني ، الذي فارقه الفنان الى فن القصة والرواية ، يختسار الويمسي شخصيسات.

يدي . وكنت اخال انظار الاخرين تناملني اعجابا . ولكنني عندمسسا اختليت لنفسي في تلك الزنزانة الغذرة ضحكت . أحصا اسا مهسم الى هسلا الحد 1)) (ه)

وتصور هذه الغصة الطويلة أو الروايسة الغصبيرة من خلال الحوار والمونولوج الداخلي تلبطل تطوره الثوري وتأرجحه بين الاصرار والكفاح والياس والانهيار والإحباط . فنحسن نراه في البدايسة في اعقاب نفيه مهنز ا مقهورا ، أن حياته كلها في أزمة الإحباط وكل شيء قبض الربح، وعنعصا يشد صديقه من أزره ويشيد بمواهبه يسقط في هوة رهيب ناتجية من تكرار معاناة الارهاب والاعتقال بينمسا المدينة لا مباليسة بل انه يراهسا مقهورة مثله ، فكسر بانه يرسم ولكسن ليس بالإجسسداع المنشود (.. رسومي ميتة لا تنبض ، ليس فيها ذلك الدفيق الدني اريده . اريسه عمقا ، اريد ان انفذ الى "لقرار ، لكنني لن أطيق ، وان بقيت على هذه الحال سأحطم فرشاتي وارميها في الغرات .)(١) ان البطل هنا محبط ولكنه ليس عاجزا ، انه بطل يتشكل ويبحث عسن طريقه ، وبهذا البحث عن الطريق الصحيح ببدأ البطل الثوري بالتطور والتملم في روايات الربيعي . ففي هذه الرواية القصيرة ((عيسون في الحلم » نرى « سالم » يتقلب بين الرجاء والياس ، بين الانتماء والضياع ، بين الجدوى واللاجدوى والعبث . وسنرى كيف صحور الربيسي في روايته الاولى تردد بطله الثوري وتأرجحه ، ثم نتابسع رحلة البطل الثوري في روايتيه التاليتين ((الوشم)) و ((الانهار)). فاذا رأينساه يرغض رسومه فاته رفض الساعي من أجل الاففسسل والاعمق ، رفض المستمر أذ همو يرسم بكثرة ،ولكنه يطلق صيحة اليمة، بينما هو مخمور في قبضة القهر واليأس وبعد ليلة مؤرقة مع عشيقته التي نفرت من رائعته المخمورة (٧) ، ((ليلي . أني غريق)) (٨) .

- (a) عيون في الحلم ، ص ٧٧ .
- (١) الصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٨) الصدر السابق ص ٨٣ .

⁽٧) يلعب الخبر دورا كبيرا في قصص الربيعي ورواياته ، وقد ذكرت هذا في لقاء ببغداد ضم الغنان عبدالرحمن الربيعي والناقصد العراقي محمد الجزائري وكاتب هذه السطور ، واكمل الجزائري مؤكدا بان كل ابطاله مخمورون ، وبوسعنا ان نكتب الصفحات الكثيبسرة حول هذه المطاهرة اذ لا شبك ان هذا كله ليس بعيدا عن واقع الحياة في العراق الذي تؤدي فيه الخمر دورا اجتماعيا نشيطا ، انظر مشلا العواد المؤيل في قصتنا هذه حول الخمر بيسن زملاء بتعاطونها وواحد يرفضها ص ١٦ .

يسافر « سالم » ، البطل الثوري ، الى متعاه ، وهد اعتسراه الياس والمبث ولكن حسه الثوري لا يلبث أن يستيقظ عندما يذهب الى القريسة النائيسة فيجد المدسة مكونسة من اكسواخ رطبة يحشر فيها الطلبة حفاة بؤساء . فكر « المُساة تلاحقني . هذه الوجوه الكسالحة يجب أن تطلى بالخير والنمعة . . ١١ (٩) ويستخدم الكانب اسلوبيسن فنيين ، المونولوج الداخلي والحواد ، للتمبير عسن تحرك الحس الثوري لدى سالم بطل الغمة المنفي ، فعونولوجه الداخلي يفضم نوازعه الداخلية وهلقه وتوبره وتأرجحه ، ولكنه في حواره مع الطلبة يصرخ فيهم بثورية ووعي . يفول مونولوجه الداخلي : « تهدمي ايتها التلال الرخوة . اقفل فمك . دولتنا حرة. مليكنا ما زال شايا .. مليكنة نفديك بالارواح . . نعا . . تمالوا لتروا وتكلموا بعد ذلك . عطمي شرانقك ايتها اللهيدان .. لن تمتصى دما جديدا .. سنملا أجوافنها بالخزي والرصاص . . وسيرنفع نشيد العراق . . العراق . . العراق . . انتم لا ندركون نسينًا أيها المساكين .. يا طعام الارض .. ياحيوانات الارض . . لست نبيا جاءكم برسالة . . انا مزيج اقتمة . . كـل شـيء كان موجودا قبل مجيئى . . وسيظل . ونكنكم لم تروه . . اوصدوا عيونكم بالجهل والغباء .. لا تتطلعوا السي بهدة الاستغراب .. ان عيونكم بدين فلقي وبطري . . آه . . لا أجيد النصح!! » اما في الحوار فأنه يحض تلاميذه على رفضوافعهم اللاادمي السيء والتطلعالي مستقبل أفضل: « أن حياتكم القاسية يجب أن تكون افضل ولا شيء يجملها هكذا ألا التعلم ، أنه طريقكم الوحيد والا بقيتم في هذا التخيط معيدين نفس حياة اللل التي عاشها آباؤكم وأجدادكم .. انتسم لا تختلفون اليوم عن حيوانات الحدل بشيء .. أن لهم تدركوا ههذا اليوم فستدركونه غدا . . اسمعتم ما أقول ؟ » (١٠) .

هذا جزء من التطور الذي لحق بشخصية سالم البطل الثوري في منفاه بين الفلاحين البؤساء وابنالهم الحفاة المتطلمين الى غد افغسل ، اما في بقية الاجزاء ، فقد اطلق لحينه ونرك نفسه على سجيتها وتخلص من عادات المدينة البورجوازية وأخذ يفوص في وافع الحيساة العراقية البائسة في ظل الملكية المستبدة العميلة للاستعمار البريطاني، انه يتمامل مسع الحياة ومع الناس ويتفاعل معهم. وهي رسالة السسي صديقته يصور الغنان ازمة البطل الثوري بين رفضه لواقع الحيساة المتخلفة ورفضه لدور البطل الثوري ويأسه من الفيام بسدور النقسد كمسا تتطلع اليه القرية باعتباره معلم المدرسة وصاحب ارقى وظائفهما المدنية ، « سأحدثك عن الركسون والتشرد واحلام الرجال المقلوبين . . سأظل هنا .. لست منهارا .. ليتني اطيق الحكم بالسخف على كسل شيء . . ففاعات على الجرف تعدمها اوهى الرياح . . بتأملسون رجهي كمنقذ .. لا امليك حتى زمامي .. مجرد الية تدار .. قلبي لك .. ليتك نرينني على هذه الحال اذن لهربت من حبيبك المنبوذ . . مسا لهذه اللحظات .. مني دعى رأسي لحظة .. عواطفي عاريسة متدفقسسة كالينبسوع . . أنوق للقياها كما يتوق الزرع ليوم سقيه . . » (١١) .

وفي بؤس القرية وحياة اناسها البسطاء يتشكل الثوري ويكتسب خبرات جديدة ، يصير الثوري اسمانا جديدا يفكر « صدقني يا رشيد ان اشیاء آخری اخذت تجرنی الی میدانها . یجب آن اجمل لحیاتسی معنى » . (١٢) هكذا يتطور البطل الثوري في « عيون في الحلم » . وأخذ يرصيد واقع التخلف ماديا وفكريا ووجد في الجريمة اسلوبا خاطئا للرفض الفردي . ووجهد في ذلك الواقع البائس من الالم والاسي مه

يغوق اقوى المنشورات الثورية ، فالواقع حي بصرخ في اغنياته الريفية

الحزينة السحوفة ((أنه أشبه بالصرخية الاخيرة لرجل بهوى من سطيع

عمارة . كل شيء خرب وحزين هنا.ماذ "ثبير ؟ اورافك ونشرا بك بانوري

اشبه باللبان في فم جائع! ١ (١٢) انظر الى دقمة التشبيه وغسى

التمبير وكيف طور الثوري من الكفاح الثوري بالمنشورات حتى كان

يتوقع اعتقاله عقب كل حركة لتوزيع منشورات جديدة ، الى ان انتهى

كفاح المنشورات والاعتقالات به الى النفي في قرية عراقيسة نائية ،

وها هوذا يكتشف من جديد ضعف اسلوب الثورة بالنشورات ازاء هذا

الواقع الغاسد المان ، واكتشف أن الكفاح الورقي بالمشاورات أشبسه

باللبان في فم جاء . وامعانا في المشاركية الوافعية والامتزاج بالواقع

ومعاناته يصاب البلل بالبلهارسيا كما يحدث لكل الفلاحين . وقد نجع

الربيعي في تصوير التأرجع الطبيعي في شخصية البطل الثوري ، فسي

فصته الطويلة « عيون في الحلم » ،بيسن ماضيه الثوري واضطهاده

تارة ، وبيسن حبه لفناته في المدينة تارة ثالثة . وهسو خلال كل هذا

يتقلب بيسن الامل واليأس والرجاء والاحباط واللاجدوى والثورةوالمعل

من أجل مسنقبل افضل . فيقدم الربيعي شخصية ثورية حية ، ليست

نمطا ورفيا وليست أحادية الجانب . وفي هذه الحيوية ينجع

الربيعي ايما نجاح في تصويس ازمة البطل الثوري . وتنساب افكساد

ومشاعس البطل من خلال الونولوج الداخلي وبيار الشمور فنرى حيانه

كلها في صورة بانورامية للعذاب والقهر ، اذ يفكر وهو جالس فسي

حانة ، بيقداد حيث سافر للقاء حبيبته ، « غدا أعود الى مدينني .

بغداد تفزعني . مم . نعم . لا تضحك . رأيت كثيرا . خبرت الدنيا .

عرفت التشرد والالم . عملتجيدي. كانتا خشنتين مثل الارض . اصابني التسرف . لا . هذه انسياء وقتية . سالم عباس لن يخون . بلا اقتمه

نعم . طيبون بسداجة . ابي لم يجلس وداء مكتب فخم ولا جدي .نعم

لا يعرفون غير القرآن . أن يفسننا أحد . لا نعرف الحقد ، لا ننصب

الشراك ، نثار ، نحب حتى الموت ، لن نتراجع عن قول ، كلمتنا واحدة

اشداء . نرعب اعداها . لا تضحك . انتهى الربع سريما . هاك نصف

ربع آخر . احب فبيلتي وامي ورشيد ونوري ، امي رائعة . عظيمة تلك

القرويسة السمراء . اسم تبك مثل الامهات . تزغرد كلمسا سجنوني .

السجن للرجال هكذا تردد ... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .هاها

التليغزيون . قرقوز . الله والملك والوطن هكذا علمونا منذ صبانا .

كفرنا بهم . سننفخ على هذا الليك . نعم عرفت السجسن . ضربوني

فقدت وعيي . تركوني بلا مساء . شدموني . بصقوا في وجهي .علموني

الحقيد . المغو عند المقدرة . لا انني لا أهذي . مليكهم . ابن الانكليز.

عاد ۱ه یا صدیقی کنت مترددا دومها » (۱٤) . وینتهی تردد البطل الثوري بعودته الى تلاميذه الفلاحين يلقنهم اناشيسد النفسال ، مواصلا

طريقه الثوري ، بينما يهاجم الحرس مدرسته النانيسة بقرية صفيرة

بائسية لا وجود لهما على الخريطة ، فيعنفل كسالف عهده . وبهسذا

تنتهى تجربة القاق والتوار فلبطل الثوري في ظل حكم الملكية والاستعمار

كسا صورهما الربيعي في روايته القصيرة « عيسون فسي الحلم »

باصرااره على المضي في طريق النضال الثوري . وسنرى تطور شخصية

البطل الثوري بعد قيسام ثورة ١٤ يوليو (تعودُ) ١٩٥٨ في المسراق

وما صاحبها من احداث وانتكاسات ماثلة في روايسة الربيعي الثانية

« الموشم » . ويذكسر الناقد العراقي محمسد الجزائري في دراسة لسه

لروايسة « الوشم » (10) ، بانها الجزء الثالث من ثلاثية صدر الجزء

⁽۱۴) الصدر آلسابق ص ۱۰۷ ،

⁽١٤) المصدر السابق ، ص ١٢٣ و ١٢٤ ،

⁽١٥) الجزائري ، محمد ، ﴿ الوشم ﴾ دوايسة السقوط السياسي والاصاط ، مجلة (الآداب)) اللبنائية ،عدد نوفمبر ١٩٧٢ .

⁽٩) المندر السابق ص ٨٧ .

⁽١٠) المصدر السابق ص ٨٨ و ٨٨ .

⁽١١) المصدر السابق ص ٩٢ .

⁽١٢) الصعر السابق ص ١٠٠ .

الاول منها بعنوان «عيون في انحلم» ، فاذا صح هذا فانها عد بلابيه افكار تشير ألى تطور شخصية البطال الثوري المصاحبة لتطاورات الثورة في العراق وليست ثلابية شخصيات او اجيال لان التنخصيات مغتلفة في المروايات الثلاث بل انها تنطور خلال جيل واحد .

كريم التاصري ، بطل دوايسة الربيعي الثانية ((الوشم)) بطل بلا بطوالة ، فأل لمحققه وهو ينسب الحلاص من الحيبة الثوريه ((لسم ابحث عن بطولات دونكيشوتية يومسا! » (١٦) بطل مأساوي مثعف من ابناء الفقراء، جرب الخلاص بالسياسة ففشل فجرب الخلاص بالحب. وروايسة ((الوشم)) عَدَات البناء الفني المحتم والازمنة المتداحله دون عواصل ، نيست الا تشريحا داخل شخصيه هدا البطل الثوري الهاوي، فتيار الوعي ينير احداث البطولة الثورية الماضية وكيف أنبهت به الى الاحياط واليأس والاعتراف وانخيانة ، ونلك نهايسة محاوله الزمسن الماضي للخلاص بالثورة . أما الزمن الحاضر فيجسد بنا محاولة البطل الخلاص بالحب بصد أن يكتشف الله وزملاءه ليسوا أبطالا ولكنهم ضمعاء منخورون ينهارون عند اول مواجهة لهم مع جنديهم . وبجسد الرواية هدى الاحباط الذي أصاب كريم الناصري بن جراء وقوعه فسي عنائم الفهر ، وتؤرخ لنجربة الثوري العراس في مرحله اخرى من مراحسل الثورة العرافية بعد فيسام ثورة ١٤ يوليو (نموز) ١٩٥٨) والاضحه بالحكم الملكي والشبعيسة للاستعمار . وهي فترة تاريخية معروفة شهدت الانتصارات والانتكاسات ثم الارهب الفقيع . ويؤيد كابان عراقيان فرآ الروايسة وكنبا عنهسا بأبهسا برجمة لعترة حقيقية عاشهسا الثوري العراض . قال عزيز السيد جاسم : « الوشم هي قصتنا جميعا ،كسبها الربيعي في حين لمم يكب عن انطفائها احد سواه » (١٧) . وكنب محمد العِزائري: ((أن تكبون أو لا تكبون أمنام حد المفصلة) أمنام المسف والتعليب واجهاض كل المية الانسان او انسانية الكائن .. ذلك هو السؤال الذي واجه الشباب من ادباء العراق ـ بخاصة ـ بعد نكسة ثورة 11 تموز ١٩٥٨ .. صحيح أن عبدالرحمن الربيعي حافظ على صدق الوقائع الى حد كبير .. » (١٨) .

كريم الناصري بطل ثوري منتم وملتزم اعنفل لمدة سبعة اشهسر في اسطبل قديم للخيل ، وفي المعتقل اكتشف غربه وضعفه واخذت ذكرياته الثورية تنثال على عقله وعلى صلابته فتغتنهما ، ازاء مما رحم في المعتقل من انهيار زملائه ونهاويهم ، تهاوى النموذج البطولسي للثوري ذلك الصلب الذي يفترض فيه أن يؤبر في الاحمدات ويعرف كيف يتعامل معها ((اشباء كثيرة مرت بي وانتهت عاجلة ، ورغم مرور السنين والاحداث بقيجوعي ونفا لاعامة علافة دامية مع الاشياء، علامة نوي المعاب كلها . في السياسة اردت ذلك ولكن نسائطهم المعلم وتهرس الاعصاب كلها . في السياسة اردت ذلك ولكن نسائطهم الليل امامي جعلني ابعى معدد الان في هذا المتقل المحتشد مع هؤلاء بانجال المدين لا يتجانسون مطلقاً في ثرثرتهم وشجاراتهم اليومية الرجال الذيس لا يتجانسون مطلقاً في ثرثرتهم وشجاراتهم اليومية كريم الناصري مثقف ابن لفلاحقير نشأ موفف الرفض لدبه من استيقاظ ويه الطبقي ثبى مشاهدته لوقاتع الفقر والبؤس ((ان جهد والديكان

(١٦) الربيعي ، عبدالرحمن مجيد ، الوشم ، نشر دار العسودة

(١٧) جاسم ، عزيز السيد ، شيء عن الوشم ، كلمسة ختامية

(١٨) الجزائري ، محمد ، الوشم روايسة السقوط السياسسي

جائعة اللها جعاف الارض قبل ان عصد ما بدره : » (٢٠) تلك كانت بدايسة الانتماء وكانت النهايه في المعتقل ، وقيمسا بين البعاية والنهايسة اكتشف كريم الناصري المنمرد التودي ، انه مندرد على نسل شيء ورافض لكل شيء ، واهم ما رحضييه الشيعارات والعولية والرؤيسة الحربيسة الضيقه، لفسه كنست أعاني وأبحث دالما ، أقرآ الكنب ، واساهم في المظاهرات والسطيمات ، واشرب الحمود واحب وارتاد دور الزنا بلا انقطاع ، اردت أن أكون على صله ساحه بانحياه والجدد معها ، ولكنني اكتشفت أنني كنت أخسر هسسده الحياه باستمراد! » (٢١) لعد رضح كريم الناصري لاحساس عبتى باللاجدوى التمرد ، الرفض الكامل ، وأبلاا يمان ، واللابطولة ، اذ كان قد رفض كل شيء وأيقب أن سعيه للبطولة انتهى به الى التضاؤل والهزيمة والأحباط . كان كل ما يفكر عيه هو كيف ينهي من هـذه الوصمة ، من هذا الوشيم ، من هذا الانتماء التوري . ((عند التحقيق فال لــــ أحدهم ، نفد انبهت المسألة وليست هناك مجال ليطولة بعد .وضحك في سري من كلمة بطولة هذه فهي الاخيون الذي فادني الى هــده الوافع والاحداث المفومة » . (٢٢) .

لا يساوي ديم دينار في اليوم ، يحرث الارض ويشق النرع ويحرس س

الليسل ، ويبرد ويجوع ويمرض ، وان استطعت ان اكون موطعه دا

دحل لا يأس به والمم يرفاه مادي فهدا أن يبعدني عن اسماني نمسيرة

رضخ لكل طلبات المحقق ، ودون كل الاعبراهات ، وابلسغ عن كل شيء وساله المحقق سؤالا ذا مغزى : ((هل أنهيت إلا) فأوما بالايجاب ((فالغريق لا يخاف الطعنات)) . انظر كيف صور الروائي بدفة ومهاره نهاية طريق البطولة ومحاولة الخلاص بالثورة وبالسياسية ، كيف تضاط كريم الناصري وهو يدون اعترافاته رضوخا لاواميسر المحقق : (وتناولت الورقة والفلم واربكنت فيي زاوية من الغرفية ، اسندت ظهري الى الحائط مددت سافي تعاميا كميا كنت افعل عند كتابيسة واجباتي المدرسية ايام العراسة الابتدائية،واخلت اخطط تارة واكتب تارة آخرى وكسرت رقابا جديده وامعنت في كسر رقاب اخرى . ثسم الفيت بالورقة والقلم وزفرت بغوة) (٢٢) .

للك كانت منساة انبطل الثودي كريم المناصري . لقد تهرا تماما وبخلى عن فضيته السياسية وسلوكه السياسي . وفكر في طربسق جديد للخلاص بالحب ، فلا شيء مهم ، وليس بالامكان احداث اي نفيير ، « أن أغير المالم ولن أجمل الشمس نطلع من الغرب » (٢٤) . « ان أهم ما يشغلني الان هو : هل بالامكان ان تكون الرأة تعويضا كا) لا عن الخيبة السياسية ؟ » (٢٥) نلك كانت فضيته التالية ، فنراه في الزمين الحاضر يهرب من ماضيه ، ينكر اسمه ، فحتى عبدما عمل كريم محررا صحفيا اخذ يكتب باسم مستمار يغيره بين حين وآخر، لا أديب أن أظهر اسمي الملطخ الى النور » (٢٦) . « كيف نطيق اظهار وجوهنا الصفيقة للناس ! » (٧٧) ، « انني ادور في طرق لا يعرفني فيها أحد ، واجلس في مقاه منزوية ، اقرأ صحفا قديمة واتابسع فيها أحد ، واجلس في مقاه منزوية ، اقرأ صحفا قديمة واتابسع فيها تحد ، واجلس في مقاه منزوية ، اقرأ صحفا قديمة واتابسع فيها تعليف برامج «التالية للخلاص بالحب ، ينعرف

والاحبياط .

بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الاولى ص ٨٩ .

الحقت بالطبعسة الاولى للرواية ص ١٤ .

⁽٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

⁽٢١) الصدر السابق ، ص ٢٤ .

⁽۲۲) المسدر السابق ، ص ۸۹ .

⁽٢٣) المصدر السابق ، ص .٩.

⁽٢٤) المصدر السابق ، ص ٦١ .

⁽a) المعدر السابق ، ص ١٦ .

⁽٢٦) الصدر السابق ، ص ١١ .

⁽۲۷) الصدر السابق ، ص ۷ .

⁽۲۸) الصدر السابق ، ص ۸ .

[.] ١٧) الوشيم ، ص ١٦ و١٧ .

الى مجمهعة من النساء والغنيات ، « مريم » زميلته ، امرأة منزوجية ولها عشَّيق وتريد أن تضمه الى فاتمتها ، و « يسرى » انموذجالفتاه الجميلة الطاهرة حاول أن يفسل بعلاهته بها عاره العديسم وعلافاسه النسائية الاخرى الموتة من « اسيل عمران »رهيمه الحزبية التوريسية السابقية ، ألى ﴿ مريم ﴾ اللهوذج اللوث مثله ،﴿ ترى هل استطيب بهما ان انقذ موهمي من الخطأ الجديد ؟ ها هي امامي حتاة رائمه ، اصابعها عارية ، وحدودها بكر ، لأذا لا أبدا معها بدايسة جادة ؛ اغتسل منكم ، من أسيل عمران ، من مريم عيدالله ، من العالم ، مسن سخفي اليومي المتهرىء ؟ !!! (٢٩) جرب كريم الناصري الجنس مع مومس فأصيب بالفتيان ، ومع رافصة في ناد ليلي . وكون عدست نظيف، مع فتأنه النفية « يسرى » التي وجد فيها فرصنه الاخيرة للخلاص من كل آثام الماضي وعار الحاضر. « بها وحدها استطيع ان اسحق انكساري يا حسون ، وامحو عاركم واسطورة مريم عيدالله ، وانطفاء اسيل عمران » (٣٠). ولكن كيف يستطيع الموث المنهسار المتهريء أن يسترد روحه وأن يجد خلاصه بالحب مسع فتاته ((يسرى))؟! لقد ايقسن بعدم جدوي الحب ايضا ، فردض ((مريم)) و((شهرزاد)) واوقف علاقاته النسائية ، اما حبيبته الحيفية ومناط اماته فعست اشفق عليها من علاقته بها ان يلوتها أو يحطمها ، فقال لها: « أنت انسانة رائصة وعظيمة وبقدر ما احبك اخاف عليك من هذا الحب ولا اريدك أن تربطي حياتك بشريد مثلي مرمي على السواحل كالخشبة التي تغذف بها الامواج من بغايا السغن الغارغه .)) (٣١)، وهكذا فسسل البطل الثوري كريم الناصري للمرة الثانية في الخلاص بالحب من ازميه، كما فشيل من قبل في طريق الخلاص بالثورة . وهذا يذكرنا بتجربة الثوري عمر الحمزاوي ، بطهل روايسة نجيب محفوظ ((التسحاذ)) ، الذي كف عن الثورة وحاول الخلاص بالحب فغشل فلجا الهالتصوف. اما كريم الناصري بطل روايسة الربيعي « الوشم » فقد لجأ السسى السفر ، ﴿ لا أعرف بالضبط الى ايسن ، فالسفر يهمني اكثر مسن المكان .. كليها تأزمت الامور وتعقدت نهرب منهها بحثا عين بدايات جديسة » (۲۲) .

هل هذه هي نهاية مسيرة البطل الثوري في احدى مراحل الثورة المواقية كما صورها عبدالرحمن الربيعي في روايته القصيرة الثانية ((الوشم) ؟ يرد الربيعي على تساؤلنا بان يحشو فم بطله الشوري السابق كريم الناصري بالامل في معاودة التنظيم تجميع صفوفه دمن ثم يرى في هذه المودة الثورية امله الحقيقي في الخلاص والابتعاث من جديد ، اذ يدور حوار بينه وبين ((جابر)) زميله الثوري الملتزم المنشبث بارضه وفكره وتنظيمه ، يسأل كريم زميله جابر عن خطواته القبلة:

(انجاب جابر : سابقی هنا . ان حزبنا یعید تجمعه من جدید ولن اتخلی عنه ابدا .

_ كل الذي اتمناه يا جابر ان نعودوا ثانية وربمسا اعود بمودنكم، عانتم التفاؤل الذي اضعناه!

- أؤكد لك أن هذا سيكون قريبا » (٣٣) .

أعتقد بأن الربيعي بوضعه هذا الختام الحزبي الزاعق قد شهو"ه الكثير من صدق التصوير الذي اتبعه مع انموذج كريم الناصري ،وهو انموذج صادق وحقيقي . حقا ان الثوري الحقيقي لا يكف عن الثورة، وهذا منا أراده الربيمي بهذا الختام الايديولوجي لروايته ((الوشم)) معلقسا الامل اتحقيقي على عودة التنظيم الثوري والانتماء الثوري .ولكن التطور الصحيح تشخصية كريم الناصري وفراره من كل شيء الماضيي الثوري والحاضر اللامبالي ، من السياسة والحب ، الى الهسوب والفرار ، هذا الطرق لا يقود الى مستقبل ثوري على النمط القديم، النظر كيف صور نجيب محقوظ مثلا تجربية ((عمر الحمزاوي)) بطلل « الشحاذ » وانهياره وضياعه التام . واعتقد على خلاف ما ذهب اليه الزميل النافد محمد الجزائري بأن الربيعسى لم يدن همذا النموذج ولكته أدان تجربة الثوري الحزبية ، ومن هنا أجد في الامال الملقة على عودة الثوري الى الانتماء الحزبي ختامها سياسيا مفروضا فرضا على الرواية لاهداف سياسية . وسنجد الحل لماساة البطل الثوري في التطور الذي لحق بشخصية « صلاح كامل » بطل روايسة الربيمي الثالثة « الأنهار » الذي وجِـد في الابداع والخلق اسهاما ثورياحيفيا وممكشا بدون شعارات او خطب كليشهية .

بعد أنموذج كريم الناصري البطل الثوري المنهاد ، الذي صوره الروائي العرافي عبدالرحمن مجيد الربيعي بوالعية صادفة تمثلت في ضعفه الانساني بدون بطولة صارضة في روايته الثانية القصيسرة « الوشم » (۹۲ صفحة) ، تأتى روايته انشالثة الطوبلية « الانهار » (٢٧١ صعحة) لتقدم تنويعات على لحن البطل الثوري أيضا ، أهسم الشخميات الروائية واكثرها ايجابية وفعالية وايحاد ، وهـــده الرواية نعثل مرحلسة ثورة ١٩٦٨ في العراق وتحتوي على رؤية قومية لنكسة ١٩٦٧ ايضاً ، وذلك من خلال رؤى متعدة لشخصيات ثوريسة مختلفة مع بناء روائي حديث يستغني عن تدخل الراوي الطلع عليي كل شيء واسلوب السرد والزمن الواحد والحكاية السلسلة التقليدية ، ويترك لشخصياته حرية الحركة وحربة النعبير عن آرائها ، متنقلا بسرصة بيسن الازمئة والامكنة والشخصيات ، ومستخدما بمهسسارة اساليب الغلاش باك وتيار الوعي والمونولوج الداخلي والحوار الذكي القصير ، حريصا على الا يغلت زمام استمتاع القارىء من بين يديه بكلماته الشعرية ودففة الرواية وسرعة تنقلها بيسن الامكنسة والازمنسة والشخصيات النامية المتطورة والتنويع الكبير بينها في تشابك دفيق لم يختل لحظة واحدة ، بالرغم من غزارة الانطباعيسات وكثافة التميير عن الوافع ووفرة الشخصيات الرئيسية والثانوية . فشخصيات روايسة « الانهار » شخصيات حية ومتفاعلة مع الاحداث وايجابية ، وليس لجرد تبادلها الكلمات والشعارات الثورية فقلما تفعل ذلك ، بل لانها تمارس صراعها والقميها اجتماعيا تعبر من خلاله عين قوى اجتماعية ومن ثم فانهما تتضافر وتشترك في النضال السياسي، انها شخصيات تنظر الى المستقبل وتسعى الى تغيير الحاضر ، شخصيات شجاعة نواجه الفقير والارهاب وعنف السلطة دون أنتنهار بل تطبو على واقعهما اليومي وتسمو لتكبون لهما نظرة فكرية للمجتمع والحياة والستقبل تكون بمثابة الطاقة المحركة لها ، يغذيها واقع يومى مصور بقلم روائي خبير بحياة أبطاله ومجتمعه .

ان الشخصيات المنهارة في الرواية هي الشخصيات الثانوية التي الرواء بميدا عن التيار الغاعل في المجتمع الذي مثلب

⁽۲۹) المصدر السابق ، ص ۳۱ .

⁽٣٠) المصدر السابق ، ص ٧١ .

⁽٣١) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

⁽٣٢) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

⁽٣٢) الصدر السابق ، ص ٨٧ .

هذه التسخعيات التي تجد في السياسة همها اليومي وشرط المواطئة كما قالت احداها «صلاح كامل » - الموذج الثوري الواعدي لسدوره الواقعي دون تطرف وهي شخصية البجابية تنفاعل مع الحياة وتنفاعل بالمستقبل وبعيش حبانها بواقعية - قال «صلاح كامل » لزميلته «هفتي عباس » الموذج النخصية الضعيفة كما كشفتها الرواية الربيعي بتجموعة من الشخصيات الثورية اليقطة المتازرة في كفاح من خلال سلوكها ، التي استنكرت اهتمامه بالسياسة : «السياسة على عض الامتيازات لدى

البعض وهذه الحالة داء . ولكنها هموم ومية عند اخرين نفرضها

شروط المواطنة وهذا منا الطلق منه ١١(٣٤) .

برمي متصل ، يكشف عسن الطافات الايجابية الكامنية في الانسان .

فهذه الشخصيات الثورية ضربت المثل بسلوكها واشارت من ختلار تطورها ألعني والمونيقي الى حقيصة هامه البنها الروالة دون كنصات مباشرة أو خطابية زاعقة . فلقعد رأينا أن النماذج المتطرفة والمتعزلة بعيدا عين ميدان العراع السياسي والاجتماعي ، ظلست بعيدة ، اللي الابد عن معترك الحياة والابداع وتطوير المجتمع ، كنماذج سعدون الصقار واسماعيل المعاري وعبدالحميد الفلوجي ، الذيب أثروا ، رغم اختلاف الدوافع ،الفرار من ميدان العراع اليوسي ، فظلوا جميصا بعيديين عن أرض الوطين يمانيون من حالات غربة فظلوا جميصا بعيديين عن أرض الوطين يمانيون من حالات غربة الثورية الايجابية فقد ثبتت في الميدان الذي ظلت تكافح فيه وتمكنت من احداث التغييرات الطلوبة وقدمت الابداعات والانجازات للوطين . فكر الفنان الثوري صلاح كامل : ((ما دمت أرسم بهذا المنوان ، وهذا المشق فانني ادلك على حضوري الحار في زمن الثرثرة والاحتراق » (۱۵) .

ان مثل هذه الشخصيات الروائية الايجابية التي تمثل فوى لتهدم الصاعدة هي التي تؤثر فينا حقا ، فبمثل هذه النماذج النضاليـــة نستطيع الرواية ان تدفيع الناس الى الكفاح الثوري ، وتثبت بحق ان الادب شاهد رئيسي على الواقع باعتباره ضمير الامة وواحدا من اهـم الدوات التمبير عن المجتمع . فالادب برؤيته الصادقة للمجتمع وبنماذجه وشخصياته الايجابيـة يسهم في دغع حركة التقدم في المجتمع .

(٣٤) الربيعي ، عبدالرحين مجيد ، الانهار ، نشر مكتبة الثورة العربيسة بقداد ، الطبعسة الاولى توليو (تموز) ١٩٧٤ ، ص ٣٣ .

(د) المدر السابق ، ص ٥٣ .

القاهرة

هادو ياسين علي

الرفض

- هل تسمع سيدتي ان امسح عن جبهتها الحزن، وان اقرا في حضرتها الشعر المكتوب على افخاذ الخيل ؟ هل تسمع ان ادخل في حجرتها - الليلة - محتميا من عين العار واقضى الليل ؟

ـ هل انت المحكوم عليك بان ترعى الابل، وهل انت الممنوع عليك القول ؟

_ يا سيدتي ، اما بعد

فقد خانني الاخوة واقتسموا الابل مع الدئب

ـ اوضـح .

- يا سيدتي ما زال الذئب الليلة تلو الاخرى

ما زال الدلب الليلة للو الأخرى يأخد من ابل القوم غنيمته ..

قاتفق الاخوة ان يقتسموا الابل مع الذئب ، فهل تسمح سيدتي ان . .

_ اكمـل .

- يا سيدتي ، واقتسم الاخوة والذئب الابل .

_ وبعــد ؟

_ فان الذئب اتى الليلة واقتسم الهنصف الثاني _ اي حصتنا _

ان الذئب . .

_ فهمت ، فهمت . . واما القول ؟

_ اما القول ، فاني قد جئت على اخر قطرة صبر عندي

_ اوضيح

ـ لم امتلك القدرة ان اصمت يا سيدتي فانكسر الكاس وقلت القول .

- وما قلت ؟

- قلت لهم: « يا جبناء سيأتي الذئب ويأكلكم ،اما يفرغ من اكـل الابل » فات ما

أنتمروا

واتفقوا ان اطرد . . هل تسمع سيدتي ان ادخل؟ - تعال . . تعال ، فانت المنتظر ، الليلة عيدي - سيدتي . . !؟

_ تعال ، زمانا كنت نظرتك ،

اني ابحث عمن يرفض أن يصمت ان ينكر ابله ابحث عمن يرجع للمقبض نصله

فجميل أن يُلقَى الشيء _ الليلة _ اصله

البصرة - السبية

باسر بدر الدين

اخضر القهر

طغل يبكي ساعة مولده حين يرى الظلمة في دائرة الموتانا. تتساقط فوقي كلعصافير الدنيا يتعرى الشجر . . يموت النهر السمع صوت الاثم . . ارى روحي تتوزع بيسن الله ويين الجمر

اتحرق .. يشربني اللهبب يا قاتلتي .. وأمد يدي التقط الغصن فيهوي الفصن وامد يدي التقط الغصن فيهوي السور وامد يدي الساق احجار السور فيهوي السور رصدت عيناك جميع الطرق وكل الاسوار اني اعرف كل الاثم وكل الاسرار اعرف أن البحر الممتدعلى أفق الاهداب ملي عبالاخطار أعرف أني أبحر نحو الموت ..

أعرف . . أعرف . . لكني لا ادري كيفُ أمد" السي عينيك جسوري

كيف افيء الى ظل الصفصاف ، كيف أرى روحي تتسلق كل جبال الشوك ين المسلم يا قاتلتي . . بتضافر كل الجند وكل السياف وانا امشي ، أم . . شي . . ي . . ي فسوف السيف وفوف الجمر يسيل دمي

يا امراة في لون العطش ولـون الفجر أفهمت عذاب الجرح اذا امتزجـت خفقات القلب ونون الفجر ؟

الالوان الشاحبة اختزنت في ذاكرة الليل عذابي رسمت وجه حبيبي

ارايت الارض العطشى . . فرح الارض العطشى حين بثور النهسر ؟

النبطيسة

انبحر الظاميء يشرب دمع الشمس الموت المسال الشمس الدوب المسال والقمر العاشق يطوي الحزن ويرحل خلف غيوم المشتق .

قتيل في فمه نفم م. والخنجر في ظهر الآخر .. خنجر .. خنجر .. ر .. ر يا وجع الايام الى أيسن ؟

مواال

ذوبت قنبي استى والدمع سال نهار والصبح مثل المسا غيمة كابي صار وجهك كابة وخوف كلو بكي واسرار بيكتب بقلبي الحزن والحبر دمع ونار

حين يفلفل صوتك في اعماقي تتوحد في قلبي الالوان يصبح لون الحمى في لون الفسق المنبلج من العينين في لون الشفتين المتهدل فوق الشفتين ارى وجهك في كل الالوان أرى وجهك كل" الالوان

يسحرني صنما تنزف فيه لوافير الذكرى وسواقي الاحزان

ان غادرت دمي يقتلنسي البرد لا تبتعدي . . لا تبتعدي . . يا امرأة في لون العطش ولون القهر أفهمت عذاب الجرح اذا امتزجت خفقات القلب ولون الغجر

التحدي الذي تواجهه النظرية السياسية

يصدر عن « دار الاداب » هذا الشهر كتابهام بعنوان « الاكار في صراع » من تأليف ادوارد بيراز والرجمة اللاكتور عبد الكرم العبد وعشو الخمور و فسد المتأذ باب السماسمة والحركسات الايديواوجيه الرئيسية في العالم عند مطالسم اللوب العسرين حيى أبيوم .

وننشر فيما يلى ترجمة الفصل الخناسي من الكتاب:

لقد افعمت النظرية السياسية ، بوصفها دراسة اكاديمية ، بعدم اليقين والاضطراب في السنوات الاخيرة ، ورجه اليها مفسرون مختفون سهام النقد على اساس انها مجرد ندريب ثفيل عقيم في التفكيسن التاريخي ، وينهبون الى انها خلت طوال السنوات الخمسين الماضية من الاصالة ، وإنها لم تسهم بنصيب يذكر ، او بأي نصيب ، في من الاصالة ، وإنها لم تسهم بنصيب يذكر ، او بأي نصيب ، في فهو علم السياسة ونظوره ، ويمكن تقسيم هؤلاء المفسرين بصعة عامة الى تلاث مدارس : المدرسة النظامية ، والمدرسة النحليلية ، والمدرسة السلوكية . وتتفق هذه المدارس في الاعتقاد بأن دراسه النظريسة السياسية كجانب من التاريخ لا قيمة لها ، ولكنها تختلف فيما بينها على الاسلوب والنتائج .

وابرز زعماء المعرسة النظامية هو دافيست ايستون من جامعسة شيكاغو . وهو يرى أن انتصار « التاريخ » هو السبب الاسساسسي في انحدار النظرية السياسية الحديثة . وهو يعني بالتاريخ معهدوم ان كل الافكار تتحدد ماريخيا ، وان طبيعة الافكار ومسبباتها وتأثيرها كما تبدو في التاريخ هي جماع النظرية السياسية وجوهرها . ريقول ان زعماء الدعوة « للتاريخ » هم وليم أ. داننج وشارلي ه. ماك ايلوين وجورج ه . ساباين . فالنظرية السياسية بالنسبة تداننج هي مجرد صورة من التاريخ الفكري . وكان همه الوحيد تفريبا هو الكشف عن الخلفية الحضارية والسياسية لافكار لا حصر لها ثم عرض اثرها ، اللحق . اما ((تاريخ)) ماك أيلوين ، كمة تصوره أيستون ، فهسسو اكثر حتمية حتى من ذلك . فهو يعتقد أن الافكار مجرد نتائج لظروف تاريخية . وهي عنده ظواهر لا اساس لها ولا تأثير لها بذاتها ، ربما باستثناء اترها في افكار اخرى . واختلف ساباين اكثر من الإنتيان عن وجهة نظر ((اللؤرخ)) البحث . فقد اظهر حماسة في اختيار السلامة المنطقية لنظريات الفلاسفة الذين نافشهم ، واهتم باحكامهم الاخلاقية . ولكن مدخله ظل مع ذلك مماثـــلا لغالبية المنظريــسن السياسيين الذين افترضوا أن « مهمتهم الكبري في السائل الاخلاقية،

الى جانب الوصف التاريخي ، هي التوضيح - مثل اللغويين المنظرفين - وليست اعادة البناء - مثل المناسسين الاخلاقيين الخياليين » (۱) .

لقد كأن هدف ايستون الاول هو أن يضع حدا للنظرية السيساسيسة بوصفها تنريبا في التاريخ الفكري وان يحل محلها البحث في القيسم ونمو الباديء الكبرى التي تضغي على علم السياسة حياة ومعنى . ويزعجه أن علم السياسة متخلف عن علم الاجتماع والاقتسساد فسي تحقيق نظربة عامة او نظامية . فهو يريد أن يرى دراسة السياسة وقد اصبحت تخضع تغكره كبيرة متكاملة مثل مبدأ المنفعة الجدية فسمى الافتصاد او النظرية الدارونية في البيولوجي او نظرية اينشتايسين في العلوم الطبيعية . واقرب ما حدث في السياسة من هذا النوع هو « فانون الاوليجارشية الصديدي » الذي قال به ميشيلل . ولكسن مثل هذه الصياغات اضيق ، في تظر ايسنون ،من انتكون أطاراً لمفاهيم علم بأكمله . أن ما يريده هو خطة نظرية واسعة الافاق توجه الدراسة والبحث في علم السياسة وتثيرهما وتكون معيارا لهما . فهو لا يرغب في نمط ميكانيكي جامد ، بل في نمط مرن في تدفق مستمر . « خطة من فروض الممل تعينق وتستخدم ما دامت تساعد في توجيه البحيث التجريبي بطريقة تؤدي الى فهم افضل للمشاكسيل الاجتماعية ذاب المَمْزي » (٢) . وبرغم اشارته الى البحث التجريبي فانه يضغي السبي حد كبير على علم السياسة طابعا استنتاجيا . فهو يريد ان تكسون الخطة النظرية الاساسية ، أو النظرية العامة ، التي يدعو اليها مؤلفة من ((افتراضات)) يسننتج منها ((تعميمات)) اضيق . ومن هسنده التمسمات تشتق تعميمات ((يمكن اثناتها تجريبيا)) (٣) . ويبسدو الشبه بين هذه الخطة والقياس الاستنتاجي المنطقي العروف واضحا الي حد كسر .

⁽۱) (النظام السياسي) نيويورك ١٥٣ ص ٢٥٤ .

⁽٢) نفس الرجع ص ٧٥ .

⁽٣) نفس المرجع ص ٥٨ .

ومن الزايا الرئيسية للمدخل الاستنتاجي للنظرية السياسيه كمنا للمحورها ايستون انه بجمل نمو القيم والمحافظة عليها في حيز الامكان. وهو بندد « بالواقعية المبالغة » الني بصر عليها لورد برايس واتباعه الى تتطلب ان يتجنب المالم الاجتماعي اي نوع من الحكم الاحلاعي كما بتجنب الهباء .

فايستون يرى في اعتناق مثل هذه الاحكام والدفاع عنها وظيفسه رئيسية من وظائف النظرية السياسية . ويتساطل عن فيمة العطريسة في انوافع اذا لم توفر مجموعة متكاملة من الاحكام يمكن استخدامها كمبيار لنقدير اي نظام سيادي والسياسات افتي يضعها وينبها وبا كانت الاحكام الاخلافية متأصلة الجلور في الحياه العاطبيه للفرد عانها لا بد أن تؤثر في ابحات الباحث . ومن ثم قان مما لا مندوجه عنه أن يفهمها ويدرك اترها في ضوء نوع النظام أو السياسات اني بمفد انها مرغوب فيها . أن الميسم ليست مجرد مسلمات يتغيلها كل السان بلا جدل . فلا بد من فحصها واختبارها في ضوء البيسانات البربية ، وكذلك أيضا في ضوء مجموعة الافكار أو المبادىء السياسات النوريمها الباحت كنموذج أو بمط يحكم دراسانه . وجدوهسر هدا النموذج أو النمط هو النظرية ألمامة ، ومن أمثلة هذه النظرية في المنفو الطبيعية ، ومبدأ اكبر فدر مسن المسادة الذي هال به جبرمي بنتام ، وربما النظرية الماركسية هسي المراع الطبيقي ،

واكثر دعاة النظرية السياسية الاستثناجية او النسفية Systematic نظرفا هم الفول رابوبورت الذي تأثر بايستون . وليس رابسوبسورت عالما سياسيا بل هو عالم رياضي وبيولوجي . بيد أنه بهتم اهتماما عبيقا بكل الملوم الاجتماعية وبخاصة بجهود جملها علوما بحتة . ومنذ 1900 كان مرتبطا ((يمعهد ابحاث الصحة المقلية)) في جامعسسة منشجان . ورابوبورت كداعية للنظرية الاستنتاجية يتجاوز الحد الذي يصل اليه ايسمون . فهو في الواقع يكند يعصل النظريه سمس جمع السانات والوقائع . ويذهب الى أن الملاحظة الحرببية قد لا تضيف شيئًا مطلقًا الى الغهم الدفيق للظواهر . فعالم الطبيعة فسد يقضى عشرات السنين في دراسة دقيقة لسلوله امواج الحيط ، ولا يصل في الثهاية إلى فهم حركة الامواج أكثر مما كان يفهمها من قبل. ان دنيا الملوم كانت حسنة الحظ في القرن السابع عشر بالهسسور هاليليو هاليلي وسير فرانسيس سكون . فالثاني كان تحريبها أه ملى أن النظر بأب يحب أن مكبور منهمة مدع ألواقع ، أعدا الأول فلم بأخذ الوقائع مأخذ الجد الي بهذا الحد بل اعتقد في ضرورة وضح النظربات عما ((بشبغي)) أن يكون في ظروف مثالية . وأو لم تتصرف هو نفسه على هذا الاساس لما صار لدينا قانون الاجسام السافطة السذي لا ينطبق ، عملا ، على كثير مما يحدث على كوكينا من سقوط ، ومس ثم فإن القانون ، من الناهية الوافعية ، خطأ . ال ولكنه صحيح مسع ذلك بمعنى اممق . وبدون هذه القوانين الصحيحة مثاليا والخطأ واقعبا A اتيح للرياضة الطبيعية أي تقدم » (٤) .

ويرفض دابوبودت الاعتراف بان هناك هوة لا يمكن عبودها بيست العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية . فاهدافهما في دابه ليست مختلفه في اساسها ، او ينبغي الا تكون كذلك ، واساليبهما يمكن أن تكدون متمائلة تماما . بيد أن مشاكلهما حاليا مختلفة . فبالنسبة للعالسم الطبيعي تمد مشكلة التعريف والتحديد والتقسيم الدقبق محلولة الى حد كبير ، او محلولة تماما . اما المالم الاجتماعي فما زالت هسدا

الشاكل غير محلولة لديه . فهو لا يستطيع افتراض أن اغلبية زملانه يعرفون ما يعني عندما يشير الى « الديموفراطية » او « الحريه » او « السيادة » ، او انهم يواففون على سلامة تقسيمه للدول او العكومات . ولكن اذا امكن حل هنده المساكل يستطيع السير في تحفيق اهداف علمه على اسس مماثلة في جوهرها لما يغمله المسالسم الطبيعي . ولب هذه الإهداف هو اكتشاف « نظريات » يمكن استخدامها في تفسير الاحداث والتنبؤ بها . والنظرية بالنسبة لعالم الطبيعسة مجموعة من القضايا الثابتة . وهذه القضايا الثابتة بدورها هسي نتيجة منطقية بحتة لفروض او تعريفات اخرى . ومن نم فان القضيسه الثابتة نتوقف صحتها على سلامة القضايا الثابته السابقة عليها . الثابتة تتكون نظرية « بحتة » متسقة منطقيا ولكنها ليسسست وبهذه الطريقة تتكون نظرية « بحتة » متسقة منطقيا ولكنها ليسسست بالفهورة منطقة مع كل الوقائع . وهي الحضل من آي شيء يكتشف يلاستقراء اذ تضفي معنى وتوجيها للعلم وتنيع « فهما » حقيقيسسا الظهواه .

ومن الفريب أن رابوبورت لا يستبعد الوظيفة الميارية Normative للنظرية البحتة . فهو يرفض الغول بأن العلماء يشغى أن يهتموا بمسأ هو « كائن فعلا » والا يشغلوا انفسهم قط « بما ينبغي أن يكون » . فهو لا ينفر من فكرة النظرية « المحملة بالقيم » أكثر مما يعمل الاستاذ ايستون . ويذهب الى ان لب النظرية البحتة انها ينبغي أن تسدل على ((ما يجب أن يكون)) في ظل ظروف معينة (ظروف مثالية حادة). ومثل هذه النظرية قد لا تكون لها «قيمة عملية » حيث ان انظروف المثالية قد لا تتحقق قط ، ولكن يقلب أن تكون لها فيمة ((بحتية)) . وبعيارة اخرى تكشف عن حقائق اساسبة ، او توحس بوجود ديل هذه الحقائق ، في مواقف لا يمكن الوصول فيها الى هذه الحقائق بالبحث غير الوجه او بلا ايحاء . وفي النهايسة يجب ان تكون النظرية البحنة اساسا للتشيؤ الدفيق في السياسة كما هو الحال تماما في المسلوم الطبيمية . ولكن ليس من الحكمة في شيء أن نتوفع ذلك في عجلة اكثر مها ينبغي . فالنظرية مثل نظام الائتمان . « فللمرء الحق فسي الطالبة بان تكون هناك في « مكان ما » أصول تضمن عملية الائتمان . ولكن كثيرا جدا ما تكون هذه الاصول في المستقبل ، ومجرد التساؤل عن وجودها قد يكون بدايسة لسلسلة من المراجعات تقترض مسبخا عدم وحودها ١١ (٥) .

ودتحد بهذه المسيحة ببدو أنه بحول دون بعد الامكاسات المسعبلة لاية نظرية تقريبا - كالروحانية أو عسلم الفراسة مثلا .

وثاني عدرسة تنطوي على روح التمود ضعالنظرية السياسبة بوصفها نوعا من الداريخ الفكري هي المدرسة التحليلية . واعضاء هذه المدرسة نافدون اكثر معا هم بناؤون . فهم لا يرون ان وظيفة المنظرين السياسيين على نامية مبدأ متكامل لتوحيد علم السياسة وتوجيهه على طربق قانون العاذبية في العلوم الطبيعية في القرن السابع عشر . انهم لا بعارضون في النظريات فيما ، واكنهم يؤمنون بالعدد لا بالوحدة . وفي نسسفس الوقت يحتجون على ما يفترضه كثير من ((المؤرخين)) من أن اسسة نظرية سياسية لا تغضل غيرها من النظريات ، او أن المؤرف الوحيسا المهم بينها هو الاختلاف في تأثيرها . وتطالب المدرسة التحليلية عسلي النقيض من ذلك بأن تخضع كل نظرية لاختبارات أما من النحلبسل النظيقي او الاستوساء التجريبي او كليهما معا . ونجاهاون كلية تطور الافكار السياسية ولا يهتمون باثرها . فهم يهتمون اكثر بسلامة الافكاد ويخاصة افكار الوقت الحاضر والهم من افكار الماضي ، عمره النظ

^{()) ((} الماني المضلفة للنظرية)) عجلة العلوم السياسية الأمريكية (١٩٥٨) ص ٩٨٢ ،

⁽م) نفس الرجع عن ٩٨٨ .

عن وقت تكونها . ويشتركون مع المدرسة النسقيه في استخدام الاسلوب الاستنتاجي على نطاق واسع . فيستخدمون كثيرا عمليات المنطسق كاسلحة ، وبخاصة ذلك النوع من المنطق الذي كثيرا ما اعتبر فيها من الرياضة . وكتابانهم مفعمة بالمادلات والاحصاءات والصيف الجبرية .

ويبدو أن نمو النظرية السياسية التحليلية كان من وحي حركسة جديدة في الغلسفة تعرف باسم الوضعية المنطقية أو الوضعية الجديدة, وقد تأسست الوضعية المنطقية حوالي سنة ١٩٢٠ على يد ما عرف باسم حلقة فينا التي كان من أعضائها رودولف كارباب وأوبو نيوراث وهاس رايخنباخ . وقد صار معظمهم من اللاجئين بسبب خطر النازي عملى النهسا . واستقر نيوراث في انجلترا وكارناب ورايخنباخ في الولايات المتحدة . وقد حظيت الحركة الجديدة بما يسمها أيضا في كتابات ويتجنشتابن الذي هاجر من النهسا الى انجلنرا قبل الحرب العالمية الاولى ، وكان مذهبه الرئيسي هو أن المهمة الوحيدة للفلسفة هسو تحليل اللغة وتوضيحها .

والوضعية المنطقية فلسفة من اكثر فلسفات العهد الحديث تطرف مسرامة معرب تجاءة كثيرا حدود الناهب اللاح العدد اليجاء المسرامة معرب تجاءة كثيرا حدود الناهب اللاح العددة الي لسها فيمة هي تلك الني تأتي من العلوم ، ينبذ الوضعيون المنطقيون كسل شيء ، على اساس انه بلا معنى ، اذا لم يمكن تحويله الى « واحد مقابل واحد)) في الكون المادي . وكان كونت وخلفاؤه مكنفين بالاستوب العلمي ، ويعتقدون امكان تطبيقه بنفس الفعالية في مجالات الاخلاق وعلم الاجتماع كما في ميادين الفلك والكيمياء . اما الوضعيون المنطقيون فياخلون العلوم نفسها باعتبارها الاسس الوحيدة للمعرفة وبرفضون كل فياخلون المادم نفسها باعتبارها الاسس الوحيدة للمعرفة وبرفضون كل فيعولون الفلسفة الى اطار من العلوم الطبيعية أو النطق الرباضي ويعولون الفلسفة الى مجرد اداة لاكتشاف الحقيقة في انساق مسع

وهم يجردونها تقريبا من المضمون ويركزون همهم في البنساء اللفوي والملاقات اللفوية ، وفي محاولات اكتشاف وسائط اخرى للنعبير . وكثيرا ما تتخذ هذه الوسائط صورة رياضية .

ومن ابرز زعماء المدرسة التحليلية روبرت ا، داهل من جامعه ييل . ومن الامثلة الطيبة على عمله تشريحه لديهوقراطية ماديسون في كنابه (مقدمة النظرية الديموقراطية) (٢) . فهو لا يهنسم بالاسباب التسي كتب منديسون من اجلها ما كتب او بمصادر تعاليمه او اثرها . ويقسم نظرية ماديسون الى عشرة فروض ، مع بعض التفسيمات الفرعية في حالات معينة ، تحت عنواني ((تعريفات)) و ((ظروف)) . واسلويه ليس استنتاجيا فحسب ، بليكاد يكون ذا نكهة تذكرنا بالفلسفة التومائية فهو يبين اولا ان نظام ماديسون له هدغان لا يتفقان . فهو من ناحيسة يهدف الى تحقيق فكرة ،نه ينبغي ان يتمتع جميع المواطنيسن البالفيسن بحقوق متساوية ، بها في ذلك حق نحدبد الانجاه العام لسياسسة الحكومة . ومن اغراضه من ناحية الحكومة . ومن اغراضه من ناحية اخرى ان يعطى للاظليات ، المؤلفة

من الطبعات المدونة والاغنياء ، سلطات وميزات معينة لا نتالها الجماهس. ولا بد عن حماية عده السلطات والبزات بضمانات نستورية . كما ان لنظام حاديا ون عبوبا اخرى في رأي داهل . فتعريفاته غامضة وتحمل اكثر من معنى ؛ وأفرض بعض القضايا على أنها ثابتة بداتها وهي بعيدة عن اللا ألب البعد . وفيه استشاجات ((مشكوك فيها وغالبا مساتكون خطأ الا ، واحم عن ذلك كله أنه مقمم بالشافضات الداخلية . فكير من نظريات بعده، على نظريات أو تعريفات سابقة لم يقم الدليل على سلامتها وإحمد بالامة السوابق تنهاد أيضا الشائح . وباختصار بعتمد وبالامة السوابق تنهاد أيضا الشائح . وباختصار بعتمد نظام عادد ون ((غير قابل للتقسير منطقيا)) .

وفد ابدي الاساد داهل في مؤلف سابق ، كتبه مع شادلز أ. لندمِلوم ، اهماما اعمق بالضمون التقليدي للفلسفة السياسية . ويرغم الله خصص هو ومساعده القسم الأكبر من الكتسباب لتحلبسل العمليات والاسالب الغنية فانهما ناقشنا أيضا بمض المشاكل الاساسية الني نرددس أصداؤها في التفكير السياسي لدى البشر منذ فرون . واكثر من ذلك انهما اهما بالفيم - او بالاهداف كما يسميانها . وعرَّفاها بانها ١٨٠١هـ ((النهضة)) التحررية الاشسركاية ، وهي الحربة والكندلانية والماردة المكراء الحارات الماهم الماستان المنيام المراك عن عدم ايمانيودا في الا البدائل العظمي الا فانهما لم بمودداً في نفض إسل النوم اللسرالي الديمه وراض من المجتمع مقابل النوع الشيمولي . ونبذا في نفس الوفاء الطوبائية . وتصوراً الجتمع الحديث على أنه بمستر بثورة في الاساليب العنية . وتتألف هذه الثورة من نغيرات فسي « اساليب » العمل الاجمعاعي ، ولكن بدون اعتثاق غط شامل لاعسادة التنظيم الاجتماعي والسياسي . فمثل هذه الخطط الكبرى لم تعسد ضرورية حيث أن كثيرا من أهدافها الإساسية قد تحقق فعلا بواسطه الثورة في الاساليب العنية . فمثلا يقول المؤلفان ان « الاشتراكيسه والرأسمالية مما قد مأنا .)) ولم تمت الاشتراكية بسبب نقسص فيها ولكن بدبب نجاحها . فقد اتجهت اقتصاديات الغرب نحسو « الغابيين اكثر مما الجهت نحو جلانستون واللبراليين » ، ودبمسا افرب الى ماركس من هربرت سبنسر » (٧) . ولكن هذه النتائج السم نحقق بناء على اختيار صعمد لمثل اعلى فخم ، وبدلا من ذلك فانسها تمثل تغييرات جزئية فصد بها تحقيق اغراض معينة . بيد انها جماع تأنير ثوري كما لو كانت عناصر برنامج طوبائي .

وليس من المسير اكتشاف انصار اخرين للمدخل التحليلي للنظرية السياسية . قمن بين اكثر الكتاب انتاجا تلمقالات عن الموضوع فليكس أ. اوبنهايم ، الذي كان في جامعتي ستأنفود وديلاوير الى عهسد قريب . ويهنم د. اوبنهايم اهتمالها عميقا باسلوب البحث وبالتعريفات والتقسيمات . فليس اهنمامه الاول هو وضع نظريات جديدة بل ابتكار معايير لاختباد سلامة النظريات الموجودة فعلا . ويعتقد أن من الاهمية بمكان كبير جدا الا تعنبر النظريات السياسية جميعا متساوية فسس القيمة ، دان النظربات التي تنجع في اختبارات تحليلية شديدة هي وحدها التي بجب ان تؤخذ مأخذ الجد . وخطته في التحليل استنتاجية الى حد بعيد وكثيرا ما تنطوي على صيغ رياضيه . ومن امثلة ذلك ، فيما يتعلق بمشكلة « السيطرة وعدم الحرية » ما يأتي": السناتسور (ب) يرغب في تابيد مشروع بقانون ، أي أن يفعل (ج) . ولكن لمسا كانت الخطابات التي تلقاها تعل على ان اغلبية ناخبي دائرته (أ) يمارضون في (ج) ، فقد قرر تغيير رأيه ، اي أن لا يفعل (ج) لانه يخشى ان يفقد الانتخابات التالية اذا لم يغير رأيه ويعدل عن (ج) ، ومن ثم فهو يعتبر غير حر في مواجهة الاغلبية (أ) . فاذا كانت

⁽١) شيككاغو (١٩٥٦) . ولا يقتص الاستاذ داهل باهتمامه على التحليل وحده . وفي الكتاب الشار اليه يضع نظرية خاصة به يطلق عليها « الديموقراطية المتعددة الاطراف » . وهي مذهب الحكم بواسطة اقليات تتنافس بعضها مع بعض وتكبح بعضها البعض بصورة اكثر ومالية مما بمكن أن يتحقق باية كوابح دستورية . وتعتبر عده النظرية ، في تقسيم الاستاذ ايستون ، من نظريات « المقياس الضيق » أو النظرات « المركبة » للتمييز بينها وبين النظرات « النسقية » .

⁽V) « السياسة والاقتصاد والرفاهة) نيويورك ١٩٥٣ ص ١٦ ،

خشية (ب) هذه جعلته يعدل عن رايه فان هذا المدرل يكون تعسست سيطرة (أ) . ولكن اذا لم يعدل (ب) عن رايه وقعد الانسخابات التالية ، نتيجة لذلك من الواضع ان (أ) لا سيطرة له على (ب) في تنفيذ (ج). وهكسلا فان القضية تكون (اذا فعل (ب) (ج) عافيه (أ) لانسه فعسل (ج) وبذلك تكون (أ سبسج) علاقة بغير حرية ، وربما بسيطسرة بواسطة الاقتاع . ومن الناحية الاخرى اذا فعل (ب) (ج) ، وعافسب (أ) (ب) لانه فعل (ج) ، تكون سابح علاقة بغير حريسة ، ولكنها بلا سيبلرة) (٨)

ويفترب د، اوبنهايم اكثر من ذلك الى وضع نظربة فيما يتعسسل بدفاعه عن النسبية ، وهو في هذا المجال اقل غبوضا ، فهو ينكر ان هناك اي صدام جغري بين النسبيين والاطلاقيين فيما يتصل بالقيم ، ويذهب الى انه مما لا معنى له القول بان الاطلاقيين هم معافل كل ما هو نبيل وطيب لانهم يؤمنون بالمابير الأبدية الخاصة بالعق والمدالة، وان النسبيين بغلب ان يكونوا من نوع اكثر انحطاطا لانهم لا تؤمدون بالمابير الباقية ، ثم يذهب الى انه من الخط ايضا وبنفس القساد النفكير في الاطلاق على انه الاساس الوحيد الراسخ للدموفراطيسة وفي النسبة على أنها تولد عدم المسئولية والكلبية والعدمية ، ويقول ان الاختلاف الاساسي بين الاطلاق والنسبية مدالة خاصة بنظريسة

فالاطلاقيون يعتقدون ان العدالة والجمال والخير وقائع ساميسة اما لانهما مطابقة لنمط الهي او على قوانين طبيعية او لافكار تابنسمة بداتهما ، او لانهما انبثقت كجماع ما بلغه التطسور الاجتماعي . ((والنسبيسة نظرية في المعرفة تنكر امكان اثبات ان اي شيء في ذانه خير او شر ـ او غير ذي موضوع » (٩) . فالنسبيسون يذهبون السي انه من السخف القول، على اساسمن نظرية المعرفة ، بان الدبموقراطية خير او شر ، كمسا هو من السخف القول بان علم الذرة خير او شر. فالمقل البشري بستطيع ان يعوله (وقائع ») علم الذرة وايضا وقائع فالعقل البشري بستطيع ان يعوله (وقائع ») علم المذرة وايضا وقائع الديموقراطية . ولكن الخير والشر صفتان سنوبتان .

ومن ثم ينتهي اوبنهايم الى ان القيم المنوية لا علاقة لها بنظربة المرفة . فالتغضيلات الاخلاقية تنبثق من الانفعالات وليس من المرفة الموضيعة اد عن وجهات نظر في المحقيقة . ((فالنسبي يستطيع) دون تناقض من ذاته ، ان يعبذ التبييز او الساواة ، وان بمارس النسامع او التعصب او البالغة في التسامع » .

بيرية الاطلاقيون نقدا بكترة هلي هادس در قد مد تدري فقد دان بعصهم بعديهم محافظين ، ودامسسط بعديهم سن الديموفراطية وهاجمها بعضهم ، ومجد بعضهم الفردية وكرامه الانسان ويشر بعضهم بغضائل الاحبرام والطاعة والمطابقة ، والتقسيرها ان هياكسسان هذه الصفات قيم اخلافية وليست حقائق قابله للاتباب ، فياكسسان اصدار احكام عليها او معها ، ولكن لا يمكن اتبات عجنها او عدم صبعتها.

ومع ذلك فان أوبنهايم يذهب الى ان النسبية توفر جوا افضسل لنمو المثل الطليسا الديموقراطية من الاطلاق . فيشير الى ان الاطلاقيين لا يعتنفسون قيما معينة فحسب ، بل انهم بسفدون ايضا امكان اثبات اتساقها مع معايير العدالة والحق المثالية . ومن ثم نقلب ان يفترض أن قيمة سليمة الى الابد وانها بناء على ذلك صالحته للجميع، والنتيجية هي التمصب الذي يصير في النهايية طغيانا واضطهادا . وعلى النقيض من ذلك يعرف التسبي أن المتنقات الخاصة بالقيم مجرد نفضيلات شخصية لا سبيال الى اثبانها . وهو يخدر منها ، فسي تواضع ، منا يفضله معترفها بعق جاره في اخبار شسيء اخر.

وبذلك يستطيع تجنب التعصب والرغبة في ان يجعل كل انسسان اخر مثلبة نهاما .

وتتصل النظريات التي تعاول تطبيق الاساليب الكبية الخاصة بالرياضة والعلوم الطبيعيسة على العلوم الاجتماعية بالمدسة التحليلية برياط وثيق . وعدد هذه النظريات ثلاث اساسا : نظرية اللاعبين ، ونظرية المجال ، وعلم التوجيه . وكلها تهتم باسلوب البحث اكثر مما تهتسم بمضمون النظرية . والتوجيه اقدم النظريات الثلاث وربما تعد أكثر أيحاء بالاراء السياسية والاجتماعية . وقد أسست فسي 1981 على يد نوربرت فيز استاذ المنطق الرياضي بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا . وقد صاغ مصطلح Cybernetics من كلمة اغريقيسة معناها « موجة الدفة » وطبقها على ميدان نظرية السيطرة والاتصال باكمله . ويشير « التوجيه » بصغة خاصة الى فكرة أن المخ البشري والالة الحاسبة الالكترونية السريعية يشتركان في عدة سمات. فكلاهما برسل وينلقى رسائل ويخزن العلومات ويعيدها ويتذكر وقائعوصيفا وفي المستقبل لا ريب في ان الالات الحاسبة ستنمى فيها قدرة (التعلم)) واكتساب المهارات مثل فدرة ضعفاء العقول من الدرجة المدنيا على الاقل. ويعرب الاسناذ فيز عن شكه في امكان اخضاع جميع مشاكل السيطرة الاجتماعية للحتمية اليكانيكية ، ولكنه يعترف بخطر تحول جمهــرة الجنس البشري يومسا الى الات بلا عقول يتلاعب بهسا زعماء لا ميلايء لهم يعرفون كيف يقدمون الاستللة الصحيحة للالات . بيعد أنه يفترض ان الالات موجودة وباقية ، وستظل تتاثجها طيبة في حدود ما تتيسع حلولا منظمية للمشاكل الحرجة .

وتشبه نظرية ((التوجيه)) الى حد كبير نظرية اللاعبين التي جاء بها جسون فون نيومان ، وهسو خبيسر هنفساري فسسي الآلات الحاسبة السريعة صاد استاذا للرياضيات في معهد المراسات المنقدمة في برنستون ، وفي ١٩٥٤ عينه الرئيس ايزنهاود في لجنة المطافة المدرية، وتقوم نظرية اللاعبين على افتراض أن عمليات اتخاذ القرارات في مجالات السياسة والاجتماع تشبه الى حد كبيسر تصرفات اللاعبيس في بعض الالعاب مثل الشطرنج والبوكر والبريدج ، فالإهداف في الحالتين هي النصر والاساليب اساليب الاستراتيجية ، بمسا في ذلك الحسساب الاستراتيجية ، بمسا في ذلك الحسساب والاشارة والتهوش والخداع .

ويقول مؤسسو هذه النظرية أن هذه الموامل نصل بصفة خاصة معتالات الحرب والدبلوماسية . وقد وضعوا صيعا رياضية معكمة لمشرر . مثلا) بها ريمت الله الخاليث الادة (أ) از تده في بالطريقة (ب) وهي نفس الوقت تخدع الامه (ج) بايهامهسسا بانهسا سسعرف بالطريقة (د) . وهم يعترضون أن الامم والافراد على السواء تحركهم المصلحة الذاتية وحنها والاصرار على العصول على اكبر قدر ممكن من المزايا على حساب منافسيهم . ويعتبر انصار نظرية (اللاعبين) المنافسة فانسون الكون في اصرار لا بقسل عسن أصرار المارونيين .

ونظرية المجال اصلا مفهوم مستمد من العلوم الطبيعية . فعلماء الطبيعية . ويعتسون الطبيعية يتحدثون عن مجال الجاذبية والمجال المتناطيسي . ويعتسون بالاول منطقة القوة التي يؤثر فيها كوكب من الكواكب . والمجال المتناطيسي بتضمن منطقة الفوة والقوى نفسها التي تنبثق من الجسم المتناطيسي على الاجسام الفابلة للتأثر به . وتنطوي النظريسان على نفاعل متبادل واعتماد منبادل بحيت يؤلف كل مجال نمطسا متكامسلا او وحدة . ونظرية المجال في العلوم الاجتماعية اقل اعتمادا على الرياضيات واكثر انصالا بعلم النفس من نظرية ((اللاعبسن))، والمبشر الاصلي بنظرية المجال في العلوم الاجتماعية هو كيرت لويناللذي والبشر الاصلي بنظرية المجال في العلوم الاجتماعية هو كيرت لوينالذي كان عندما نوفي سنة ١٩٤٧ مديرا لركز ابحاث ديناميكية الجماعات في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا . وقد انبثقت تعاليم لوين من

⁽٨) ((السيطرة وعدم الحرية)) فلسفه العلم (١٥٥) عر ٢٨٧-٢٨٦ (١) ((الفاعا عن النسمية)) مجله السياسة الغيرب (١٩٠) سر١١٥)

فكرته الاساسيسة ان «مبال الحياة » للفرد أو البنهاعية معلى المراسد هو المجال الذي يجب على المالم الاجتماعي ان يمناوله . وكان يعني « بمجال الحياة » كل تليك الوفائع في وقت بذاته التي ينصور الفرد الو الجماعة انها ذات مغزى . ومعيارالمغزى معيار برجمائي : فالمناصر التي لهيا نتائج بالنسبة للفرد أو الجماعية ذات مغزى . أما غيرها فليس كذلك . ويذهب لوين الى أن « مجال الحياة » من ناحية الغرد أو الجماعة من ناحية الخرى بمتمد احدهما على الاخر . وس ثم فيان المغرد وبيئته يؤلفيان وحدة لا تنفسم ، فلا يمنين فهم احدهما دون الاخر . وينطبق نفس الشيء على البنماعية وبيئتها . ولتر خصائص المجال في وقت بذاته هي وحدها الموامل المحددة ، فالتاريخ فد يغير البيئة أو يديمها ، ولكن الموامل الموجودة في لحظة بعينها هي وحدها البي لهيا التي لهيا الى أن ما قائب التي لهيا التي دوسة مؤسس الحزب الديموقراطي لا علاقة له عطفنا بالغرن المشرين ، فكل ميا له اهمية حقيقية هو مجموعية الافكار والموادل المشرين ، فكل ميا له اهمية حقيقية هو مجموعية الافكار والموادل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الوقت العافر .

ولا تكتمل البحث في التمرد ضد النظرية السياسية بوصفها ليعا من الناريخ العدر، بعون منافشة ما اديب به الحاول السياسية بوصفها ليعا من استهم يراتر السنوكيون اهتمامهم على السلوك السياسي للافسراد والجماعات النشطة ، وايس على تنظيم التحكومات وسلطاتها الشرعية, والجماعات السلوكيون مثل اعضاء المدرسة التحليلية باساليب البحث ولكن مدخلهم ليس استنتاجيا اساسا . وهم يبحثون عن المفاهيم او الصيغ التي يمكن ان تصلح لكشف اسرار المهل السياسي . فهسم تجريبيون ومتحمسون للبحث الواقعي . وبرغم انهم شيدون احيانا بغضائل ما بسمونه النظرية النسقية ، فانهم لا يهتمسون بالصيسغ والانماط التي يتطلبها تكامل علم السياسة باكمله او توحيده . فما كان في وسعهم بمدخلهم الوضعي اساسا ان يضفوا الا أقل فعر سن كان في وسعهم بمدخلهم الوضعي اساسا ان يضفوا الا أقل فعر سن كان في وسعهم بمدخلهم الوضعي اساسا ان يضفوا الا القل فعر سن فعلا « بالاسطورية » اكثر مها بنبغي ، ويرو نان النظرية المامة فعلا « الاسطورية » اكثر مها بنبغي ، ويرو نان النظرية المامة التي يقصد بها ان تكون اطارا فكريا سنزيد من مقدار هسده الاسطورية » .

والرائد الكبير للنظرية السلوكية السياسية ومصدر وحيها هاو ارثر . بنتلي . وبرغم انه ظسل امدا طويسلا مهمسلا وغير معهسوم فانه كثيرا ما يعمد الان من المفكرين المنتجين حقيقة في الفرن المشربن. وقه وله بنتلى سنة ١٨٧٠ في فرببورت باطينوي . وبعد أن درس في كليسة بورك للدة عام وفي جامصة دثفر تجزء من عام اخسر غسادر الكلية بسبب سوء الصحة وعمل فترة في مصرف والده . وفسي ١٨٩٠ دخل جامعة جون هويكنز تدراسية الاقتصاد فانمل مقرر الثلاث سنوات في سننيسن وجاء نرتيبه الرابع بيسن الناجحين . وسرعسان ما سافسر بعسه ذلك الى المانيسا لمنابسة دراسته العليسا في جامعتني ترليسن وفرايبورج . ولكسن افلاس مصرف أبيه أرغمه على المسودة الى الولايات المتحدة ، وحصل على درجة الدكتوراه من جون هوبكثر في ١٨٩٥ .ولم يقض بنتلي سوى فترة قصيرة في العمل الاكاديمي فبعب سئة قضاها محاضرا في جامعة شيكاغو صار صحفيها . فعمل مخبرا ثم كاتب في صحف شيكاغو . وتحسن الحظ اناحت له هده الوظائف وفنا كافيسا للتردد على الكتبات ودراسسة ثروة ضحمة من الواد السمامية التي وقعت في منناول يده . واستغل هذه الغرص فاستطاع اصدار اشهر كتبه « عملية الحكم » في ١٩٠٨ . وقد ظل هذا الكتساب مجهولا تقريبا مدة عشرين عاما ، ثم اعيد التشافه في الثلاثينات واعتبر منذ ذلك الوقت من العمد . وفي ١٩٤١ عرضت جامعة كولمساعلي بنتلي أن يصير استاذا زائرا فيهما للغلسفة . وباستثناء الفتسمرة القصيرة التي قضاها في هذا النصب ، قفي القسم الإكبر مما بغيي

من حياته كمزارع فاكهة باجع في انديانا . بيد انه اشترك في ١٩٤٢ في حركبة لافلوت التغلميسة . وعين عفسيوا في ((اللجنبة النقدمية الموميسة)) وعهد البيه بالاشراف على الحملة في انديانا . ويوفي بيشة ١٩٥٧ . (١٠)

وبرغم ان افكار ادثر ف . بنتلي ذات مفرى عميق بالنسبة للنظريه السياسية فانه لم يكن فيلسوفا سياسيا باي حال بالمعنى المقليسةي للمصطلح ، فقد كنان يزدي التعميمات وما كان يسميه « بالسادة الفكرية » كقوى دافعة للعمل البشري ، فيقول « ان المقل كمامل منا زال هو الروح المعركة لذاتها القديمة وقد جردت من خلودها . ، ان المقل » او القوات المقلية او الذكاء او منا الى ذلك ، بوصفه عاملا يسيطر على السلوك دجال ، واسوأ منه الذهن عندما يستخدم بدلا عن العقل ، ان هذه العاظ نضع اسما مكان مشكلة » (١١) .

لقد كان بنتلي وضعيا بقدر ما كان ارجست كوست او ماريتدو . وكان ينحو الى اعتبار الافكار العامة مجرد تعفيلات أو العكاسات غصالح المجماعات .وينعشل هذا المفهوم في موقعه تجاه الدولية وتجاه السيادة، فعلد سخر بعكرة الدولة بوصفها كائنا ميتافيز يقبا نقف وراهالحكومه أن كريش مد ريتيد من السيد الحجاعات والمسائح المثلة فيها . ومصطلح ((سيادة)) لا ممثى لله الغسا . وقدد يكون مفيدا كسلاح للدفاع عن حكومة قائمة اوكتعميل قانوني لسياسات او اجراءات معينة ، ولكن ((بمجرد ان يخرج مين صفحات كتب القانون او النشرات السياسية يكون اضحوكة تافهسه مكسوفة » (١٢) .

وهناك عنصران يمكن ال نعنبرهما الفكرتين الجوهريتين فسي نظرية بتنلي السياسية . الاولى هو تحويله لمملية الحكم الى تحفظ المسالح والجماعات وصراعها وتنافسها ومجاحها . وعرف الجماعسة بانها ((طريقة تصرف يشنرك فيهما عدد كبير من الناس)) . وتعدور المسلحة على انهما نشاط جماعة ما ينظر اليه من زاوية هدفه . يا كان الاثنان مجرد طريقتين في النظر الى نفس الشيء ، فانه كثبرا ما جمعهما وتحدث عن مصالح الجماعات . وفي احد كنبه الاخيرة اغفلهما كلية واستخدم بدلا منهما تعبير ((القطاعات المتعرضة)) (١٣) .

وتصور كل حكم على انه ظاهرة من مصالح الجماعات التي شكون وتتحد وتضغط بضها على بعض وتندافع وتتنافس وتنكيف لمحاولة تشويه صراعاتها . وبعبارة آخرى اعتبر كل حكم عمليسة من المساوسسات والحطول الوسط المملية . واشاد الى انه لم يحدث قط في ناديمخ الكونجرس الامريكي ان صدر تشريع بايسة طريقة آخرى .والسجل مفهم (بالصفقات) والمساوميات مثلمها حدث في تعديد مكان ((راس باللا الفدرالي)) على البوتوماك بمساومة انصار هاملتون على اصواتهم مفادل المواقسة على تعهد الدولة بعضع ديونها . واورد امثلة آخسرى علس المقايضة الصريحة مثل تشريع التعريفة الجمركيسة وتشريسع الانهساد والوانسيء . وقال ان ادانة مثل هذه الاساليب انكار صادخ للواقع . انه يكون بمثابة افتراض وجود ((روح عامة نقية)) تجعل في وسسع النهرعين اصدار احكامهم ((مطمئنين تمامها لما فيسسه خيسر الشعس المشرعين اصدار احكامهم ((مطمئنين تمامها لما فيسسه خيسر الشعس كله)) (١٤) . واعتبر بنتلي مثل هذه الاختراضات خرافة بحتة . ونظر

 ^(.1) ان المعلومات عن تاريخ حياة بنتلي معظيها مسنمه من معال سيدني راتز ((أ . ف. بننلي وابحائه في العلوم السلوكيسة)) برتيبسن جورنال اوف سسيولوجي (١٩٥٧) .

⁽١١) ((العرفة والعروف)) بوسطون ١٩٤٩ ص ١٣١ - ١٣٢ .

⁽١٢) ((عملية الحكم)) ايلينوي ١٩٥٣ ص ٢٦٤ .

⁽١٣) النسبية في الانسان والمجتمع » نيوبورك ١٩٢٦ .

⁽۱٤) « عملية الحكم » ص ٢٧٠ .

الى الوظائف الفضائية بنفس الطريقة نماسا الني نظر بها السسى الوظائف التشريعية . فكلها انعكاسات لمصالح الجماعات . وقال ان التعمق في اي حكم للمحكمة العليسا سيكشف على العور عنجماعات اللئاس التي وراء هذا الحكم والتي تفعت اليه . « ان القانون نشاط مثل الحكم تماما . وهنو عملية جماعات مثل الحكم تماما . انه تكون لمسالح الجماعات وتنسيق لها وتكييف لهنا وصراع بينها مشسل الحكم تماما » (١٥) .

وكما يتبيسن مما سبق كان المنصر الكبير النالي في نظريسة بننلي السياسية هو معهومه عن الحكم « كنشاط » . وهذا المفهوم هو الذي جعله المؤسس الحقيقي للمدرسة السلوكية في النظربة السياسية . فقد ذهب الى أن الحكومة لا تتألف من موظعين أو نظام دسنوري مكون من برلمان ومحاكم ، بل هي شبكة ضخدة من الانشطة . ونطاق هذه الانشطة وطابعهما هما اللذان يحددان فوة الحكومة . فليس هنال مناور مثلا له سلطة مطلفة بمقتضى مركزه أو شخصيمه المسيطرة بل أن ما يوجد دائما هدو دكتاتور ومعه الجيش ، أو دكيا ور وطبعه ملاك الاراضي أو طبقة أخرى هي التي تحكم فعلا . والدكمانور بظهر مجرد زعيم لطبقة . والطبقة نفسها هي التي نحكم حقيقة . وقد بعتقد المرء أن هذه الفكرة مساوية تماما للنظرية ألماركسيه في بعتقد المرء أن هذه الفكرة مساوية تماما للنظرية ألماركسيه في الحكم الطبقي ، بيد أن بنتلي نقد ماركس لانه جمل نقسيمه الطبقس صارما أكثر مما ينبغي ، حيث جعل الطبقات كنجربدات وابالفسه الفجة في تأكيد الدواقع الاقتصادية .

ويرفض بنتلي رأي ماركس في أن أحلال الطبقة العاملة محسل الطبقة المالكة سيجلب معه فجرا جديدا من الساواة والحربة . أذ يبدو أنه يعتقصد أنه لا بسد مسن قدر كبيسر من الاستبداد في ظلل نظام السيادة الطبقية بصرف النظر عن صورة الحكم . وكنب انالحكم في بريطانيسا ليس اقل استبدادا مما كان في عهد النيودور . أمجلس الوزراء البريطاني يستطيع أن يفعل أشياء الان ما كان ملوك بيسودور ليحلموا بفعل مثلها . أن الشيء المهم حقيقة في رأي بنناي هو علاقة القوى بين مصالح الجماعات المتنازعة والمثلة في الحكم . وعندما نكون هذه العلاصة متوازنة ومتكيفة ألى حد كاف في الجلس التشريعي المجلس التشريعي المجلس المتنفيذي . وعندما لا يكون المكيف كاملا فسي المجلس التشريعي ، وهذا ما يحدث كثيرا في الكونجرس الامريكي ، عندئد ترتفع قوة الجهاز التنفيذي ليقوم بالعمل » (١٦) .

وتبدعا تحلث سبلي عن السلوك ال السماط ليد عدي بقصيد الاسسجابات الجسدية للافراد على طريقة العالم اسسواني اسسيكلوبي. فهو لم يكسن مهتمسا بالانسيان ككائن منعزل او حتى في علاقه منبادلة مع افراد مستقليس . فأسلويه في البحست انبثق من مارضنه للتقسيرات الفردية والميكانيكية للسيكلوجية البشريه . ومن نم ركـــر اهتمامه على الناس في نشاطهم الجماعي ، عليسي (الفطاعيسات المستعرضة من البشرية واعتبرها المادة الحقيقية للحكم . وفسسم الانشطة الى « محسوسة » و « احتمالية » . زكان بمني بالمحسوسة الانشطية الغطيية أو الظاهرة أو التي تم تنفيذها . وبالاحتماليية الانشيطة الكامسة أو المكنة ، قبل ظهور الفلاحين ببنادق معبأة فسي مزاد بيسع العقارات المرهونة في ١٩٣٢ - ١٩٣٣ . فبرغم أن بنتاسي اكد اهمية الافعال اكثر من الاراء أو الافكار فائسه لم بكسن تجرببسا فجتًا الى حد تجاهل كل مسا هو غير ملموس او مسادي . وافسر إسان الافكار انفسا جزء من السلوك . وصحيح انها ليست الا انعكاسات لمسالح جماعات ، ولكسن لا يمكسن قصل الانسان عسن ببشه ، والفر. بدون جماعته السياسية مجرد طلسم سياسي لا وزن له . واخبسرا

ينبغي الناكيد على ان معهوم بتتليي عن السلوك كان ياخذ طابسيع «المعاملات ». فقيد ركز غيره ، من ماديسون ابى شارلز أ. بيرد ، اهتمامهم على التبيع والمسالح والطبقات بوصفها عوامل وسيطية في التشريب والسياسة . وكان بنتلي هو الذي اثبت ان عملية الحكيم مؤلفية اساسا من «معاملات ». اي من مقايضات ومساومات وحلول وسط و كيفات بين مصالح جماعات منذافسة ، واحيانا متداخلة .

ومنذ احياء تعاليم بنتلي في الثلاثينات ازدهر المدخل الساوكس لعلم السياسة بخطوات واسعة . فقسك وصف بعض عشرات المفكرسن والحللين الحكومة بانها صورة من صور النشاط وعملية الحكم بانهسا نتيجه لضغوط ومصالح متنافسة . وربط كادل و . دويسى ، مسن جامعة ييل ، صراع المصالح بالنوتر والمُنافسة الدوليين . زفام أ.أ. شاتشنایدر ، من ویسلیان ، وف ،ا،کی ، منهارفارد ، وکثیر مسن زملائهما بدراسة الاخزاب السياسية بوصفها جماعات ضاغطة وكعملاء ووسطاء لمصالح منشافسة في صراع من اجل المكاسب والامتبازات . وحلل عشرات اخرون السلوك الانتخابي مسع الاهتمسام الخاص بسدور الاتحادات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ووصف ستدفئ ك . بيلي ، من سيراكيوز ، صنع القانسون بواسطة الكونجرس كعمليسة من المساومة والوازئة بين الضفوط المتنافسة من داخل الحكومسة وخانجها ، ونصور جون شميرلين في « الانصبة الامريكية » و أ . بندلتون هرنج في ((سياست الديموفراطية)) ، النظام السباسي كله على أنه عملية تكيف العلاقات المنبادلة . وسخرا من فكرة أن«الانسان السياسي » بمكن أن تتوقع منه أهمال المسلحة الذاتيسة ويكرس نفسه لمفهوم مزعوم عن الرفاهة العامة او خير الامة . ويصر شميرليسن علسي شرط سابق ضروري ضرورة مطلقة لبقاء الحريسة السياسية هسو اتاحة الغرصية كاملية لمصاليح الجماعات لتتنافس من أجل الحصول علسي الامتيازات والكاسب التي تحت تصرف الحكومسسة . وقد كتب « أن الديموقراطية هي ما ينتج عندما تكون هناك حالة توتر في الجندسع لا تسمح لايسة جماعة واحدة بالتطلع الى الفوة كلها » (١٧). .

ومن العسير تحديد عدد السلوكيين الحديثين الذين ناثروا مباشرة ببئتلى . فكلهم جميما يتفقون معه في أنكار أن الضفوط السياسيسة شربرة او غير اخلافية . ويعتبرونها مثله واقعما اساسيا في الحكسم الحديث ، ولا يعدون نتائجها اكثر شرا مما اطلق عليه جيمس ماد بسون « تقائص التشبيع » . ولكن لسم بعد منهم سوى قلة حدد بشنلي في تطرفه بانكار المفزى السياسي للفرد وجعل نشاط التجماعسة هو كل مادة السيدية . فالنسبة للاستاة هرنج الحكم هذو العملية صر تكليف أنعلاقات المبادلة بين الافراد والانظمة والمثل العليا والصالح ١١٨١) . ويقر شمبرلين ابغدا باهمية الفرد ، وبخاصة اذا كان زعيمها سياسيا قوياً ، في موازنية المصالح المتنافسة وتكبيفها . واخيراً ، لا نشارك أي من السلوكيين الماصرين بثنلي في كلبيته تجساه الدرهوش اطبة . وليس هناك من ستطيع اثبات أن هسسلا الغيلسوف كان مناهفسا للديموقراطية (١٩) ، ولكسن نبذه للمثل العليسا السياسية باعتبارها مجرد تعقيلات واعتقاده أن الاستبداد ، في صورة أو أخرى ، أمر دائم في التاريخ السياسي ببدو انهما يشبيران الى أنه لا يؤمن بايسةصورة من صور الديموفراطية . وعلى النقيض من ذلك يؤكسه الاستاذ بيلسي الضرورة الجوهرية « لنظام سياسي معقول يعكس ادادة الاغلبية وبجعل في وسع المواطنين أن يحاسبوا حكاما معنيين بالنات على الفرارات السياسية ويحملونهم مستوليتها » (.٢) .و تقول الاستاذ هرنج أن الايمان

⁽١٥) نفس الرجع ص ٢٧٢ .

⁽¹⁷⁾ نفس الرجع ص 309 .

⁽١٧) (الانصبة الامريكية) نيوبورك ١٩٤٠ ص ٣١ - ٣٢ .

⁽۱۸) « سياسة الديموفراطية » نيوبورك ، ١٩٤ ص ٣٧ ، .

⁽¹⁹⁾ ر.م. ماكيفر يعتقد انه كان علسى الاقل لا ديموقراطي .

⁽⁽نسبيج الحكم) ص ٢٢٠.

^{(.) «} الكونجرس يصنع قانونا » نيويورك ١٩٥٠ ص ٢٣٩ .

بالديموقراطية ، في هذا العالم الذي تتصارع فيه المسالح ونتنافس، قد لا يكون ممكن التطبيق عمليا ، ولكنه يؤكد انه يمثل « اوضح امال المدنية اليوم » (٢١) .

والسلوكيان الماصران اللذان يمكسن اعتبارهمسا من اكثر اتباع بنتلى سنية هما برتام م . كروسي ودافيد ب . ترومان . وقد حظى برترام م . كروسي بنجربة راسعة كمستشار ابحاث لكثير من لجسان الكونجرس والنظمات الخاصة مثل « معهد الشئون المامة » .ومن١٩٤٦ الى ١٩٥١ كان السكرتير التنعيذي « لمجلس المنشارين الاقتصاديين لرئيس الجمهورية)) ، وفي ١٩٥٢ كان مديسيرا لابحسات ١/ اللجنسة الديموقراطية الغومية » . رهو يتفق مع بنناي في كسل التفاصيسل تقريبا ، مؤكدا اهمية مصالع الجماعات ووصف نشاطها بانها جوهسر الحكم ذاته . ويشترك مع بنتلي في انكاره لاهمية الافراد كوحسدات منعزلة ، وذهب الى أن أيسة أهميسة فقد تكسون لهم ((تنبثق مزعلافاتهم فعلا أو احتمالا بجماعات » (٢٢) . بيد أنه يبدو أنه لا يسؤكم عناصر المساومة والقايضة في العملية التشريعية كما يفعل بنتلى. وقد جعل لكتابه ((الصراع التشريعي)) عنوانا ثانويا هو ((دراسية في الصراع الاجتماعي ١١ . ويما ينفق مع هذا العنوان كان اكثر ادراكا من استاذه للمخاطر الكامنة في تنافس مصالح الجماعات . وهو يحددها بالمسا « التوقف والعنف والدكتاتورية » . وبرغم انه بقلل من احتمالات وفوع أي من هذه الاخطار فانه يفر بأنها جميعا ، وبخاصة الاول والثاني، ممكنة جدا . وفي حين كان بنتلي مكتفيسا بالوصف والتفسير ، يعتبر كروس عيوب ألنظم السياسية من الخطورة بحيث أن ذلك يبرر محاولات الاصلاح . وهو يظل وفيا لتعاليم بنتلى رغم ذلك في اصراره على ان الافكار ليست لديها فرصة النجاح بدون تأييت مصالح قونة .

ويعد دافيد ب . ترزمان ، من جامعة كولمبيا ، افل من ذالك سنية بغليل . فغي مؤلفه الرئيسي « العملية الحكومية » يستشهد ببنتلي كثيرا ويعترف بأن محاولة فيلسوف انديانا « أن يُعموغ اداة » كانت « حجر الزاوية الرئيسي في تفكيره » (٢٣) .ويشترك مع بنتلي في انكاره لوجود افراد مستقلين منعزلين ويندد بالاتجاه الى « تفسير » سياسات الاتحاد السوفياتي على اساس شخصية ستالين ، او((النعامل الجديد » على اساس شخصية فرانكلين روزفلت . وينبذ مشل بنتلي ايضًا فكرة « المصلحة العامة » التي فوق مصالح الجماعات المختلفة التي تتالف منها الامة . بيد انه يضيف عنصرا جديدا تماما لـ م يدرك بنتلي . وهو تلسك الكتلة الضخمة من المصالح غير النظمة ، او مسا يسميه « فواعد اللعبة » . وهذه الصالح غير المنظمة في الحفيقة مبول او معتقدات اكثر منها انحادات أو جماعات . ولكنها مع ذلك عصالح، واى اخلال جدى بها « يؤدى الى تفاعل منظم وتأكيد مطالب راضحة الى حد كاف لتحقيق الطابقة » (٢٤) أ. و((قواعد اللمبة) تصير جزءا من عادات معظم الافراد نتيجية للتجربة المبكرة بين العائلية وفيالمدارس الابتدائية والثانوية . وهي تنطوي على مفاهيم للمدالة والانصاف تماثل تلسك التي تتضمنها الوثائق الكبري في التراث القومي مثل « قائمسة الحقوق » . وبرغم أن « قواعد اللعبة » قسد لا تكون دائمها مسيطرة او مفهومة بوضوح فانها تحظى بالاعتراف على نطاق واسع بحيث انهسا ذات نفوذ كابح على مصالح الجماعات النظمة وترغمها ، الى حد كبير، على التقيد بالتوقمات الديموقراطية للمجتمع .

وليس الاختلاف بين اولئك الذين يفضلون المدخل التاريخي النظربة السياسية واولئك الذين يعارضونه مما يمكن تسويته بسهولة . فمما يزيد جانب خصوم « التاريخ » الحاجة الى تحليل اكثر للنظريسات السياسية ، والحاجة الاكبر الى اساليب دفيقة لاختبار صحتها . ومما لا ريب فيه أن كل النظريات ليست متساوية من ناحية سلامتها ، ولكن بأيسة اساليب او معايير تقاس وتختبر ؟. ان يكسون المعيسار المطابسق لنظريسة ما تنطبق بدورها على نظريسة أو بعد سابق ، امسر موضع جدل . ويبدو من المشكوك فيه ايضا ان يؤدي تحويل النظريات الى معادلات جبرية الى اي مكاسب حقيفية في هذا المجسال . فالرياضة اساسة لفة اخرى ، وسيلة اكثر ملاءمة ودفعة للاتصال . ورمسوز الرياضية تمثل عادة مفاهيم او تجريدات ، ولكن اذا ليم بكن المفاهيم نفسها متساوية فلا فائدة من تحويلها الى صيغة فد تكون سليمسة رياضيا ولكن مشكوك في سلامتها واقعا . ويمكن أثارة تساؤلات مَمَاثَلُـةَ فَيَهِـا يَتَعَلَقُ بِمَنْفَعَةً ﴿ النَّظْرِيَّةِ النَّسْقَيْــةَ ﴾ بوصفهـا اداة استئتاجية لتوحيد علم السياسة وتوجيهه . وقد ظهرت في اقتصادنات القرن التاسع عشر عدة نظريات مماثلة . ولا شك أن كثيرا منهما كمان له اثر مثمر ومثير ، ولكن معظمها كان مصيره النبذ حتى الان ، ولا بهيم كثير من الناس بالننائج المستمدة منهسساً . ودبعها كان معسر النظربات المقابلة في علم السياسة مماثلا .

بيد أن المنظر السياسي ألذي لا تكفيه مجرد الدراسات التاريخية ليس مرغما بالضرورة على الالتجاء الى الاستنتاج ، الرياضي او غير الرياضي. فهناك ميدان شاسع من الادلة من علم النفس والانتروبواوجي تنطوي على احتمسالات في الاختبار السياسي لهم يلمسها احد تقريبا. فالنظر الذي يرغب في اختبار قاعدة ان القوة هي اساس كل سلطسه مثلا يجد ادلة كاغيسة تؤيدها وتنفيها في مكتشفات علماء الانتروبولوجي. فسيكتشف أن هناك بعض القبائل استطاعت تطبيق نظم سياسيسة اقتصادية معقدة نسبيا بقدر من الأكراه لا يزيسد كثيرا عمسا يستعد من عادات الطاعبة والاحترام للعرف . وهناك قبائل اخرى اعنبرب الجالد والتعذيب والاعدام امورا لا غنى عنها للنظام الاجتماعي . وبرغم ما فام به هارولد د . لاسویل واریك فروم والسي فرانكل برونزویكوغرهم من أعمال في الكشف عن البواعث السبيكلوجية للسلوك البشري ، لسم تستخدم الماومات السيكلوجية في اختبار النظرية السياسية ،وهناك مثال طيب يمكن البدء به هو نظرية الفراغ الاجتماعي التي جاء بها امسل دوركهايم ونماها سيستيان دي جرانسيا . وتبعا لهذه النظرية يعمد فقدان المعتقدات السياسية والاخلاقية اللعنة الرئيسية للعصرالحدبث. فالغرد بعد أن فقد كل ما يستطيع أن يتشبث به وقع فريسة للقلسق والاحساس بعدم الجدوى والقنوط . ويؤدي هذا القلق في صورنسه الحادة الى الانتحار او الى الحنين الشديد الى التضامن مها يؤدي الى الخضوع التام لدكتاتور ، ونظريسة لها مسسسل هذه الدلالات السبكلوجية الضخمة تتطلب انباتا سيكلوجيا شاملا .

وبعرف النظر عن قيمة الملومات المستمدة من المعادر الاخسرى ما زال للادلة التاريخية مكانها في النظرية السياسية . ويتضمسن التاريخ الافكار . والجديد في النظرية السياسية لا يزيد عسن الجديد في اي اي ميدان فكري آخر . ولهذا السبب فان مصا يسهل الحكم على النظرية السياسية المعاصرة دراسة ملاحظات الكناب السابقين على موضوعات مماثلة . ف لا يضيع وقت اي شارح حديث للنظرية السياسية اذا شغل بدراسة مقارضة لاراء روسو ولوك . كما انه من المفيح لنعاة « السياسة الواقعية » ان يدرسوا مكيافللي . ان النظرية السياسية موضوع معقد ، معقد الاصول ومتعدد الماتي . والماللية بان يخضع لنفسير موحد امر يبدو غير منطقي تماما .

⁽٢١) نفس المرجع ص ٣٥٠.

⁽٢٢) « الصراع التشريعي » نيويورك ١٩٥٣ ص ٥ .

⁽٢٣) « العملية الحكومية » نيويورك ١٩٥١ مقدمة ص ٦ .

⁽٢٤) نفس الرجع ص ١٢٥ .

ماتم معمد صكر

تنويعات ... على بدر الرمل!

_ 1 -

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇

هذه الارض . وهذي سنبله وانا بينهما كنت فضاء مستباحا لخطى العابر . . لا أنحاز الا للرياح . . حسنا : هذي هي الارض . . وهذي سنبله وهذي سنبله ما الذي صيرها ساحة حرب . . فجاة حتى غدوت القنبلة ؟!

- 1 -

حينما تأتين في الليل . سيبقى خلف سور الليل باب مشرع للربح . يغري الفرباء وأنا أنفذ كالربح وراء السور مابين السماء . . وعيونك فارقبيني . . حينما تأتين في الليل . . ضعيني : ضعيني : بين جفنيك . . وما بين الوسادة شارة للحب . .

- 4 -

تحتوي كفي كفاك ولا تشبع من عينيك عيناي . . فأين الابتداء ؟ ذلك الرمح استوى ما بيننا خيط دموع فرايت الزمن الضائع من تقويم حبي يتخفى في التصاوير . . وفي وهج الشموع غير أني حين مستنى يداك عابرا نحوك بحرا من مرارات قديمة فاحتوى كفي . . كوني لفدي تأشيرة اطوي بها بحر المرارات القديمة

- { -

قال لي النخاس: لا ترفع الى السادة طرفا واحن ظهرك

هكذا تدخل باب الملكة

من خلايا الجوع . . تجتاز السراط . . . حين مر وا _ في زمان السبي _ ما قالوانتمال سار ظهري _ ذلك الموشوم بالنار واثار السياط _ دون اذن . . وانتهى عصر السفر حيث اردتني رصاصة _ . . وجدوني ميتا ارنو الى النجم

وظهري واقف مثل الشجر!

_ 0 _

عابرا في رحلة التاريخ امضي اعتلى (الجودي") أذ يبحر نوح ارتدي وجه الحمامة يشتريني خلف سور القدس جندي" . . يسميني صلاح الدين . . يعطيني خطاي واراني عائدا في رحلة التاريخ أبني للفراعين قصورا . .

من هسواء وأسوي بعصا الشعر مياه النيل برا آمنا يسكنه الوتى وتحميه النسساء

بابل تشهد خطوي

باركتني تكف عشتار . . واعطتني الوصية ثم أغفو

في زمان السبي فلاحا اكون اربط الارض بكفي واربط الارض بكفي وأراني مرة اخرى وراء القدس مقتولا وماء (الاردن) الدافق يلقيني على الشباطيء وعدا بالقيامة وعدت نعشي شجيرات من الزيتون ... حالت نعشي شجيرات من الزيتون ... حالة الفقراء

وشموا الجوع على شاهدة القبر .. وعادوا فراوني بينهم أمشى ..

وكانت رحلة التاريخ تنهي في مدار الارضد دورة وانا في رحمها المسكون بالخصب أجيء الان: بذره ثم يأتي موسم الماء شهيا .

بغسداد

محمد خالدو

قصيدة من سفر الهجرة

تأتين سيدتي يلغك طحلب ، اورقت بين الطحلب الهمجي والشبهات ، هل القاك حاملة حنين العالم الابدي ، نسغ الحب والكلمات ـ شاخ الليل في عينيك ، انت وحيدة : سأضم وجهك . . بي نزوع للرحيل (الصحو يغمر هـنه المدن القديمة) ، سوف نرقص بين وهج الضوء والصخب البعيد . الليل منفلت يلملم حلمه الفسقي ، قومي وامنحيه الليل منفلت يلملم حلمه الفسقي ، قومي وامنحيه الليب تسرق همسك المفتون غافية وتحلم هـنه بالطيب تسرق همسك المفتون غافية وتحلم هـنه النسمات منك توشوش الخطوات تزرع دربـك المخضل ارديـة من الزهر المنمنم . .

كيف جئت على جبينك وشم كل العائدين وفي خطاك توجس العشاق . ها وجعسي يعرش كرمة خضراء فاقترشي ضلوعي واحرقي الصبوات (عريك واحة وتولهي ظمأ يعب شميم طيبك) . . يوم مسر العاشقون سألتهم هل شاهدوا قمرا يغمس وجهه في الماء ، القوا رحلهم ورووا هواك : حملت حبك في دمي لهبا وقاقلة من الرغبات موغلة ، قراتك سورة للحب) كنت الراد في منفري الطويل . .

انا هنا متوحد ، جدران هذي الحانة البرصاء تأكلني، تصير خرائطا للموتوالمنفى اسافر عبرها. وجب لو تدرين في مدن بلا تاريخ . اذكر يسوم حاصر وجهي الفرباء ، شدوني الى الاوتاد كان دمي ينز ، يخط ملحمتي وحين توحد بالتراب تفتح قبل موسمه للخزامي ، عرش النارنج . . ما وسلات في قلمي سواك ولا فرشت لفير حبسك اضلعي . . احتطبي مسافة حزني الممدود بين حبال مسنفتي وبين عواك ، هذي جبهتي حفروا عليها رسم من أحببت ما جهلوك (يعرف وجهك الفرباء والجسلاد . .)

هم قصتُوا ضفائرك الجميلة . • احرقوا الزيتونة الخضراء واقترشوا الرمساد .

نهت اغنبية توشوشها قباب الشيام : عرس ليلك الراهان هنا أني أجبئك حاملًا وحمي (يكون الموت قربك واحمة ويكون...

ابحر وجهك المفنون في ليلي غدا قمرا

اطلتي كوكبا . . القا . . اطلي شاب عندي الغار واحترقت اغاني الوجد . ان الراحلين احبتي مروا على "رووا هواك وودعوا . .

خبأت وجهي (قد يراني العاشقون اذا مررت) الوصل معجزة وهم كثر • توزعهم ظللم الليسل والحانات. هذي ليلتي فتخيري جرحي أو الاشعار نازفة .

يقوم الحزن بين مجيئها والموت سورا ، تزحف المدن القديمة من يكون القادم المصلوب صفقت المآذن واحتواها الصحو الف « اميرة » ستطل هذا الليل تغرق عربها المكسال في الضوء المهاجر . . ان وحلت اليوم تبقى شرفة وهوى بعذبنا : سهرنا عنسد شرفتها . .

مضى زمن ، كبرنا يا اميرة شاخ في احداقنا الحزن القديم .

الساهرون تفرقوا . . ما عدت اذكرهم . وحيدا تحتويني الحانة الثكلى . ارى وجها بلا حقني الرسم وجهك المغتون يا قمرا تفرب في دمي حزنا واوسمسة . .

> تجيئين حاملة وجع الليل خارطة الوطن ـ الموت سعف النخيل تقوس حين مررت واوماً: هذي اميرة

> > تصيرين كل" النساء تصيرين منفاي تاريخي المر" والحلو واحة حزني القديم وواحة حزني الجديد

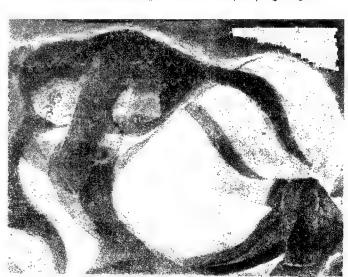
بقداد

النشاط الثقافي في العالم

بنغلادش

فنان يثير الاهتمام

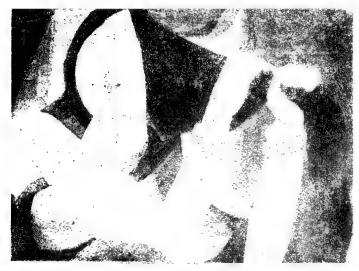
عقد الغنان البنغلاديشي الشاب غلام سرواد اخيرا في جامعة ملبودن ، استراليا ، معرضا لمجموعة من منتوجات رسمه الاخيرة .كان عدد المنتوجات المعروضة في القاعة خمسة وعشرين ، ان قسما غير صغير من هذه الصور تجريدي الاساوب ، ولا شك ان التجريد اسلوب محبب عند الجيل الجديد من رسامي بنفلادش رغم ادانة الرسام الواقعي الاشتراكي الكبير زين العابدين الذي صور ابان عهد الحكم البريطاني بليسة المجاعة الكبرى التي اصابت شعب البنفال نتيجة لسياسيات الاستعمار . ولكن التجريد بدوره يسعه عكس الواقع القومي والقيسم الوطنية لبنفلاديش . فصورة ((المراكب تحت القمر)) (رقم (۱) و(قم (۱) طبيعة بنفلاديش المظلمة والعابسة احيانا والتي سرعان ما تنحول مس صمت المهدد الى اعصار مدهر . وكذلك يمكن من خلال العن لتجريدي علمائية ان يطور الرسام قيم النقد الاجتماعي الجلدي الكامنة في علمائية



الخادمة

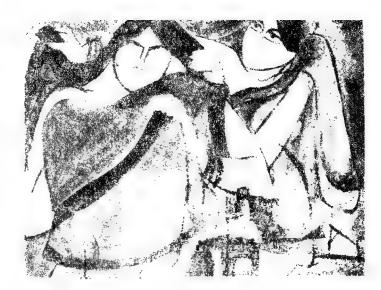
القومية البنغلاديشيسة ولكسن غلام سرواد يستعمل كذلك الاسلوب التعبيري كأداة لنقد تحجر المجتمع وعوائده الباطلة . ففي دسسم ((العائلة) (المنتوج رقم ١٩) يصود زوجاً وزوجة وطفالا ومنخلال تشويه ملامحهم وموافقهم تشويها تعبيريا يثبت أن الشيء أو العامل الذي يجمعهم مما بعنف قاس ليس الحب المشترك ولكن الخوف المسترك أزاء العالم الخارجي وهكذا يقدم صورة للمجتمع البنف الديشي البورجواني .

ورغم جودة تلك اللوحات غير الواقعية الاسلوب ، فان فسم المعرض الذي تفت انظار الزوار الاسترافيين الاثر واثار القدر الاعظم من الاهتمام تلك الصور التي تتناول حياة فلاحي بنفلادش وأرياف بتفلاديش النفيرة الخفرة بطريقة مباشرة . فثمة صور زيتية كمثل «ولد يرعى البقر » و « مفن " ديني هندوسي » و « بنت قبروية



بعد التحمم

المميق الذي تمكسه ازاء حياة الفلاحين اليومية ـ حياة فقر مدفع جملته خلفيسة الطبيعة المشرقة غنيا ومنورا ساعادة تأكيست لاصالة بنفاليسة » هي من ذلك النوع. وثمة لوحات اخرى لفلام سروار هسي بالالوان المانية واكثر اشراها وواقعية حتى من الصور الزيتية .وهي فعلا تقرينا من أنقلب النابض للقومية البنقلادبشية . فبالشعبود بنفلاديش ولكل شيء أرادت . القومية الباكستانية المنتمية لشرق اوسط ایرانی بعید محوه وطمسه ، أن غلام سروار یختار فی کثیر من الاحيان تصوير النساء الفلاحات الريفيات لهذا الغرض . « هذا مما ليس مستحبا عند مسلمي بنغلاديش المتزمتين لانهم ينكرون فكرةالتصوير او الفين اصلا فيها بألكم بتصوير النساء على شكل ضبيعي ؟؟ ولكنشا لا بعد لنا في ظل قيم القومية العلمانية البتي هي عقائديتنا الرسمية من أن نرسم دسما صادقها وملتزمها للحياة الشعبية كمها تميشبها الجماهير » . وللقراء العرب ، لكي تعم منفعتها ، نشبت بعض هذه اللوحات العاكسة للواقع البنغلاديشي القومي . ففي اللوحةرقم واحدوعشرين ((الكياج)) تصوير لفتاتين قروبنين تعطي كل واحدة منهما الاخرى تسريحة فلاحيسة مستخدمتين مرآة بسيطة موضوعة على الارض بتدليك الهامة والشعسر بزيت النارجيل الذي في القنينة. وهذا الرسم لحة من الحياة اليومية لنساء الجماهير الكادحة لفلاحي بنفلاديش تسيطر عليها دقة بالفة . ورغم أن اللوحة قد تبدو عاديسة للقراء المرب فهي ثورة ضمنية على القومية الثقافية الوحدويسية



الماكيساج

الباكستانية .. الرسمية السابقة .. التي أن تناولت المرأة تناولتها داخل تقاليت وتراث الفس المغولي الاسلامي الارستقراطي الذي لسم

ينظر نحو الحياة الشعبية . وكذلك لوحة ((بعد التحمم)) التسي
بصور أمرأة بنظلاديشية قد خرجت من التحمم الصباحي في بركة أو
نهر (من العوائد الالزامية في بنظلاديش) . فهي ندارده الماهلان
ماشطسة لشعرها بيديها . واللوحة رقم ثلاث وعشرسن بعشوان
((خادمة)) تصوير تخادمة منزيسه بنظلاديشيسة شهوانيه لمف ديماها
الجامدتان المرسومتان بخطوطهما الرئيسية فقط انظارنا نحو نديها
الممنئين وحلمتيهما . ولا نمك أن الموضوع مكروه من رجه نظر الاخلاق
الاسلامية ولكنه عنصر في حياة المجتمع الواقعية له أده مه المراهب فيتناوله الرسالنه كوراهب
فيتناوله الرسام بشيء من الشجاعسة الفنية نحفيقا برسالنه كوراهب
للمجتمع والوطن اللذين يعيش فيهما .

ورغم ان توحات غلام سروار رسم لحياة جماهير السمسسب البنقلادبشي عمالا وفلاحين كادحين الا ان لها خلفية من المناظر الطبيعية الريفيسه هي ابداع واحد من خيرة منشدي الطبيعة في النائالنشكيلي البنقلاديشي وتعكس ناحية مهمة من الشعور الفومي البنقلادشي الذي بتجه تحسو الريف ، نحو الفلاحين وحياتهم نظرا تحداثة نشوء المدن في بنقلاديش .

جامعة ملبورن (السراليا) دنيس وركر

(افک العربي

في معركة النهضة

تاليف الدكتور انور عبداللك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هـ و قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والممسل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح ، ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا _ الذي كان « على موعد مع القدر » _ أسهاما في نهضتنا الحضارية ، نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المرفي _ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب، الا وهـ و تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب _ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتان على وجه التحديد اليي مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحبان في اجواء ثقافية _ فكرية استشراقية، اواممية، او سلفية ،

وهو كتاب بتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو: كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجة الى التسورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم أجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . . من المقدمة _

الثمن ٨٥٠ قرشا لبنانيا

منشورات دار الاداب

الموت ... مرتين

لمنة الله عليهم !..

انهم دائمها لا يغر فون بين الستشفى وساحات القتال .. ولكن ما ذنب حماد الراعي حتى يموت مرتين .. ما ذنبه ياخالتي جميلة ؟.

اهل قرية المرحمانية كلهم يحبون حمادا ، ويقدوونه ، وهسسم يتذكرونه كيف كان غلاما . يجلس امام دكان محمود المطار. حتى الزبائن كانت تحبه لرقة خلفه . ولم يسمعه احد يزعق امام اسان ،كان عندمد يتيم الآب ، بل ان واحدا من اهل الرحمانية لا يعرف ، ولا يذكر لسه أبا ، اما امه جميلة فامرأة ضائعة كما يقولون . . تخدم عي البيوت ، وتتشاجر دائما مع النساء بسبب وبدون سبب . ولما عيره الاولاد الخبثاء بلمه جميلة ، وبانها تخدم في البيوت ، انخلسع عيره الاحزن . . ثم تقدم بالشكوى الى مركز الناحية ، وصرح هناك بان اسم والدته المحيح هو فاطمة اصميدة وليس جميلة المسسروك كما همو مذكور في سجلات الناحية . . .

 $\star\star\star$

اهل الرحمانية عندما سمعوا ان حماد الراعي قد قتل في الحرب، وان جثته عد نقلوها الى الستشفى نسم يعد واحد منهم يدري يعينه من شماله ، فكانهم م والعياذ بالله مد قد ادركوا يوم القيامة ، وحموا عليه ، وتنسفوا على شبابه . . شيخ الجامع نفسه اخبرهم في وقساد انه لو عاش لكان له مستقبل عظيم .

ولكن حماد الراعي وحده كان قد مات، بل ومات مرتيس .. قدائفهم عدمت الجناح الشرقي من المستشفى ، حيث وضعوا المجثة صار وجهه مقطوعا عن جسده ، وكان مشوها محفودا بالجراح وشخوب الدم .. ولكن حماد الراعي لسم يصد بحاجة الى قبر .. لانانقاض المستشفى انهت كل شسىء .

* * *

وانت يا خالتي جميلة .. يا ام حماد .. تذكرين يوم غادر حماد .. القرية .. كانت ثيابه عتيقة مغيرة .. لكنه كان فتيا بقوة الصخر .. وكان فرحا بالمسكرية لانه سيرتاح من قرص البراغيث في البيت المسقوف بالشوك والتراب والحطب والفئران ..

عندما جاءك اخر مرة ، أطل عليك بثيابه الجديدة .. كم فرحت يومند .. ولكن الحزن جاء يراودك سريعا .. لان الإجازة قصيرة .. ثماني والربعون ساعة يا ولدي .. صاد يحدثك عن العسكرية .. آه يا أمي العسكرية موت .. ولكنها عز .. عندما يبدآ الهجوم الكبير ساقطع رؤوس الاعداء .. العسكرية ليست لعبا .. المسكرية موت.. آه لو كنت قائدا .. ولكتني جندي بسيط لست ببال احد .. كانت زينب تلطي ليلا في الزقاق عندما تسمع بمجيء حماد الراعمي .. ولكنه ـ يا ولدي مد تم يكن يفكر بأن يلتقي بها على البيادر .. او في الخرابة المهجورة .. لم يكن يفكر بأن يلتقي بها على البيادر .. او في

وحين قالت له خالتي جميلة:

- آن لـك أن تستريح ، وأن تكمل نصف دينك ..

بسط يده ، وضحك :

- من اين ؟! .. أنا جندي بسيط ، استيقظ بامر .. وانام بامر .. وانام بامر .. وانام بامر .. واناده بامر .. واناده بامر .. وانزل المدينة بامر .. واناده بامر .. الزواج غير مسموح يا امي .. ثم لمناذا اظلم بنسات الناس ! ..

 $\star\star\star$

بعد صمت يومين . .

تمالت الاصوات فجأة في قرية الرحمانية ..

كانت أم حماد جالسة في الساحة ، وحولها نسوة ينعن ويعرخن .. كان أهل القرية قد تجمعوا حولها أيضا .. ولكنها لم تكن تبكي .. لاول مرة أحس الجميع بأن هذه المرآة تختلف عن نساء القرية كلها .. وعندما كثر الكلام ، صاح محمود العطار يطلب منهسسم الاحتشام ، واحترام القام .. وأن يتكلم وأحدد عما يريد الكل أن يتحدثوا فيه ..

قالت: ـ يا ولدي لا ارب ان تقولوا شيئا .. ولكسن خلوا لي بثار حماد ..

سكت الحاضرون ، ولم يعرفوا ماذا يقواون .. صاحت : ـ كثير ! . كثير ! .. يا جماعة !.

انتم لا تستطيعتون أن تأخلوا بثاره .. والله أن الذيسن فتلوه مرضى من الخوف ..

النهم يخافون خيالاتهم نفسها . .

صاح اكثر من دجل:

ـ يا خالتي .. الحرب لم تنته .. ونهن لن نكون قاعدين ! !...

* * *

ما زالت خالني جميلة تنتظر المحرب ..

وكلما مرت بساحة القرية ، كان الحاضرون بطاطئون رؤوسهسم امامهسا . .

كأنما يدارون شيئا ..

والحرب لم نبدأ مرة اخرى حتى البوم ..

حماة ... سوريــة

لكي لا تخجل الاجيال القائمة من جبن ابائها ،
وحنى لا يتحصن الذين بعبثون بمقدسات الخلف حماية القانون الكاذبة .
وما من شيء يملا فراغ القلب الذي انسفح دمه ،
وما مام هناك اله خالد عامل ، فسيظل غاضبا كلما صلينا اله ،
«ذا نم ننتقم من هذه الجريمة ، وسيرد على صلواتنا في غفسه:
لتغفى ينابيع اغنياتكم ، لانكم عجزتم عن تكريم شاعركم ،
ولن ارسل لكم شاعرا اخر بعد اليوم .

بهذه العصيدة الجامحه التي اندنعت كالنيران بين متعفي بطرسبورج بدأ نجم ليرمنتوف يلمع في افق الشعر الروسي وهو لما يتجاوز الثالته والعشرين من عمره وبدأ سخط الفيصر عليه في نفس الوقت فانزاست دنيته _ حيث كأن ضابطاً بالحرس الامبراطوري _ وارسل الى الحطوط الاماميسة في الفوقاز . « وقد عاش ليرمنتوف بعد ذلك التاريخ اربسع سنوات فحسب ، ولكنه كتب في هذه الفترة القصيرة افضل فصائده الطويلة : (تغنيسة الفيصر ايعان فاسيلفتش) و (الشيطسان) و (ميتسوري) و (حكايمة للاطفال) وكل دواويته الشمرية ومجموعاته الفنائيسة ، المعشمه بموسيفاها وبخيالاتهما المرتبة الثيرة للمسواطف وبتنوعها وبكمالها البنائي ويوضوحها الشغيف الذي ينم عن فسوة الموهبة غير المحدودة » (٢١) كما 'نب فيها ايفسا دائمنه (بطل مسن زماننا) التي كانب ابرع تصور فدمته هذه المرحلسة للبطل الروماسيي الليء بالحيوية والسورات المحبطة في دولة نيفولا الاول البوليسية ، كما كانت تجريدا لهذا النمط الرومانسي من غلالته السحرية الجذابة الخادعة ، وتعريسة لروحه حنى الاعماق ، بالصورة التي بدأ فيها وكأن ليرمنتوف مثل هايني مصمم على معالجة البطل الرمانسي على أنه حالة مرضية فعلية بوصفه طرازا أجماعيا ومشكلة اخلافية ونفسية، او بالاحرى على وضع بطله أندرد أنتحرر من كل قواعد وشرائع السلوك الاجتماعي في مواجهة الوافع الاجتماعي الكئيب باكمله . لان رومانسية ليرمننوف تمتلىء بطافسة عنيفسه على التمرد وبوعي عميق بتردي المجتمع الذي يعيش فيه في هاويه التحلل ففسد اعرب في عدد من اعمالسه الشعريسة « عبن استياله العميق لوضع المجمع المحيط به . وصرح لمعاصرته عام ١٨٣٨ بمخاوفه فائلا: « بقلب مقعم بالحزن أرقب جيئنا ، واستشعير مستقبله المأساوي الاسيف » (٢٢) . كمسأ أمتسرجت رومانسيته بميل واضح الى الاقتراب من منابع الاغنيات الشعبية والى الاحتفاء بتراكيب اللفة المكامه والامثال العامية ، مع احساس فوى بغداحة المسئولية تجاه الفاريء . جلب بموهبته التسي قاومت اي نزوع الى التقليب انتباه الجميع منذ ظهورها الباكر ، واللي استطاعت ان بلمسب دورا باردًا فبل ان نصطس الى ان توضع في مكسان مواضع - كما يقول بلينسكي - ومكنه من أن يسبر أغوار «الروح الروسية وأن واصل رحلة بوشكين - الذي تعلم من حرفيته الكثير - لتأصيل الطابع الفومي للشعر الروسي والالتصاف الحميم باللغسة الروسية بالصورة التي ((لا يمكن معها لاي ترجمه أن تنصف أعمال بوشكين أو ليرمنموه، مهما كانت هذه «النرجمة بادعة واميئة . والسبب واضع ، فاعمسال بوشكيسن وليرمنتوف تكشف عن روح روسية خالصة ، وعسن وضسوح واليجابية العقل الروسي وعن استفامة وعمق المشاعر الروسية . وهمده القدرات منعدة العاني والدلالات بالنسبة لكل من الروسو الاجاب ١١(٢٣)

- تتمة النشور على الصفحة ٢٢ -

الحديث . ومن احتفائه بالطابع الفومي والاصيمل وولعه بخدمه اللفه وهمو يستخدمهما ولد التيار انقومي في شمر تلمك الامه التمددة الفوميمات واللفات . ومن صوفيته الجديدة نبعث المدرسة الرمزيمة التي اتخذت من كشوف الشاعر الرؤيوي والفيلسوف الصوفي سولوفيوف منخلها الى الفين والحياة .

(٤) ذروة الراومانسية ٠٠ وأجنة الرؤى الجديدة:

نعود ألان بمسد هذا النريث الضروري عند بوشكين تنواصل رحلة الناريخ مع الشمس الروسي من حيث نركناها ، عند معاصري بوسكين. مفد كان كل من جوكوفسكي وبانيشكوف وكريلوف من معاصريبوشكين، كما كان هنساك عند آخر من الشعراء الذيب (طلق عليهم اسم (جماعة بوشكين) . . وكانت تضم هذه الجماعة بالاضافة الى زملاء بوسكيسن ص الدراسة ، بوشين وكوساكوف ودلفينج ـ الذي احتفظ بنفسه بعيدا عن الرومانسية الجديدة ـ وفيزيمسكي ، ايفيجين بارانينسكي (۱۸۰۰ ـ) Evgeni Baratynsky (اللذي نان يعالج في اشعاره الافكار المجردة ويتناول الموضوعات المأخسسوذة من الفلسفية المثالية ويعطى الخيال دورا رئيسيا في اعماله . ونيقولاي يازيكوف (۱۸.۳ ـ ۱۸۶۹) Nikolay Yazykov (۱۸۶۹ ـ ۱۸۰۳ الذي نحا منحى مفايسرا فأكب ابيقوريسة باتيشكوف ومزجها بروح سلافية عميقة وغرق فيأشعار اللذة والخمر والنساء ، فأطربت فصائده القوية الرنانة الحيه الايقاع حجمات الراهقين الروس طيلة فرن من الزمسان .والكسى كولتسزوف (۱۸.۹ ـ ۱۸۶۲) Alexy Koltezov الريقي ابن الطبقة العقيرة الذي بدت فصائبته البسيطية انساذجة ساحرة كالزهور البرية والذي حظى ولعه بالنراكيب الشعبيسة باهتمسام وتفدير كبيرين ، لاته كان من وجهة النظر الرومانسية ، تعبيرا صادف عن الروح «لقومية الاصيلة ، ودبمري فينفيتنسوف (١٨٠٥ – ١٨٢٧) Dimitri Venevitinov ذلك الطفل المرعب « بمقعمته الناضجية الباكرة على الجمع بينالتامليه المسافيزيفية الالمانية وصوت بوشكين الروسي » (٢٠) أو بيسن الشمكل والفكرة والاحساس كما يقول بلينسكي . وبدوره القصير في ترسيخ رؤى سلفه الشاعبر الصوفي بوبروف (١٧٦٠ - ١٨١٠) وفي التمهيد للجلور التي سيستلهمها الرمزيدون بعد ذلك بسنوات وسنوات . من هذه المجموعة الكبيرة من الشيوراء المتفردي الواهب تخلفت ملاميح الرومانسيه الروسية واؤدهرت وانوت في فطأع سريض من الفراء وجملت للساعسر دوراً كبيرا في المجتمع الذي يعيش فيه ، ولم نكن الرومانسية الروسية كفيرها من دومانسية اوروبا .. بل كان لها مـدافهـا الفريد . كانت تؤمن بالإلهام الفردي وبسان النساعر تكرار تلانا الخالقسه اللامتناهية _ كما يغول كوليردج _ وتميل الى القصائد الفنائيسة العصيرة وبحن الى الطبيعة ، وتتمرد على السنسن الكلاسيكسي فسي اللغسه والبجرية الشعرية ، وتضيق بمواضعسات العصر الجائرة ، كرومانسيات اوروبا . ولكنها كانت تمزج غضبها وثوربها الغرديسه بهس اجنماعي شفيف ، وطعم عناصرها الرومانسية الخانصه بندف طبيعية مرة ووافعيسة اخرى . وكنن اكمل تعبيس عن تفردها وجموحها مما ذلك انشاعس الذي لمع كالشهاب فجأة في افق الشمر الروسي غداة موب بوشكيسن ثم آختفي بعد فليل .. واعنى به ميخائيل ليرمنون Mikhail Lermontov (۱۸٤١ – ۱۸۱٤) الذي طلع على الناس و سط حصار الصمت المغروب حول مصرع الشاعر بتلسك القصيدة الصارخسة (عن موت شاعر) عشية موت بوشكين يرثيه ويستصرخ الناس للانتفام لبه ...

اقتصوا سن الجريمية ...

⁽۲۱) آ ، آندرونیکوف (میخائیل لیرمنتوف) مجلسه (الادب السوفیتی) «آلشهریة عدد سبتمبر ۱۹۹۴ میخانده ا

I. Andronikov, (Mikhail Lermontov), Soviet Literature monthly. Sepetember 1964.

A. Herzen (Selected Philosophical Works) .

Foreign Languages Publishing House, Moscow,
1956, P. 493.

⁽٢٣)؛ ف . بلينسكي (الاعمال الفلسفية المختارة) ص ٣٦٥ .

^{. (}۲۰) ج.م. کوهن (ناریخ الادب الغربي) ص ۲۹۲ . J. M. Cohen , (A History of Western Literature) Penguin Books , London , 1956 , P. 262 .

ومن هنا كان المذاق والعور المحلي لاعمال ليرمنتوف كبيرا للغاية برغم حياته القصيرة الماصفة ، السي انتهت بنعس الطريقة التي النهست بها حياة بوشكين ، في مبارزة بسبب امرأة ، والتي اكند عبرهسا القيم التي ارساها بوشكين . فيمة الارتباط بالحرية والوقوف ضهد السلطية الفاشمة . وقيمة الارتباط بالارض واستيعاب تطلع البذات القوميسة الى الطابئ الخاص والمميز .. وقيمسة التمرد على المدرسسة الكلاسيكيه الجديدة واستشراف ملامح ورؤى ادبية جديدة .. وقيمه الامل بالتغيير وبالستقبل . ففي « فصائده الفنائية ، كانت السموات الزرقاء تلوح من خلف السحب العاصفة المنكسرة . وكان يحن السب التهادن مع الله برغم مديحه العائم لثورة النحدي الرائمة . وعلاوة على ذلك فقد اظهر ليرمنتوف اكثر الشعراء الروس رومانسية وعنفا ، اهتمامها متزايسدا بالسرد الواقعي » (٢٤) ومن هنا بقيت اعمالسسه الشعريسة حية ومؤثرة في تاريخ الشعر الروسي حتى اليوم . وما نزال بعض قصائده (الملاك) و (بلادي) و (سحب في السماء) السمى استوعب فيهسا في سطور فليلة العالم الذي جسدنه فصيدة نسيئلس (اغنيه للربح الغربية)، نقرأ بشغف حتى اليوم .

عفب موت فيرملنوف عام١٨٤ ساد الاعتماد لغنرة بان عصر السعر اللمبي قد الفضى إلى غير رجعه . وإن الخثر الذي بداه بوشكيسن وليرمنتوف ثم نماه جوجول (١٨٠٩ ــ ١٨٥٢) بحيوية وخصوبة فسد احتل مكانه . خاصة وأن المقدين الناليين قد شهدا بواكير اعميال ديستويفسكي (١٨٢١ ــ ١٨٨١) وانضج اعمال جونتشاروف (١٨١٢ ــ ١٨٩١) وتورجنيف (١٨١٨ - ١٨٨٣) والنشاج التقدي الخصيب طبیلینسکی (۱۸۱۱ - ۱۸۶۸) وهرزن (۱۸۱۲ - ۱۸۷۰) ثم طلع بعدهم ذلك الطفل المرعب ديمتري بيساريف (١٨٤٠ ــ ١٨٦٨) فأجهزا بفوة حجته على أي أمل للشمير في الازدهار .. عندمها هاجم الشعريعنف وراي ان المال الذي ينفق على كتب الشعس يجب ان يستخدم في تشبيد السكك الحديدية وان كتب بوشكين شيء يساعد الكسالي على قتل الوقت . واعتبر انحب الافلاطوني والنالية والاحلام الشاعرية توعا من الحماقه او شارة على الضمف .. ووجدت افكاره البنيسة علسي ضرورة ألتقدم العلمي والتطور المادي والاجتماعي والاهتمسام بالتعليسم صدى واسعسا في نفوس الشباب ، فنبذوا الشمر وبداوا يمتمدون على التجربة باعتبارهما السبيل الوحيد الى المعرفة العقمة كما اكسد بيساريف . ووجد الشعر نفسه ضائعا في مواجهة هذه الوجهة الفكرية الكاسحة التي لا تفيم له وذنا كبيسرا ، بعد أن كان الشاعر مل السمع والبصر . وكان أبرز شعراء هذه الفترة دبلوماسيا عاش في المانيا وفرنسا اكثر مما عاش في دوسيا وهو فيودور تيوتشيف (۱۸۰۳ ـ ۱۸۷۳) Fêdor Tyutchev ولم یکسن الشمر عنده دورا ورسالية كميا كان الحال عند بوشكيسن وليرمنتوف بل كان نوعا مين الترف الفكري والفلسفي ينصرف اليه في لحظات فراغه .. وكان ذا نزعة انبادوقليسية ترى الحياه محاطة بالاحلام كما يحيسط الماء الغمر تتخبط في داخلها امواج العناصر الاربعة ، النار والماء والهواء والتراب ، فيثير تخبطها الفوضى في نظم الكون البادية ومزج هـده النزعة الانبادوقليسية بشيء من وحدة الوجود التي يقسول بها سبينوزا .. وبجانب هذا الحس الفلسفي المتقد كان سلافي النزعة ذا الحكار ساسية قوية ، واحتل مكانا بسارزا بغضل اشادة تورجنيف وتولستوي بأشعاره . . فلم يكسن تولستوي يسمع سطور تيوتشيف عن وحدة الكسون دون ان تعمع عيناه ..

> كل الاشياء بعاخلي وانا في كل الاشياء دعني اشارك في العدم ، ودعني انتشر في العالم النائم فلا شيء يترك اثرا ، وما اسهل الا اكون .

الكنن ((نبوشيف نفسه كان قليسل الاهتمام بكتاباته ، فلم يعرأ ابدا مسودانها ، وسمح لتورجنيف بال يزيل منها ما يرى فيه شيئا من التعثر العروضي ، وكانت فضائده التي تغبلها الومزيون – فيمسا بعد – اكثر مما فبلها معاصره ذات جمال دائم وسحر متجدد)((٢٥) فقد كمان شعره من طراز كشعير الذي يكتب للمستقبل اكثر مما يكنب للحاضر ، . فمن فصائد المحكمة الغامضة الشفافة ومن دينه الدي احيا فيه المسبحية السلافية ذات الطابع البيزنطي واكسبها بعسمدا فلسفيا جديدا تكونت الاجنة تلاولي للرمزية الصوفية الروسية التي ما لبثت ان اعربت عن نعسها بوضوح في اواخير هذا القرن .

وانا كان وجود بيوتشيف المستمر بالخادج فد جمله بعيدا عس اصطراع الافكار في روسيا الستينات ، فأن الشعراء الذيب عاياموا مرحلة الفليسان انعكري الذي عاشتسه روسيسا في العقود الثلاثة النالية لموت ليرمنتوف تم يستطيعوا أن يتجنبوا الانخراط في دواماتها ،وعانوا من اضطهاد حدومة نيقولا الاول فيل انهيارها في حرب الفرم .وانبشوا بانتصار الانجاهات التحررية النسبي في عصر الكسندر الثاني حيث كللت بالفاء الرق وتحرير الاقنان واصلاح الفضاء والفاء القيود علس الصحاب وادتب وزياده الحرية الاكاديمية بالجامعات والبوسسمسع في المعليم . في دام الفترة فلهر تيفولاي نيكرا سود (٢١١ . ١٨٧٧) Nikolay Nekrasov الكونت اليكسي تولسبوي (١٨١٧ – ١٨٧٠) Cont Alexéy Tolstoy وافاناسسی فیت (۱۸۲۰ – ۱۸۹۲) Apolon Grigoriv (۱۸٦٤–۱۸۲۲) موابولون جريجوريف Afanasy Eet ویاکوف بولونسکی (۱۸۱۹ - ۱۸۹۸) ومجموعه اخری مسن الشعراء الذيئ توزعوا بيئن مختلف الانجاهات الشعبية والاصلاحية والعدميسة والثوريسة التي ماجت بها الرحلة . وكسان نيكراسوف اكشر هؤلاء الشعراء شهره عي السنينات والسبعينات يميل الى أن يكون شعبيا ، ويؤمن مع التسعبيين بضرورة الاتجاه صوب الاشتراكية والاعتماد فسي تحقيقها على جماهير الشعب العلاحية . لذلك ترك ضيعته الاقليميه للفلاحين وذهب الى بطرسبورج وانغمس فيحياةرعاعالعاصمة الروسيه وعاني معهم الجوع والففر وكسب كثيرا وانفق كثيرا واشرف على تحرير المجلات ونشر اعمال كباد الكناب واضطلع بدور كبيس في حياة روسيا الادبية ، وقد جنح في شمسره الى تبني اللفة الدادجية واليي التعبيس عسن أشواق الملاييسن واحزانهسم ، وكانت « تشعاره الاجتماعيه وفصائده الاعترافية ، استعرارا للاتجاه الاخلاقي الذي يتميز به الادب الروسي . وتناولت ساوك الانسان في المجتمع ، واستجلت انحرافات الضمير الذي تنجم عن البيئة الاجتماعية او المسئولية السياسية . وكانت مادة شمسره ولغته شديدتي التحدي . وعالج موضوعات معاصرة فتحدث عن الطرق الحديدية والعمل اليدوي ومعسكرات السجنوملاحي الفولجا . وقد صاحب الغرض الاجتماعي الواضع في هذا الشمسر جراة في التمييس ، اذ عمل عامدا على تجريسه اللفسة من شاعريتها. وكان استخدامه للتلميح والتفاصيل الواقعية اسلحته في الكفاحضد العرف الرومانسي » (٢٦) ولذلك فقه استطاع نيكراسوف ان يعيد الى الاذهبان من جديد خلاوة بوشكين وعدوبة شعره ، عندها اخبد يتفنى بالطبيعة ويعبر عن تعاسة مواطنيه وشقائهم ، ويتحدث عن (النساء الروسيات) زوجات الديسمبرييسن وهن يتبعن ازواجهس الى المنفى في سيبريا في قافلة معلبة حيسة حفرتها قصيدته في اذهان الجميع . وفاحت من قصائده رائصة الفلاحين حسب تعبير عزيز على نقاده من النبلاء الذيب كانوا ينحدثون عنه بسخط وترفع .. وهذه الإبيات من قصيدته (في القريسة) تفصح عن أسلوبه الشعري وعسن ميله الى مشاكلة الواقع وبعده عن المؤثرات الرومانسية :

س طاب صباحث با عزیزنی

⁽٢٤) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١٨ .

⁽٢٥) ج .م . كوهن (تاريخ الادب الفربي) ص ٢٩٢ .

⁽٢٦) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١١٨ .

س كيف حالك يا جارتي ؟ ما زلت تبكين فيما يبدو هل عانيت من بعض الافكار المرورة ؟احدث لسيدالبيت شيء؟ سوهل استطيع الا أن أبكي ،انني أتمزق كامرأة مفامة بالخطيئة وقلبي يكاد ينفطر ويتسدع . فقد مات .. مات كازيادود: مات حبيبي ، مات .. مات وودي التراب

هذا الحديث اليومي الدارج الذي لم يجرؤ شاعر قبل نيكراسوف ان يقدمه في الشعر هو ما عصد هو الى الافراط فيه . ولكنه مع ذلك استطاع - كما يقول تشيكوفيسكي - (ان يبكي بطريقة اجهل واسسد تأييا من اي شاعر روسي اخر ، كما ان سطوره البطيئة العزينة بنهايات مقاطعها الشعرية الخاصة وحروفها تلتعركة الطولة ، نبدو كلحين انفرادي من فرقة موسيقية . ولشعره الرنين الحقيفي للموسيفي الشعبية ، وللمقاطع الشعبية التي تفني في اجتماعات القرية . ولبطء اغاني العمل ، والاشعار القصصية التي تمني في اجتماعات القريات (٧٧) ولذلك فقد استطاع نيكراسوف عبر هذه الفدرات الإيقاعية الجديدة ان يكتب عددة من القصائد الهامة في تاريخ الشعر الروسي بالصورة التي اصبحت معها (فصيدته الملحمية التي لم تكنمل (حتى تميش سعيدا في روسيا) اكثر القصائد المفردة اهمية بين (اوجين اونيجين) لبوشكين والقصيدة الثورية (الاثنى عشر) لالكسندر بلوك » (٨٨) وقد استفاد الرمزيون كثيرا من مقدرته الإيقاعية ومن التأثير القوي لفقرائه الخطابية .

اما الكسى ولستوي ـ والذي يمت بقرابة بميعة لليوبولستوي العظيم ـ فقد نحة منحي اخر . اذ كسون مع ابولسون جريجوريف وابولون ميكوف (١٨٢١ - ١٨٩٧) وعدد اخسر من الشمراء النبسلاء جماعة ادبية دافعت عن مبادىء (أنفن الخالص) في وجه عواصف التيارات الفكرية المصطرعة . وكتب جريجوريف بمقالاته ضد اصحاب النزعبة الوصغيسة العستور الفكري لهذه الجماعة التي وفقت بيسن مثاليسة شيلنج ورومانسيته وبيسن النزعسة السلائيسة المحافظة التي بدأت مأخذ الجانب المضاد فعاة التغريب او السير وراء الفكر الاوروبي.. وتجاوزت سلافية هذه الفترة جمود السلافية الكنسية الفديمه وطعمت ببعض دعاوي الشوفينية القوميسة وببعض فكريسات الحركةالشعبية. ولكسن جماعية الفسن الخالص المحافظية استبدلت مثالية شيلنج بافكار الشعبيين الاصلاحية او الثورية .. وكتب تولستوي في ظلل هذه النزعية المحافظة التي لم تحرمه من السخرية من حكومة تركييز السلطة ثلاثيته الشعرية (وهاه أيفان الرهيب) و(القيصر فيدور) و(القيصر يوريس) من الشعر المرسل ، الذي يقترب كثيرا من روح ملحمة ايجور الشعبية ، والذي كان شيئًا رياديا في هذا الجال ، الحدرت منه فيمثا بعد تيارات الشعر الرسل الواهنة والجديدة معا ، واستفادت منه حركة الشعر الروسي وان جنحت بعد ذنك بعيدا عنه . لكسن انتاج تولستوي لم يكسن كله شمسرا مرسلا . . فقد كتسب عددا كبيرا من القصائد الفنائية والمقطوعيات الشعبية . كما كتب جريجوريف في ظل هذه الجماعية قصائده الفنائيية الساحرة التي تغنى فيها بموسكو القديمة واغرم عبرها بجوفات ألفجر وتجاربه البنائية التي اثرت التجربة الشعرية والايقاعية للقصيدة الروسيسة برغم فراغهما النسبي من المعنى كمسا يجمع على ذلك نقاده .

واذا كان نيكراسوف شعبيا ذا نزعة ثورية وتولستوي محافظا فان فيت كان عدميا ذا ولع شدبد بالغلسفة والانسياق وراء الاحلام. كتب معظم اشعاره ما بيسن ١٨٤٠ و١٨٦٣ ثم اعتصم بالصمت لاكثر من عشريسن عاما . وكسان « حرفيا من الطراز الاول واستاذا في القصائد القصيرة التي تتفني بالحب وبالطبيعة . وربما كان اكثر الشعراء

الروس في الغرن الناسع عشر بعاء من حيث الموسيقي . وكان البنيان الايقاعي المسيطر على شعره تطويرا لطريقة التفني عند جوكوفسكي)(٢٩) ومع ذلك فلم تلق فصائده المدهشة عن الحب والطبيعة اي نفدير فبسل نهاية القرن ، حيث اهتم به الرمزيون واعتبروه اسناذا في الموسيقي وجماليا صوفي النزعة وشاعرا من ارفع طراز . وقد تأثر هذا الشاعر تأثرا كبيرا بشوينهاور وترجم مؤلفاته الى ائلفة الروسيه . . كما الطوى شعره على ايمان عميق بوحدة الوجود وعلى نزعله صوفية لا نجلد مثيلها الاعتبد الصوفي العربي الكبيسر محيى الدين بن عربي .وقد . هاجمه التحرريون والاشتراكيون في الستينات .. واعتبروا أشعداره ابليغ دليل على الجمالية الغارغية من المعنى . ولم يفطنوا المالقوة الروحيسة ألتي نتبدى وداء هذيسان الروح الغامض وعبيسس الاعتداب المبهم في اشعاره .. زلا الى الدور الكبير الذي تضطلع به الاحسلام في عالمه الشعري ، ولا الى كشوفه اتشعرية ولمساته الرقيقة التسي تنم عن بصيرة شفيفة . وغير ذلك من القدرات والانجازات التي نهل منها الشمير الروسي بعد ذلك دونما كلل .. وفي قصيدته (زهرة سبتمبر) نلمس بعض هذه الصفات برغم جناية الترجمة عليها ..

فنحت شفتيها الحمراوين نصف فتحة لتنهدات الصباح الجليدية فما اغرب ان تبتسم وردة ،

في يوم رشيق الخطو من ايام سيتمبر .
اي مغامرة جسورة هي ، حتى تبتسم بكبرياء جليل كملكة يزدهي الربيع على شغتيها قبل ان يرفرف العصفور الازرق ويحوم بالقرب من الشجيرات التي افتقعت اوراقها منذ زمن بعيد انها نزهر بثبات راسخ وتأمل في ان تنتزع من سرير البرودة هذا وستكون الوردة الاخيرة التي تنشبت نشوانة

في هذه القصيدة القصيرة لا يمكن ان نكتفي بما يمنحه لنا السطح الخارجي الهادىء .. بل لا بعد لنا من النفاذ الى جوهرها الدفيمن عبر تعقد الملافات وتعددها خلف غلالة البساطة البادية .. وعبر الاحالات المعديدة التي فعد تثيرها في النفس قصة هذه الوردة الجسورة وسط رباح الجليدة .. فربما كانت وردة الشعر التي تهب عليها رباح النثر من كل صوب ، وتطمح في كبريائها النبيال ان تعود مرة الى اخرى لتزيمن صدر الحياة .. وربما كانت عشرات الاشياء الاخرى التي توحي بها هذه المرحله الصاخبة في حياة روسيا الاشياء الاخرى التي توحي بها هذه المرحله الصاخبة في حياة روسيا .. لكنها في جميع الحالات كانت مدخلا ملائمنا للعديث عن الموجه الجديدة التي ادهمت بها اشعار ما بعد الرومانسية .

(٥) الانتجاء الرمزي ٠٠ واطلالات العصر التجديد:

بنهدي الضيفة الفتية.

ها نحىن بعد تلك الرحلة الفرورية الطويلة نبلغ مشارف العمر الجديد .. حيت تخلت فكريات عصر التنوير ومدارسه الادبية عن مكانها للافكار والدارس الادبية الني صاغت مسيرة الادب الروسيهي القين العشرين .. وحيث بلغ الصدام بين المثقفين والسلطة ذرونسه في سنوات الاعداد للثورة .. وحيث تخلفت ارهاصات التقيير الجذري في مجالات الفكر والادب والسياسة . فعلى الصعيد الفكري والسياسي بنات العواصف نهب من جديد على عرش ال رومانوف . وتعرض الفيصر بلاغتيال عدة مرات حتى عصفت به مؤامرة الرهابية عام ١٨٨١ اغناله فيها طالب من حزب (الارادة الشعبية الجديدة) الذي نهض على انقاض جماعة (الارض والحرية) وهي ابرز جماعات التوربين في الستينات. جماعة (الارض والحرية) وهي ابرز جماعات التوربين في الستينات.

⁽۲۷) الرجسع السابق ص ۱۱۸ .

⁽٢٨) ج.م. كوهن (تاريخ الادب الفربي) ص ٢٩٤ .

⁽۲۹) ديمتري ابولينسكي من مقدمته له (كتاب بنجويسن للشمر الروسسي) ص ٤٢ .

والخمسينات والسنيينات تماي من النبول من جديد ، وتعلص رقعه دعاتها من الادباء والمفكريسن والسياسيين . فعوضت السلطة السلافيه النزعة انفضاض آلكتاب من حولها بالجنوح صوب العسفوالارهاب. فاحكم آلرجمي الديكتاتوري الكبير بوبيعونوستزيف فبضته الحديدية على روسيا طوال سنوات وسنوات ، ونجع في الخروج بالقارب القيصري سليما من المجاعة التي اجتاحت روسيا مع بدايات العقد الاخيرمن القرن الماضي . وعلى الجانب الاخر تعددت آلجماعات الثوريه الي الفترن الماضي . على فكر ماركس وانجلز وداروين وبرودون وشبنهور ونيشه الماضي . على فكر ماركس وانجلز وداروين وبرودون وشبنهور ونيشه وكتابات الاشتراكيين الخياليين من امثال سان سيمون وروبرت اويس ولوي بسلان . واستلهمت خطى كومونة باريس النقدمية الاولى عام المجطعة الثانية كومونة . ١٨٧ ـ ١٨٧١ آلتي اجهزت على عرش نابليون المحبطعة الثانية كومونة . ١٨٧ ـ ١٨٧١ آلتي اجهزت على عرش نابليون

وعلى الصعيد الادبى كان عمالهمة الادب الروسمي الذين رفعموا منارات الهدايسة لنسعب يرسف في فيود الذل والعبسودية ... تورجنيف وارستروفيسكي وسالتيكوف وديستويفسكي واولستوي وتشيكوف ب قد قدموا اعظم اعمالهم الوافعيسة قبيل نهاية ألفرن . ولم يعدباستطاعة احد أن يضيف شيئسا أنى عالم ألبشر الزائديسن عن الحاجة ، بينما تضج اعماقهم بطافات وانفسالات وامكانيات هائلة وحبيسة مصا ، والذي صورته معظم أعمال هؤلاء الكتاب العظام . وبدأت رياح التغيير الذي اعترى الادب الفرنسي - أكثر الاداب تأثيراً في الادب الروسي -بعبد منتصف القرن عندها هز بودليس (۱۸۲۱ ـ ۱۸۹۷) ضميس العصر بترجمسة اقاصيص أدجار آلان بو (١٨٠٩ - ١٨٤٩) غير العادية عام ١٨٥٤ ، ثم باصدار ديوانه القنبلة (أزهار الشر) عام ١٨٥٧مفسحا بللك الطريق أمام اسلوب تمييسري جديد اثرته وعمقته اضاعات بسول فيرلين (١٨٤٢ ــ ١٨٩٦) وستيفسسن مالارميه (١٨٤٢ ـ ١٨٩٨) وآرثر راميو (١٨٥٤ - ١٨٩١) من بعده . وولدت خلال مفامرانهم اجنة الرمزيسة منخطيسة اظلال البرناسية والوافعيسة معا ءثم خرج الشعسر الحر من اهابهها بعهد فليل . بدأت هذه الرياح تهب على الادب في روسيا .. بل لقد رادق الدلاعها في فرنست بعض الارهاصات المشابهسة في روسيسا تفسها والني بعرفتها على ملامحها البساكرة منذ قليل .. لكسن بدايسة الثورة التي انعطفت بالمسيرة الندريجية المتنابعة الحلقات تلشمس الروسي لم تبدأ قبل العقد الاخير من نهاية الفسرن الماضي . وهي ثورة على درجة كبيرة من الاهمية لأن أغلب تيارات الشعر الروسي الماص خرجت من اهاب هذه الثوره التسبي استمرت حيويسة متجددة لاكثر من عقدين من الزمسان . وهي ثورة كبيرة لانهسا انطوت في ألواقع على أكثر من حركة تجديد وأحدة ، أعربت كلها عن ضيقها بالوضع الذي آل آليه الشعر والشاعر الروسي فيالسبعينات والثمانينات ولكنها لم تتفق في تصورها للمخرج من ازمته . بـل تعددت اجتهاداتها بصورة اعادت للشمسر الروسي عصره اللهبي مسن جديد .. واكسبته حيوية وخصوبة واضحتين ، ولكنها في نفس الوقت وضعته على حافة التمزق والمأساوية . فقسد ضاق الجميع بتعهور وضع الشعسر أزاء مد موجهة النثر الكاسحة ، وبتراجع دور الشاعس امسام الزحف المقدس لدور الثائر السياسي الذي بدأ يحسل مكان الصدارة في المجتمع الروسي . ولكن الدروب تشعبت بهم حينما حاولوا البحث عن طربق للخروج من هذا المأزق ، فاتجه البعض الى الرمزيسة والبعض الاخر الى المستقبلية .

(٣٠) لزيد من التفاصيل عن الواقسع الحضاري . . الفكسري والسياسي والادبي لروسيا النصف الثاني من القرن الماضي راجع الفصل الاول من كتابي (مسرح تشيكوف). منشورات وزارة الاعسلام بغسداد ، ١٩٧٣ .

وطرح الرمزيون اول سبيل للخلاص اذ ظهرت البشائر الاولسسى لمدرستهم مع بدايسة التسمينات . واستطاعت ان « تبث الحيوية في الشمسر وكانت لهما روابط بالانب في اوروبا الغربيمة اكثر مما كانت عليه ايام بوشكين . وكانت القوة المحفرة لها مزودة ببقايا السلافيت وبالحيوية الروحية لاجزاء من الثيوصوفية ولاجزاء اساسيسه اخرى من صوفيسة الكنيسة الارثوذكسية » (٣١) . وبعت رمزيتهم مفايرة للرمزية الفرنسية وملتعيبة معهما في آن . ولا غرو ، فقسد (قدمت الدوافيع الاصليه لهنده الحركة من فرنسا . أذ كان الرمزيون الاواثل مشنبل برباسوف شديدي المآثر في كل من نظرينهم الشعرية واسلوبهم الفني ببودلير وفيرلين ومالارميه .. لكن الحركة كانت لها جدورهسا المحليسة في اشعار تيوتشيف التي سعت الى اكتشاف الحقيقة الثاوية خلف عالم الاحاسيس . وفي التجربة الايقاعيسة لفيت التي استبقست مطامحهم في توبيق العلاقة بين الشعر والموسيقي .وفي الاشعار الصوفية لسولوفييف » (٣٢) ولازدواج المؤثرات هذا ، بعث الرمزيةالروسيةملتقية منع الفرنسية ومختلفة معها في أن .. بلتعني معها في ضيقها بالبرناسية الى مثلنها في روسيا مدرسيسة جريجوريف وميكوف ، وبالوافعية الني دفعت النثر الى اكتساح الشعر في طريقه .. وتلتفي عميداً في تدريد " إلا يكسون الشنصو وحنفيداً ولا رؤائيداً بل إن يكون ايحائيا ، وأن بكفي بالتلميع عن الاشياء وباستخراج صفاتها الني نجسم فكرة ما ، فليس للقاريء أن يقاد بيده ألى موطن فكرة الشاعر الدفيفة ، بل عليه أن يجهد الفكرة انتي يضمنها حضل القصيهدة الضيابي ، وان تفوده علامة لا بدرك الى احد الامكنة ، حيث تختسيء او تتفتح فكرة هي غامضة لانها مركبة)) (٣٣) ثم تختلف عنها بعد ذلك... اختلاف الجذور الروسية الغرفة في التصوف والرؤى الغلسفية والدينية ، عن الجنور الغرنسية البودليرية الطابع ، الطالعة من رحم الجنس والافيون والانخراط العفوي في ثورة كومونة باريس الاولى. والحقيقة أنه لم نكن ثمة مدرسه رمزية واحدة في روسيا ، لان الشمراء المديدين الذين انضووا تحت لواء هذا الاتجاه بينهم من التمايز والتباين ما يجعل من الصعب وضعهم في مدرسة واحدة ، وان كان من المكنن ان نسلكهم في نيادين دئيسيين . ينهض النياد الاول منهما عسلى كشوف فيت الايقاعية وعلى بجربته في تعميق الاواصر التي تربيط الشعر بالوسيقي . . وكان أبرز أعلام هذا النيار فاليسري بريسوف Valery Bryusov وانوكينتي انينسكي (١٨٥٦ (1978 - 1AVY) _ Annokenty Annensky (19.9 _ ـ ۱۸۷۷) د Konstantin Balmont و ۱۹۶۳ رومکسیملیان فولاشین(۱۸۷۷ ـ Makcimilian Volashin وعدد آخرهن الشعراء الاقل اهميه. وكان هذا التيار اقرب التيارين الى المدرسة الفرنسية ليس فقط لان الشاعرين الباردين بريوسوف وأنينسكي اللذين قاداه قد استلهما اعمالهما من الرمزيين الفرنسيين ، ولكن ايضا لانه كان تيارا ادبيسا خالصاً لا سياسة فيه ولا فلسفة ، ولان اعتماده على تجربة فيست الشمرية وجه اهتمامه صوب الصونيات والاستعارات والاحالات وعناصر البنيان دون عناصر الرؤية . ومن هنا شغت تجربته الشعرية بطاقات يستحيل نقلها خارج اطار اللغة الاصلية ، وبصفاء صوتي ضرب ابلغ الامثلة على « أيوفونيه » اللغة الروسية - كما يقول أورلوف - وعلى

⁽٣١) ج . م . كوهن (تاريخ الانب الغربي) ص ٣٠٩ .

⁽٣٢) ديمتري ابولونسكي من مقدمته لكتسساب (بنجوين للشمس الروسسي) ص ٢٢ ،

⁽۳۳) فیلیب فان تیجیم (الله الادبیة الکبری فی فرنسا) ، ترجمة فرید انطونیوس ، منشورات عویدات ، بیروت ، ۱۹۹۷ ، ص ۲۸۰ ،

جمال تنافعاتها وتساوفاتها العلبة . وكان هذا التيار اميل الى النزعة السلافية اذا ما اردنا تحديد موقفه مسن الاتجاهيس الكبيريس اللذين سيطرا على هذه المرحلة . ولكنه لم يفهم السلافية كمسافهمها اتصار جماعة (الغن الخالص) ، لان سلافيته كانت اقسرب الى التصور القومي منها الى التصور الديني . وقد انعكس هذا في من التأثيرية التي تتيع للفنان أن يطلق لحواسه وخيالاته وانطباعاته من التأثيرية التي تتيع للفنان أن يطلق لحواسه وخيالاته وانطباعاته البكر المنان ، دوي أي قيد أو شرط ، وأن يبادر الى اقتناص المحاد العلبيعة وانعكاساته على ذاته . وادى شفهم بالطبيعة واحترامهم العسية وانعلمات النفس الباكرة عن الاشياء الى نوع من الاغراق في الحسية وأن سيطر عليه بعضهم بالصنعة المحاذقة وترك اله البعض الاخسر حريدة التمادي في الجموح والعفوية .

وقد حاول انينسكي الذي قدم ترجمة شعرية جميلة لاعمسال يوربيديس الى اللغة الروسية ، حيث كان من ابرز علماء اليونانيات في عصره والذي اغرم في قصائده بتصوير الماناة والوت والجمال البعد في عالم البشر الزائدين عن العاجة . . حاول ان يجري على التصيدة الشعرية بعض التجارب الوسيقية وان يخضعها لعنسف التهوجات الصوتية للالات الموسيقية .. وقد ترك هذا الفرام بصماته على عناوين بعض قصائده وعلى مبنى بعضها الاخر الذي اجمضعه لبنيان السوناتا الموسيقية مرة ، والذي جعله صدى لتصاعد الايقاع تحو ذرى صوتية عالية (كريشيندو) او لهبوطه التدريجي حتى يندغم في الصمت (ديكريشيندو) اخرى .. ولم يفصل انينسكي الايقاع عن المنى في هذه التجارب الموسيقية بل جعله وجها اساسيا من عن المنى في هذه التجارب الموسيقية بل جعله وجها اساسيا من اثرائه بالدلالات والايعادات المتعدة .. لذلك فان قصيدته (دبكريشندو) اثرائه بالدلالات والايعادات المتعدة .. لذلك فان قصيدة (دبكريشندو) اللايقاع فيها .. والتي جعلته يهبها هذا المتوان الصوتي الدال ..

من العراك الوحشي بين السحاب والسحاب تولد العاصفة فتصطخب تحتها الادواج المتلاطبة في البحر الفارغ وتنعفع مليئة بالعنف والفضب مهدة الشاطيء

وعند العساراتها تخلف ورادها زمجرة وهديراً كذلك المندفع من فوهة مئات الفجوات ثم تنهار في الوهاد ، وكأنها من حديد ، فتتخبط مياهها الزبدة ثم يأخذ الثور الجبار طريقه، ليسوط بذيله السحب ولكن .. رويدا رويدا .. تتخفف الامواج المناطعة ويسحسر مدها وتنحني غوارب امواجها المطيعة تحت القوارب الطافية والان .. فانها بالكاد تنوش الطبي وتداعيه .. فقد انفثا غضبها والرمل طري والشاطىء الشمس شديد الهدوء وتنطوي الوجة ثم ترقد متراخية في

ان اي تحليل للالغاظ التي صيفت منها القصيدة بعد الترجمة ، وبرغم اهمية الجرس والإيقاع المقودين ، سيضع ايدينا على ذلسك الديكريشيندو الذي يهبط فيه الصوت وبخفت حتى يمدوت .. ففي البداية كان العرائه الوحشي والعاصفة والإسطسخاب والتلاطه والإندفاع والفضب والتهديد .. وفي الوسط بدأ يظهر الإنهسار والتخبط والزايد والانخفاض والانحسار .. وعند النهاية بدأت الكلمات تبن وترق فظهر الانحناء وبدأ الشاعر يهتم بأعراف الامواج وغواربها اكثر اجزاء الوجة هشاشة ، ثم جاءت الطاعة والقوارب الطافية وبدأت العلاقة الشحونة في البداية بالتهديد بين الموجة والشاطيء بناخذ شكلا آخر .. أنها تنوش الان العلمي المترسب عند بداية التصال الشاطيء بالماء وتداعبه ثم تنطوي وترقد متراخية في هدوء .. امسا على صعيد المعنى فان هذه القصيدة القصيرة التي تبدو لاول وهلة وكانها احدى القصائد الوصفية للطبيعة ما تلبث اذا ما تربثنا امام

حركة المنى فيها ــ لان المنى هنا دينامي متحرك وليس ثابتا ــ ان تبوح لنا بالكثير . وخاصة آذا ما وضعنا في اعتبارنا ذلك التشكيك ، اللي يستهل به الشاعر قصيدته ، في حقيقة او بالاحرى واقعية الشهد برمته .. لان كل هذا يحدث في بحر فادغ ، او بمعنى آخر يحدث في بحر مجازي لا واقعي ، واذا ما عرفنا انها كتبت ابان حركسة القمع الوحشية التي اعتبت فشل ثورة ١٩٠٥ .. لتضع فاعليسة عنفها آلوحشي بين قوسين كبيرين من الشك . ولتملأ النفوس بأمل دائم في الحياة التي لن تلبث أن ترق وتصفو برغم كل العواصف .

أما فاليري بريوسوف الذي كان يعتبر الكلمات عالمه الانير ، ويعتبرها ماسا وذهبا وصلباويرى أنها تطير وتحترق وتلمع وتتحرك . . فقد كان اشد ولما بالكلمات واقل ميلا الى الاهتمام بأي شيء خسارج ذاته في الفترة التي تزعم فيها الحركة الرمزية في موسكو .. لانسه ما لبث بعد الثورة أن أتجه إلى تأييدها وترك الرمزية وراء ظهسره كما فعل بلوك . وابان دمزيته كان شعره بالغ الصقل والهدوء ، شديف الاهتمام بالصور الخيالية والاستمارية .. وظل طوال الرحلة الرمزية في حياته « خادما مخلصا لالهة الشمر ، والي جانب كونسه عالما وفقيها لغويا مجيدا، ودارسا ممتارًا للكتاب الروس والغرنسيين، كان أستانًا للشكل ، ضبط التوافق النفمي بواسطة عالم الجبر ، وكان يفتقر الى التجربة الصوفية ، واستخدم الرموز كدلالات جمالية على نظام لغوي مرتب . ولم يكن في حقيقة الامر يبالي الا بالقيسم الجمالية » (٣٤) الخالصة . ومن ثم فقد حاول أن يوسع من أفسق المساحة الايقاعية ألتي يتحرك فيها الشاعر الروسي فأجرى بمنض التجارب التي دخلت ينضلها بعض الاوزان الجديدة الى الشمسر الروسي . وحاول أحياء الروح الكلاسيكي من جديد مستغيدا في ذلك من دُبول الرومانسية الروسية ومن الاعمال الشمرية والعرامية ـ التي ابدعتها الكلاسيكية الغرنسية الجديدة . وانعكس اهتمامسسه بالبنيان الشعري بشكل واضح على فصائده التي اهتمت بقضايسا الشعر الجمالية ، ففني في قصيدته (سوناتا الشكل) للاكتمسال والتساوق في البنيان بينما اسغرت فصيعته (الى الشاعر) عسن بعض دؤاه وتصوراته الادبيسة .. او بالاحسسرى عن بعض رؤى هسله التياد اارمزي لطبيعة الشمر وبود الشاعر .. لذلك الرنا أن نترجم هذه القصيدة القصيرة هنسا لانها تنوب عسن الكثيسر مسن التحلبلات والاحاديث النظرية عن هذا التيار ...

لا بد أن تكون فخورا كراية ، طابا كسيف ولا بد أن تتوهج خداك ، كدائش ، باللهب الغفي كن هادنا وباردا وساخرا ازاء كل الاشياء وادر نظرتك متفحصا كل شيء حولك . واطلق لهارتك المنان ، فكل شيء في هذه الحياة ليس آلا وسيلة لابداع مقم بعنوبة الشعر وحبويته وابحث منذ طفواتك البهبجة عن تراكيب الكلمات وغدما يقيرك الفضب القاسى ، فلتسم بالامك المائية وفي احلام الصباح وفي كوابيس المساء ، حاول أن نعوك رسالة القدر الهمومة حاول أن نعوك رسالة القدر الهمومة وتذكر ، ففي زمن سحيق ، جعل تاج الشاعر المدال مرة من الشوك

وخوفا من أن يجلل له هو الأخر تاج من الشوك ، انفسسم بريوسوف الى معسكر الثورة بعد عام ١٩١٧ كما فعل بلوك واندريت بلى من الرمزيين ، واستطاع معهم أن ال يسلم راية الشعر مباشرة الى الجيل الجديد من الشعراء السوفيتيين ، وهذا ليس تعبسسرا

⁽۲۶) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ۱۷٫۷ .

استماربا ولكنها الحقيقة . لان محاضرات بلوك واندريه بيلي عسن الشعر قد استفاد منها شعراء المستفيسسل ونابروه . ولان شعراء العشريئات الشباب قد درسوا في (المهد الادبي) الذي نظمسه بريوسوف) (٣٥) وتعلموا من تجريته بعد الثورة التي غنى فيها لفيم وافكار العصر الجديد دون ان يتخلى عن ولعه الدائم بالانعسسات للكلمات واللعب بها كقيمسة جماليسة وصوتيسة مجردة . ذلك لان ..

الكلمات المتنوعة هي العالم الذي اعرفه فالكلمات مثل الماس او اللهب او الصلب الكلمات التي تتألق وتتقد وتتوهج

ولكن كلمة (الكدح) هي أكثر الكلمات قداسة .

انه لا ينسى وهو يغني للقيمة التي أعلت الثورة شأنها أن هده القيمة على الصعيد الشعرى تتبدى وتتجسد في كلمة .. ربما كانت اكثر الكلمات فداسة ولكنها كلمة فبل أي شيء .. كلمة من عالسم الكلمات الذي عرفه الشاعر واتقن الانصات له وتغانى في خدمته حتى آخر رمستى .

بعد براوسوف والينسكي لا ببقي من شعراء هذا التيار البارزين سوى بالمونت الذي كانوا بلقبونه بأورفيوس الحركة الجديدة . والذي تظهر هده بدابات الطابع المآساوي الذي رافق ازدهار الشعر اسسان الحركة الرمزية . فيمد أن كان بالمونت أشهر الشعراء الروس طوال العقد الاول من هذا القرن ، بصورة لم يستطع معها أي شاعر شاب ان ينجو من تقليده في بداية حياته ، وبعد ان تغنى بروسيا وعشقها الى حد الهوس ، ها هو يموت وحيدا فقيرا مهملا ومنسيا وجالعا في باريس القرورة الكثيبة الرازحة تحت كلاكل النازي الثقيلة عمام ١٩٤٣ ، بعد أن عاني عذابات الفربة والوحشة والبعد عن روسيسا الحبيبة منذ هاجر منها عام ١٩١٨ . وبعد أن تركت هذه الهجسرة الاضطرارية الدامية قروحها على اشعاره الاخيرة الليئة بالحسون والماناة والتشوش ، والتي اكسبتها طبيعته التلقائية وموهبته المتفجرة ومزاجه التقلب وحساسيته الفاقة درجة من السحر الذي بختلط بالعنف والغموض . لكن اشعاره التي كتبها في روسيا والتي اثسر بها في المدرسة الرمزية كانت شيئًا آخر .. كانت ذات « نغمسة تطريبية عالية ، واوزان متناوبة وقواف رنانة وتتبيعات ساحرة وقدرة ابتكارية مذهلة على تنفيم الالفاظ وتوقيمها . وقد خدم فيها كما قال هو نفسه الهة السكون الهاديء والهة الحركة بنفس القدر . وانتقل فيها من الحركة الى التأكيب العاصف للحب ومن الانفعال السبى الغنائية . ومن تقليد الغن الشعبي الى ترجمات بو وبودلير وكالدرون وشيللي . وكان سحر شعره كسحر سحابة جميلة ، يختفي بنفس السرعة . وكسان دوره في احيساء الشمسير الروسيي واخصابه عظیما » (۲۹) .

(٦) الرمزبة الصوفية . . مكونا ها الفاسفية وتأثيراتها:

اذا كان البيار الرمزي الاول قد انتهى قبل اندلاع الثورة بعسدة سنوات ، اذ كان احد قائده قد مات قبل اندلاعها بتسع سنوات وفقد المع شعرائها بريقه ثم هاجر من روسيا تهائيا عام الشسورة سينما انحاز قائدها الاخر الى صف انثورة في العسام نفسه .. اذا كان هذا حال التيار الرمزي الاول فان تأثيسر التيار البرمزي الثاني ـ الذي كان مزامنا له ولم يكن تاليا او سابقيا ـ ما زال مستمرا في واقع الشعر الروسي حتى البوم ، وذليل لاسباب عددة .. اولها أن هذا النيار قد استقطب عددا كبيرا مين الشعراء ذوي الواهب الكبيرة ، وثانيها أنه قد ارتكز على ارضية

فلسعيه خصيبة لها اصداؤها الغوية في الروح الروسية .. وثالثها ان رمزيته تجاوزت نطاق الاهتمام بالشكل الى جوهر الرؤية نفسها ومن ثم فقد كفلت لنفسها الحياة لوقت طويل .. ورابعها أن هسذا التيار كان اعمق وعيا بازمة الشعر الروسي من التيار الاخر .. فلسم تكسن الازمة في بصوره هي فعسدان الشمسر لدوره أزاء موجسة النش الكاسحة ، ولم يحلها بالاهنمام بان يكون الشعر اكثر عدوبة واجمسل ايقاعا كما فعل التيار الاخر .. بل كانت الازمة في نصوره هــي تفير حساسية العصر وهي البحث عن دور وعن تصور لوظيفة الشعر ودور الشاعر في مجنمع احتل فيه الفعل المكان الاول ونحي الشعسر جانبا .. وخامسها انه اذا كان « شعراء النيار الاول من الرمزييسن تعبیر بین ورمزیین دوی طابع بودایری او هیرلینی ، وشهوییت او شكيين وضالين ، ولكنهم أسنطاعوا أن يبسطوا اجتحة الشعر الروسي ومصادرة على طريقة د الينزو ، فان شعراء النيار الثانس كانسوا روسيين حي النخاع » (٣٧) وكانت هذه الروسية الاصيلة عامللا في فوة تأتير هذا التيار وحيويته . اما العامل السادس فهو ان اثنین من شمراء هذا التیار الکبار - وهما بلوك واندرمه بیسلی -استطاعا بانضمامهما الى الثورة وبموهبتهما الادبية الكبيرة ان يؤثرا في جيل كامل من الشعراء لم استمر تأثيرهما حتى احدث اجيسال الشعر الرؤسي .. لكل هذه الاسباب مجدمعة كانت اهمية هسسدا التيار الرمزي الاصيل ، وكان تأثيره الكبير في الشعر الروسي . وبنهض هذا البياد الرمزي على صوفية الفيلسوف الرؤيسوي وعلى انتاجه الشعرى مما . « وتنطوى اعماله الفلسفية في خطوطها الرئيسية على نوع من الوحدة أو التوحيد بين كل الكنائس ، وعلى نزعة صوفية توفق بين أندبن والعلم » (٣٨) وعلسى دكسرة مثسالبسة تعود الى افلاطور واغلوطين . وتنائر بالاداب المسيحية وبالافكار البوذية معا . وتنهض فلسفته على فكرة وحدة الوجود التي كانت بطبيشها غائية آو نهائية ومطلفة باعتبارها محورا لتفكيره . وفد عرف--ها سولوفيوف بانها الدالم السماوي الذي يتجسد في اسم الله . ولا يمكن ادراك الحقيقة أو وحدة الوجود عنده أدراكا عقليا أو تجريبيا . ولكن يمكن ادراكها فقط عن طريق المعرفة الكلية التسبي تمر عبر المعرفة الصوفية . ومن خلال الايمان بالوجود اللامنناهسي للمدركات الحسية . والتأملات او التصورات العقلية التي توصلنا الى الحقيقة الجوهرية للمدرك الحسى هو نوع من الابداع عنسده تتحقق فيه الفكرة من خلال البصيرة والتجربة . ويرى سولوفيسوف ان العرفة الكلية هي الحصلة النهاتية للبصيرة الصوفية والعرفة العقلية والتجريبية العلمية . ومن خلال ذلك استطاع ان يحفسق نوعا من الوحدة بين اللاهوت والفلسفة والعلم فيما سماه بالثيوصوفية الحرة ، التي تنجسد على النطاق الاجتماعي في تلك الوحدة الروحية الاختيادية بين البشر ، والتي سماها بالثيوقراطية الحرة . وعلى الصميد الكنسي فان (مملكة الله) سنتحقق على الارض حينما يعسف ق جميع البشر تلك الثيوقراطية الحرة ، التي سيكون من نتيجتها نوحيد كل الكنائس . وكان هذا في تصوره هو الدور الملقى على عاتق الشعب الروسي . ففي فلسفته كان هناك مكان للفرد ومكان آخسر للجماعة .. فالغرد يستطيع بفوة بصيرته أن يحدس مشروع العالسم الاول وان يدرك الروح الكلية والازلية خلسسف مظاهر التجربسة الحسية .. بينما يناط بالجماعة العمل على تحقيق مملكة الله فوق

⁽۳۵) الكسندر ماكاروف (الشعر الروسي بين ١٩٦٧ و ١٩٦٧) عدد خاص من مجلة (الادب السوفيتي) يونيو ١٩٦٧ . Alexandr Makarov , (Russian Poetry 1917 - 1967) Soviet Literature monthly , June 1967 .

⁽٣٦) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١٧٢ .

سطح الارض » (٣٩) . (٣٧) ج.م. كوهن (تاريخ الادب الغربي) ص ٣٠٩ .

۸۵ م.م. کوهن (شمر هذا العصر ۱۹.۸ مـ ۱۹۱۵) ص ۸۵ J.M. Kohen , (Poetry of this Age 1908 ـ 1965)
Hutshinston University Library , London ,1966, .P .85.

^{. (}۲۹) ازید من التفاصیل راجع (القاموس الفلسفي) ص ۲۲). A Dictionary of Philosophy, Edited by M. Rosenthal and P. yadin, Progress Publisher, Moscow, 1967, P. 422

بهذا التصور الفلسفي اكسب التيار الرمسزي الثاني اتجاهسه الادبي بعدا فلسفيا امتزج بالبعد القومي والتفى مسع صبوات الروح الروسية في كثير من نواحيه . التقى مع حنينها الى تحقيق النوازن بين المقلانية المتنامية والفكر الديني المتدهور والذي وجد اكمل تعبير عنه في تخليص سولوفيوف تلدين المسيحي من رجعية الكنيسسة السلافية وتخلفها ، وتخليص الفكر الاوروبي من جموح افكار النصف بلاخير من القرن الماضي صوب رفض الدين نهائيا . والتقى مع توفها الى أن يكون لروسيا فكرها الميتافيزيقي الخاص وتصورها المستقل لمدور الانسان في رأب الصدوع بين عالي المثل والوفائع . والتسقى مسع تشوفها لان يكون تحركتها الادبية هويتها الخاصة التي لا تكون معها صدى باهتا للحركات الادبية الغربية . والتقى مع نزوع الجيل المثقف الى الارتشاف مع نتائج ابداعات العقل والوجدان الغربيين . والتغرب حاقرب الى جانب التغريب ونكن بطريقسه الخاصسة والمتميزة .

ولم بؤتر سولوفيوف في الحركة الرمزية بغلسفته فحسب بسل اثر فيها ابضا باشعاره التي امتلات بالعشيق الروحي والتضعينات والاحالات الفريبة والتي كانت اكثر القصائد اغراها في الريزيسة والفهوض في التسعينات . واشدها خروجا على فواعد الاحالة النبي تعارف عليها الرمزيون انفيهم . وقد حاول أن يحقق عبر هذه الاشعار بعض رواءه الفلسفية وتصوياته عن كون الانسان همزة الوصسل العبقربة بين الطبيمة والله . وعن اقتران البشرية بالالوهية وهسي فكرة تقترب كثيرا من فكرة الحلول عند الصوفي العربي الكبيسسر الحسين بن منصور الحلاج (١٩٥٧ – ١٢٢) الذي كان يرى أن الهدف الاعلى للحياة الانسانية في صبوتها اللامتناهية هو الوصول السي الله والاتحاد به اتحادا كليا ، والذي قال في (الطواسين) دع الخليقة لتكون أنت هو ، وهو انتمنجيت الحقيقة . . كما عبر في شمره كثيرا عن هذا الفكر الحولي . .

ادنيتني منك حتى ، ظننت انك اني وغبت في الوجد حتى ، افنيتني بك عني .

> مازجت روحك روحي في دنوي وبعادي فانا انت كما انك ، اني ومرادي

او روحه وروحي روحه .ان يشا شئت ، وان شئت شا (٠٤) وكما عبسر الحملاج عسن فكسره الصوفسي هسةا في اشعاره المديدة ، جعل سولوفيوف شعسره مرآة لفلسعت . . وعبر فله عن الكثير من الرؤى والمصورات التي كانت بمئة م سوات بعبده المدى ، والتي اسسسرعت عبرها بصيرته السفيفة حجب المسغبل حيث ابصر الوجه الاسبوي لروسيا يجتاح اوروبا في غزوات جماعية وحيث حدس انتصار النور في النهاية . وحيث رأى ظهور الشر مرة اخرى في النزعة المغولية . . وحيث تناول عددا من القضايسسا والموضوعات التاريخية ولكنه مسررها عبر مرشح رؤناه الصوفيسة والمائة الدينية . . وتحمل قصيعته التالية (شتاء عند بحيسرة سبما) الكثير من ملامحه الشعرية

احطت نفسك منالراس حتى القدم بمعطف من الفراء السميك، رقعت ساكنة ، ثم رحت في سبات عميق ، لا وجود لانفاس الموت في هذا الهواء المضيء ، ولا في هذا الصمت الابيسفى الشفيف . لن اواصل البحث عنك ،

في الرسوخ العميق الهاديء العقيم ،

(۱)) رودلف شتيشر (۱۸۲۱ ـ ۱۹۲۵) فيلسوف أيوصوفي اسس عام ۱۹۱۲ الجوعية الاشروبوصوفية التي تستهدف عن طريق نسوع من تعليم الاسرار الوصول الى رؤبة روحية تعرك العوالم العليا ادراكا مباشرا يمائل ادراكنا للاشياء الوافعية عن طريق العواس ، فالاشيساء الاادبة في نظر الانشروبوصوفية ليست الا تكوينات او بناءات عقلية وروحية مكثفة والانسان في رايها جسد وروح وعقل ، ومن اهسم اعمال شتيئر (فلسفة الحرية) ۱۸۹۷ و (نظرة جوته الكونية) ۱۸۹۷ و (النيوصوفية) ۱۹۱۰ و (النيوسان)

ففيها نلمس ذلك العناق الحميم بين ما هو ارضي وما هسبو سماوي ، وبين ما هو واقعي وما هو مثالي ، وقد امتزج هذا العناق بحس تراثي طويل تغنى عبره السعر الروسي بالطبيعة وهام بنحولاتها الخفية والبادية . وفيها نلمس دور البصيرة الكبير في ادراك ما هو «جوهر وحقيقة » خلف المشهد العرضي والنفاصيسل الواقعيسة او بالاحرى خلف الرؤية الصوفية للتفاصيل الطبيعية . . لان ما يرى هنا ليس البحيرة التي حول الشتاء ماءها الى صمت ابيض شفيف، ولكن ما خلف هذا الصمت الابيض الشفيف من رؤى ورموز واسرار.

يا سيدة ملكات الجان ، يا ملكة اشجار الصنوبر والصخود.

انت مثقلة بالافكار والرؤى والظنون كليلة شنائية ،

وسترى عيني الداخلية نفس صورتك ،

ابتها الابئة المتألفة للهيولي المظلمة .

انت طاهرة كالثلج المتساقط فوق الجبال ،

انت متوهجة كالضياء البازغ من السمال ،

Poris Bugaiv بعد سواوفيوف يجيء دور بوريس بيجايف الذي كان يكتب تحت الاسم الستعار اندري بيلي (١٨٨٠ - ١٩٣٤) والذي يدعونه بحق جيمس جويس الادب Andrey Bely الروسى . فقد كان بالنسبة لروسيا ما كانه جويس وبروست بالنسبة للغرب في العشرينات ، لانه قام بثورة اسلوبية اهتمت بان تضفي الشاعربة على النثر . وأن تفامر بالبحث عن لقة جديدة وعن تراكيب تمبيرية طازجة واصيلة ، ولانه استطاع أن بقوم بعور فعال فسسر. ترجمة رؤى سولوفيوف الفلسفية الى لغة واسلوب ادبسي . ولان نشاطه الادبي كان ذا دور حيوي في رسيخ الرمزاة الصوفية وفسي الامتداد بتأثيرها حتى مشارف الثلاثينات . فقد تنوع نشاطه و وزعت اهتماماته بين الشمر والروابة الخيالية والدراسة الادبية والفكربسة والفلسفية في بعض الاحيان . وبلغ هذا النشاط دروته فسي مجسال الشعر بين عام ١٩٠١ و١٩١٢ حيث ترك روسيسا الى سوسرا زمكت بها حتى قيام الثورة . وقد تأثر خلال هذه السنوات الخمسس بآراء رودلف شتيئر (١)) وكان بيلي كثير النحول والتبدل وال عاد الى روسيا تقبل الثورة بنوع من الاحاسيس والرؤى الفوضوبة . الاحاسيس والرؤى الفوضوية . وحاضر عن الشمر للجيل الجديد وظل مخلصا للرمزية مشكلا القطب الكبير لها بعد هجرة اغلب كتابها الى الخارج عام ١٩١٨ وبعد موت بلوك ثم يريوسوف ..فوقف وحسا في مواجهة ألقطب الكبير الاخر للحركة المضادة - المستقبلية م فلاداهير ماناكوفسيكي . . وتكتبه نم يستطع المعمود ازاءه . . لان بيلى فقد تأثيره الكبير رسحر القوى منذ خروجه مسن روسيسا عسام ١٩١٢ . . ولانه ـ كما تقول باسترناك ـ كان ساحرا للفابية واكتبه كان في نفس الوفت معدودا الى اقصى حد . وكان اشبه بموسيقي الحجرة لا تستطيع الحانها الشنجبة أن تؤثر في نطاق أوسع من هذا المجال المحدود اوسيقي الحجرة « وأو عاني حقيقية لتمكين من أن منجز عملا عظيمسا كانت قدراته تؤهله لانجازه . لكنه لم برتبط ابدا

^(.)) لمزيد من التفاصيل راجع ماسينيون (شخصيات قلقة فيي الاسلام) ترجمة د. عبد الرحمن بعوي ، دار النهضة المرسية ، القاهرة .

تتسكع فوق صف من الروابي الناتئة ، وتخترق روحي الهاربة من الليل ، وحيث تمضي طرق الوت والامراض المهلكة وتتلاشى ، اوه روسيا .. يا روسياي الحبيبة !

باندري بيلي وسولوفيوف تكتمل الإبعاد الاساسية لتيار الرمزيسة الصوفيسة بابعادها الفلسفية والقوميسة والجمالية اوبتصورهسا للعملية الابداعية الذي يمنزج فيسه الالهسام الرومانسسي بالحسدس الصوفي والذي يجعل « الشاعب الرمزي منذ نشأته الباكرة عرافا بمتسلك اسرار المرفة التي تكسن خلفهسا اسرار الفعل » (}}) يشمر بنوع من الاستملاء او التميز على المالم المحيط به . ومن ثم ينقذه هلاً التفوق من الوضع الاسيف الذي تردى فيه حال الشعر فـــى العقدين السابع والثامن من القرن الماضي .. ويمنحه تبريرا معقولا ازاء عالم النشر المنتشري والغمل الثوري الذي يحظى بأكثر تغدير. « ووفقساً لهذه النظرة الرمزية تأسس احساس بالوحدة ، روعسي ماساوي بالعزلية عن الناس اللابين أصبحوا بالنسبة للشاعيب (حشدا) و (غوغاء) و (جمهسره) بواحساس بالاشمئزاز مسن الابتدال والسوفية التي تحيط بهم ، وشوق الى حقيقة مفايرة ... حقيقة جوهرية اصيلة . والشاعس الذي كان يرى العالم المحيط به على هذه الصورة ، كان يحس بان شعره نوع من النبوءة . ورأى نفسه عرافها أو كاهنها يتلقى الاسرار العظمي .. اسرار المستقبل . وفي الستوى الاعلى من هذا التصور وجد الشاعب ان عزلته ومعاناته وتوحده هي تضحيته من اجل الستقبل الذي لا تنكشف حجبه الا لعدد قليل من البشر » (ه)) وقد حاول أغلب الشعراء الرمزييسن الديسن اندرجوا تحت هذا التيار ان يحققوا ذلك كل حسب تصوره ووهيق منهجه في التعبير وامكاتياته .

واذا تركنا الكسندر بلوك جانبا ، لانسا سنتناوله بشيء من التغصيل بعد قليل ، فاننا سنجب أن أبوز شعراء هذا التيار الرمزي هم فيودور تيترنيكوف Fêdor Teternikov الذي كان مكتب تحت الاسسم المستعار فيودور سولوجــوب (١٨٦٢ ــ ١٨٦٧) Fêdor Sologub وفياتشيسلاف الغانوف (١٨٦٦ ـ ١٩٤٩) Vyacheslav Ivanov وزبنيدا جيبيوس(١٨٦٩_ه١٩٤) Zinaida Guppius وايغان بونين (۱۸۷۰ - ۱۹۵۳) Ivan Bunin وقد هاجروا جميعها عقب الثورة باستثناء سولوجوب . واذا كان بونين الذي هاجر الى روسيا عمام ١٩١٨ قلد حصل على جائزة توبل اللاداب عام ١٩٣٣ . . فإنه لم بكن اهم هؤلاء الشعراء الاربعة خلال الفترة التي اندرج فيها تحترايسة هذا التيار الرمزي في اواخسر الفرن الماضي وفي المقديسن الاولين من هذا القرن . فسرعدان ما تخلص بونيسن بعد هجرته من اثار الرمزية وانطوى تحت نفوذ اسلوب البرناسيين وكان شمره وصفيسا اكثرر منه غنائيا . ولم بحظ بالشهرة والتقدير بسبب شعره والمدا بسبب اعماله النثرية . اما فيودور سولوجوب فقد كان اهم هؤلاء الشعراء الاربعة واعظمهم اثرا . ال امتزجت ثيوصوفيته بشيء من السحير والسياسة ، وانطبعت بميسم حريس ومتشائم برتوى من يقيسن غربب مان الشيطان هو الذي يحكم الجنس البشرى مان السبيل الوحيد للهرب من هذا الواقع اليومي الكثيب هو الافراق في

بالحياة الحقيقية .. وربما كان هذا هو مصير الكتاب الذيسسن يهوتون في وقت مبكر مثل بيلي ، ومصير سحرهم التابع من جمدة اشكالهم . فأنا لم افهم مطلقها تلك الاحلام الخاصة باللغة الجديدة، او بالصيفة الاصلية المتكاملة من التعبير . وبسبب من هذه الاحلام العصيمة فان عددا كبيرا من اعمال العشرينات التي وضعت همذه التجريبيسة الاسلوبية نصب عينيها ، قد كفت عن الوجود » (٢١) واذا كان باسترناك لسم يفهم تلك الاحلام الخاصة باللغمة الجديسمة وبالصيغ الاصلية المكاملة من التمبير فان جيلا باكمله قد سحر يها ، وفتنته مؤلفات بيلي الشعرية ألتي كانت « تماثل الؤلفسسات الموسيقية في بنائها . فلم يكسن صرفة للكلمات وتنفيماته وتتبيعاته والابطاء والاسراع بالايقاع والمؤثرات السماعية ، مجرد حيل فنية ، والمنا هي تجارب شعرينة مقصودة تقوم على درانسة واسعة عميفة. كمسا أن تتحليله القياسي لمؤلفات الشمراء الروس ، وابحاله عسن المشاكل الحمالية المختلفة ، قيمة ادبيسة واضحة . والأهم من ذلسك انه حاول ايجهاد علامة بين الرمزييسن والتقاليب الادبية للفسرن التاسيع عشر ، مدعيسا أن الرمزييسن هسم الورثة الحقيقيسسسون لليرمنتوف وبيكراسوت وتيوتشيف وفيت فسي الشعبر ، وجوجسول وديستوبفسكي وتشيكوف في النثر » (٣)) وبذلك استطاع ان يمنح هذا التيار الرمزي بمده القومي والجمالي بمدمسا اعطاه سولوفيوعب بعده الفلسفي ، ولم يؤثر فيهنا التيار بشعره فحسب ولكنه اثـر فيه ايضا بنثره المربك المحير وبرواياته العديدة . (اليمامة الفضية) و (بطرسبورج) و (الاقنمة) و (موسكو) و (كوتيك ليتفاييف) - ذات البناء الفني الدهش الذي مزج عامدا الحقيقي بالرمسيزي والفكري ، والخيالي بالتفاصيل الواقعية . وبلغته التي تتميز - كما يقول سلونيم ـ بخصوبة تراكيبها ومغرداتها التسبى تتسم كثيبا بالشنوذ والتحدي ، وان كانت احيانا متصنصة وغامضة ومثيسرة للضيق . وبرؤاه التي أرهصت بتهدم عالى حكومة تركيز السلطسة والجماعات الثوربة معا ، وبتداعي تلك الثقافة الوهميسة والعاصمة (بطرسبورج) الشبحية التي تتكبون من الماء والجرانيت والتسبي توشك إن تختفي في غياهب الظلام والعدم ، والتي تثبأت في نفس الوقت للمستقيل ببزوغ مملكة الزوج التي نلمس فيهسا اصداء عديدة من مملكسة الله عند سولوفيوف . . وقبل أن تنهي هذه العجالة عن اندري بيلي لا بد لنسأ من تموذج قعمير من شعره ...

كفى ، لا تنتظروا او تأملوا ،
تفرقوا يا قومي التمساء !
فان ميراث سنوات متعافبة من العداب ،
قد تبعثر وتبدد في الفضاء !
ابه .. يا ارض بلادي ،بعد سنوات منالفقر والعبودية ،
دعيني ارح فلبي فوف ارضك الندية ،وابكي المدى الخالي .
فبعيدا عن هنا ، حيث السهول المليثة بالتلال الجعباء ،
واكام البلوط الاخضر تميل وتنهض صوب قطعان السحب الكثيفة ،
وحيث بتجول الرعب عبر السهول المفتوحة ،
طالعا مثل ابكة ذات اذرع نابلة ،
تطلق اغصانها الباسة صفيرا حادا في الربع

⁽١) الكسندر بلوك (الوضع الراهن للرم: بة الروسيسة) Alexander Blak , (On the Present State of Russian Symbolism) , from Blok Prose and Poems ,

ده) بدری دافندوف (ثورة اکتمبر والغنون) س ۱۲۱ Yuri Davydov , (The October Revolution and Arts) , Progress Publihers , Moscow ,1967 , P . 121 .

⁽۲)) بوریس باسترناك في حديث اجرته معه اولجا كارلزلي ونشر ضمين كتاب (الكتاب في عملهم) ص ۱۲۹ .

Writers at work , The Viking Press , New york 1963 . P . 126 .

 ⁽۲۶) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ۱۷۹ .

الانحرافات الجنسية والاستعاضة بعالم الاحلام عن العالم الواقعي. والانطلاق وراء المفامرات الجموحة للخيال المتحرر من كل فيود باعتبارها مهرب اخر من فبح العالم الشرير . وقد جسد هذا المعارض الدائم بيسن العلم والحقيقة في شخصيتين رمزيتين استعارهما من رائعة سرفانس (دون كيشوه) وهما دولسينيا والدونسا . كما جسده ايضا من خلال المفارقة الدائمة بيسسن اجساد الغتيات الهشة الرجسال وحيوانيتهم وختونتهم . وقسد كنب سولوجوب بالاضافة الى تتنينه الشعرية الاسطورة المبتعقة) عددا من الروايات الرمزية كانت اهمها (الشيطان الصغير) ... وهمذا المقطع من قصيدته الطويلة (دون كيشوته) يجسد لنبا توق همذا العالم الشرير المليء بالكروب والمنفصات الى سيف دون كيشوته الشجاع ..

لم يختر دون كيشوته طريقة في الحياة ،
فروزانينتي سوف تجد الطريق بنفسها ،
فالإعداء يواجهون البطل الباسل التي نعب ،
ودون كيشوته سيكون دائما في عراك معهم .
وحيث يحيط الفخار بالاستهزاء والخديعةوالمخاتلات الشريرة
والسقطات الحزنة والتحولات والمعابلة والهزائم المنكرة
وعبر الظلم والضجيج الصدىء للايام الجديبة الحارة ،
وللمربات واثناء اللعنات وصغير السخرية والتهكم والضحك ،

فربما استطاع ان تخلص هذا العالم من بعض هذا الشرك المتشري فيه دونمسا رادع ، وربمسا اعاد الى هذا العائم الكثبسب نقاءه الاول وبراءته الاولى .. حيث كان ثمة فارس تدافع : انمسا عسن الحق والعدل دونمسا انتظار لجزاء او مثوبة ..

اما ايفانوف، الذي ترك روسيسا عام ١٩٢٤ ومات في ابطالياكلاجيء سیاسی فقد کان تکرارا لصیر بالوئت الاسیت وان لم یکن تکرارا لشعره . . وكان ايغانوف عالما بارعتا في اللهِـة اللاتيئيةواليونانية ، وباحثا متخصصا في فلسفة دبائسة الاله المعلب الاغريقية الني بحث فيها مصدر ديوندستوس التراجيدي . درس دلي يدي ثيودور مومسن في برليسن . وكان زعبما لا ينازع للاتجاه الرمزي في بطرسيسورج بيسن ١٩٠٥ و١٩١١ . وتأثر كثبيرا بالنهط الكلاسيكي الرصين للتراجيديا الاغريفية وبفلسفة نباشه الني كانت انهض او بالاحرى تتجسب في رموز اغربقية . وتحول عن ادثوذكسية الكنيسة السلافية الى كاتوليكة الكنيسسة الرومانيسة ابان اقاسه باطاليا .. وجمع اعماله الرمزية في مجموعته الشيدرية (Car Ardens) التي اهتم فيها باحياد الاساليب المجررة > ١٠١ق عيرهما « مجموعة كاملة من الاساطير عن التفسيرد والتعدد وعن الطبيعية والانسان وعن الارض والشمس . واعتبر ديانية د ونبسيوس وديانة المسيح شيشا واحدا . وكان يرى ان اعظلهم الاعمال الفنيسة مستقاة من نفس المصدر الذي اخلت منه الاساطيسس والاديان .. وهو الإباءات الجمعبة كشمر اللاحم والتراجيديا والاغاني الشميية والسرحبات الدينية . ولما كمان بختلف كثيرا عمن علماء الجمال البرناسيين الذبس يتحدثون عن الجمال غير الهادف . فقيد اصبع هذا العلامة الذي كأن له فاسل السبق على ت.س. اليوت وعزرا باوند بنظمه التحميلي وقصائده الفنائسة الفامضة التي لاعيب فيها على الرغم من ملاها ، زعيما روحيها واديما » (٢٦) اعتبه ه شعسراء بطريسبورج أبان أنابهار الحركة الرمزية أميرا للشعسر ، لانه كان امهرهم في السيطرة على الكلمات ، وكان له فضل توجيه شمسراء بطرسيورج وتصحيح مخطوطات قصائدهم .. كمنا أتاح لهم بثقافتسه البونانية الانفتاح على عالم الاساطير البهنانية والاستفادة منه فسي

الاحالات والتضمينات العديدة داخل فصائدهم. ومن ابرز اشعاره مجموعة السوناتات التي سماها بالسوناتات الرومانية . وهي القصائد التي كتبها في منفاه . . والني حافظ فيها على بعض سماته الرمزية وان مالت الى البساطة والباشرة والتفني بروما القديمة وباثينا القديمة التي دمرتها اقدام العالم الحديث الثقيلة الخاملة .

لا يبقى من شعراء هذا التباد الرمزي البادديين سوى زينيسينا

جيبيوس التي كانت اقرب هؤلاء الشعراء الى تشاؤميسة سولوجوب وان المتزج تشاؤمها بشيء من شهوانية باتيشكوف الجامحية ، وبشسيء من مفدرة بالونت الفنائية والإيقاعية . وكانت من حيث رمزيتها شاعبرة تمقيدات عقليسة ومتناقضات ذات طابع تجريدي غامض ، تنطسوي على رؤيسة متشائمة للعالم الذي ينضج من حولها بالشر ، وباللي احسب حياله بنوع من الكراهية . وكان شعرها الى جانب غعوضه مليشا بالاشارات والاحالات الثقافية التي جعلنهسا شاعرة الطبقسة المثقفسسة والمعبرة عسن هدوم الرمزييسن العقلية . كمسسا اعطنهما جرأتها كامراة علسى تناول الموضوعات الجنسية والشهويسة صورة شيطانية وساحرة مما . وكانت اشعارها الشهوانية تنطوي على بعد فلسفى واضسع يمزج الابيقورية بنوع شديد الخصوصية من الصوفية . ويعبر عن هذا المزيج الفريب في الشمسر من خلال غنائيسة تميل الى المذانيسسة وتستبطئ ااشاعر الدفينة لامراة مليثة بالتمزقات النفسية . فقيد هاجرت مع زوجها عقب الثورة عام ١٩١٨ وكاثت شديدة المسعاء للشيوعية ووثيقة الصلة بالنشاط الادبى والسياسي لزوجها ديمتري ميرجكوفسكي ، وظلت في فرنسا حنى ماتت في باريس عام ١٩٤٥. وقد ((حافظت هذه الكاتبة ذات التفكير القاسي والشعر العاطفي ،خلف واجهية الشيطانية والسلبية ، على غموض حاقد اقرب الى الشر . ولكنها انجزت شكلا شعريا خاصا ، غريبا وبسيطا . انسيابيا ورخيصا ، وقد استهرت ايفسا بمقالاتها السياسيسة اللالمة ، ومسرحيتيسن حافلتيسن بالغموض النفسي » (٧) وفي . القصيدة التالية (هي) تلمس بعض اللامح الغنية والمضمونية لتجربتها الشمرية...

في خجلها ودناوتها الشريرة ، كانت رمادية كالتراب ، كرماد الارض . وقد اضناني قربها ، وارهقتني تلك الرابطة التي لا فكاك منها ، بيني وبينها . انها معقدة شائكة ، باردة ،خبيثة ومخادعة ، وذبولها الثير للاشمئزاز ، وقشورها الخشئة ، فد غطتني بالجراح الدامية . انها مترهلة ، غبية ، بليدة ، كسولة ، ومضجرة اليس بامكانها ان تنفعل ، انها صماء . ليس بامكانها ان تنفعل ، انها صماء . ليس بامكانها ان تنفعل ، انها صماء . انها عنيدة وحرون ، يملاني عناقها بالهواجس ويوشك ان يختقني . . وهذا الشيء القاتم المغوف المليء بالوت هدو روحسي .

في هذه الرئية الوحشية للذات تجسد لنبا تلك المفارقة القاسية بيسن عشق الذات وكراهيتها معا ، بيسن الرثاء لها والقسجر منهسا في آن . ويتجسد لنبا ذلك التناول الباشر البسيط الغريب معا ، والذي أثر كثيرا على الشاعرات الروسيات فيما بعد ، ومكن الصوفية الرمزية من أن ترف الشعسر الروسي برافيد ثري من الرؤى الفلسفية الخصيسة .

النتمة في العدد القسادم

⁽٧٤) الرجع السابق ، ص ١٧٤ .

⁽٦)) مارك سلونيم (تاريخ الادب الروسي) ص ١٧٨ .

النشاط الثهافي في الوطن العربي مرتب

لبتنان

رياح التغيير ٠٠٠

شارك عدد من المثقفين اللبنانييسسن ، ولا سيما التقدميين ، بتحليل الاحداث الفظيعة التي مر بها لبنان في الاشهر السابقة وبفضح مخططات الالمزاليين والامبرياليين الديسن يحرصون على ابقاء لبنان في ميدان التخلف ، بالرغم من ادعائهم بانه « بلد الاشعاع » .

وقد استطلعت جريدة « الاخبار » الاسبوعيدة اليسارية رأي بعض الكتاب والمفكرين اللبنانيين ، في مشروع « تعسب لبنا، » ، وقد كتب الدنتور سهسل ادريس الرأي التالى في هذا الموضوع:

هُولاء آلذين يعملون على تنفيذ مخطط التقسيم في لبنان 4 وان كانوا يصرحون انهم ضده ، هل يعون ايسة جريمة يرتكبون ؟

... ایة جریمة یرتکبون ، لا بحق لبنان عامة، بل بحسق مسیحیی لبنان خاصة ؟

اية قيمة ذاتية تبقى لمسيحيى لبنان اذا هم تقوقعو! داخل دويلة طائفية سيكون من شأنها ، دون شك ، ان تذبل وتجف وتسقق بعد فتره من الزمن ؟

أن صيغة التعايش هي التي تحفظ لبنان من الانهيار. فاذا زالت هذه الصيغة ، وفكر البعض بان بديلها دولة مسيحية ، او دولة اسلامية (وهذه الاخيرة محض افتراض ، اذ ليس ثمة من يدعو اليها حقا!) ، زال لبنان بالذات ، ولم يبق ثمة مبرر لبقائه ...

ولنعد الآن الى التساؤل ، وهو في كثير من الاحيان البلغ من التفرير: اليس التقسيم بذاته يعني القضاء على فكرة « الكيان » و « السيادة » ؟ لبنان الحاضر بحدوده الداخلية والخارجية ، كيف يمكن الاقرار بالمحافظة عليه اذا اربد له ان يتمزق وتقطع اوصاله ويحول الى دويلات طائفيسة ؟ اليس هذا التفكير هو الخيانة بعينها ؟

ان مفهوم « السيادة » لا يتجزأ . واذا كان تخاذل السلطة اللبنانية قد ادى الى انتقاص هذه السيادة بغعل الاعتداءات الاسرائيلية المتواصلة ، وعدم التصدى لها على النحو الذي يحفظ الكرامة القومية ، فكيف يجرؤ بعض الغنات اللبنانية على ضرب السيادة الوطنية بقبول فكرة التقسيم او الدعوة اليها ؟

وما حجتهم في ذلك ؟ حجتهم الظاهرة الوجسود الغلسطيني الذي يزعمون انه ينتقص السيادة ، وهي حجة مرفوضة بكل ما تؤمن به المقاومة الفلسطينية من احترام السيادة اللبنانية والعمل على تحسرير الارض المفتصبة ورفض التجنس ، والحق ان حجتهم هي مستترة خفية لا يجرؤون على المصارحة بها: وهي انهم يرون بأم العين ان لبنان سائر بمنطق التطور التاريخي الى صيغة اجتماعية جديدة تريد اقامة التعايش على اسس المساواة والعدالة

والتقدم . . ان لبنان الجديد يريد ان يطور فكرة التعايش ، لا ان يلفيها ، يريد ان يبريء هذه الفكرة من كل الافاق التي علقت بها ، افاق الطائفية والاستفلال والاحتكار والاقطاعية وكل انواع الامتيازات انتى تلفي مبدأ التمايز الطائفي او الطبقى .

واذن و فان دعاة التقسيم هم المتحجرون الذيدين يعتقدون ان بامكانهم ان يبغوا كل شيء على حانه و وهم في ذلك على وهم كبير ولان « نبنان المسيحي » او «لبنان المسلم » و اذا أتيح لهماان يغوما و فان الصراع الطبقي في داخلهما سيضعهما في الوضع نفسه الذي يعيش فيه لبنان المتعابش اليوم و أن رياح التغيير لن تحجزها حدود التقسيم أنذي يسعى إليه الساعون!

وهكذا ، فإن عزاءنا تجاه دعوة التفسيم هذه يكمس في ان اصحابه لا بشكلون الا فئة ضئيلة حتى من المسيحسين الديس يتوجهون اليوم بافكار الإجيال الجديدة الواعية . . ومهما حاول دعاة التقسيم ، ومهما بدلوا من مال ، ومهما جاءهم من عون مسلح ، فإن الذين يبنون البوم لبنسان التحديد ، لبنان الواقف في وجه التآمر الداخلي الاجتماعى ، والمخارجي والامبريالي ، أن بناة لبنان الحديد أن بمكنه الحارجي والامبريالي ، أن بناة لبنان الحديد أن بمكنه الحالة التقسيم من تنفيذ مخططهم الخياني الإجرامي !

. 6 . 7 . 3

تجربة مضيئة وسط كيان معتم

انتهى المام الماضي - ١٩٧٤ - ليرى المتابع المنفوق لعن السينما انظباعا عاما بالحصار ، فقد كان هناك في مجال النشاط السينمائي التجاري شبه مؤامرة على عفل المتفرج انفرد بتنفيذها الفيلم المعري وحده في معظم الاحيان ، مصيدة اصبحت تحركها الافسلام نحبس فيها عقل الشاهد داخسل اطار واحد من التفكيسر وشكل واحد مسن اشكال المتعة .

واصبح لا مغر من عالم يصنع قيمه بعيدا عن الوافيع الحقيقي للناس ، معبرا عن واقع خاص لا نرى فيه سوى مجموعة بعينها من الشخصيات تعبيح هي النموذج الامثل في نفور الجماهير التي تنردد على السينما ، ويصبح عمثلها ومحاكاتها حلم الغتيات والغتيان على حد سواء . شخصيات على شاكلة بمبة كشر وامرأة سيئة السمعة والراهقيين الثلاثة . . الغ .

فالدور الرئيسي الذي تلعب الافلام السينمائية في بلدنا زالذي يمثله الجانب الاكبر من الانتاج السينمائي المعري ما يسزال يعبر حتى الان عن احترام الشطارة والفهلوة فسي شتى اشكالها ، ونمجيد الاتانية الفردية ، وبعد الى تلويسن الواقع بالوان زاهيسة لا تكشف عن حقيقته ، كما بعمد الى تزييف التاريخ وخليق ابطيال زهميين لاخفاء الدور البطولي الحقيقي الذي لمبته الجماهير . بالاضافة الى تمجيد النجاح الفردي على حساب الاخرين باعتباره نجاحا للاذكي والاكثر مقدرة وقوة ، ولا باس في استخدام اي نوع من الوسائل في سبيل تحقيق الغاية . فتحن نجد في هذه الافلام تأكيسنا على الانفصال الكامل بين مظاهر التخلف الاخلاقي والروحي وبين ينابيع الفقس

والاستفلال والقهس .

ويمكننا أن نضرب لذلك عشرات الامثلة التي اشتمل جميسع ما قدمه مخرجون من نوع حسن الاسام وحسام الدين مصطفى وخلمسي رفاسه بل والجيل الجديد من امثال نادر جلال مثلا .

وليس مصادفة أن تزدهر هذه الإيام ظاهرة فتيات السُفق المغروشة في القاهرة وتحتل اخبارهان مساحات في الصحف والمجلات، فنظرة على الافلام تجعلنا نعرك جانبا من الاسباب التسي تقف دراء هذه الظاهرة الغربية على مجمعنا وإن ارتبطت بواقعه .

ان اوضاع السينما المصرية لم تتغير ولم تساير اي نوع من النفدم دغم الاحسدات الكبيسرة التي مرت بنا وهي اوضاع تدفعنا الى البحث عن مبررات هذا التخلف والتنقيب وراء سينما قومبة تسعى الى تحربر المواطن مايا وروحيا والمحافظة في نفس الوقت على اصالته الانسانية .

لقد قددت السينما عام ١٩٧٤ اربعة اقلام عن حدرب اكتوبر لم يستطع واجِعِمِعها ان يحقق قدرا عن ضعوحتا الفكري الا من خلال فيلم واحد جاء مصادفة وسط عشرات الافلام الاخرى ، هنو فيلم « ابناء الصمت » الذي قام باخراجه محمد راضي وكتب لنه القصة والسينارينو مجيد طوبيا .

لم تشمل اعلام ١٩٧٤ النسب عرضت سوى فيلم واحسد جاد يطرح مشكلة اجتماعيه وسياسية ، وقد انتج بعيدا عن ((مؤسسة السينه المربة السائدة)) هو فيلم ((العصفور)) ، وفد نم اصطياده فيل أن يحلق دورة كاملة اصطادته ((بمبة كثر)) وصانعها المخرج حسن الامام . . ولا أعفى الجمهور المصري الذي أصبح يتجذب بشكال محموم تحدو عالم ((النفاسج)) ، وهذا له مرراته الاجتماعية ابضاء

ليس من العنعب على اي حال ان تدرك المتأمل لافلام عام ١٩٧٥ وجهيمها افلام انتجها الفطاع الخاص الذي دوله الدوله نوع الدور الذي تلقيم السينمسا عندنا . وهو دور يشمل تعكير المواطن وتعذف بافكاره وخياله بعيدا عن عالمه الحقيقي وعن عيمه الانسانية .

وعموما: بان اثن السينمائي مثلبه مثل كلل الفنون الاخرى من المكن ان يستخدم لاسباب لقف ضبد لقدم الانسان وضلد المهر التحرية التي بدفعه اللي محاربة النخلف رفضيه في صوره المكربة والإجماعية ... الخ .

واذا كان من السهل أن شبت من خلال منا عرض عام ١٩٧٤ بعد السينما عن الجماهير وبجاهاها الواقع الاجتمائي كليه بكييل جوانبه الأدن والرزدية والعلاقات التي تحكمه ، فالصعوبة الجميفيية هي نقبل استمرار هذا الوضع وعدم النصدي له . والنصدي هنا لا بمكن أن بتم الا على يد الدولة ، فهي وحدها التي تملك تحسرير النقافية أن بتم الا على يد الدولة ، فهي وحدها التي تملك تحسرير النقافية والغين وتوجيههما الوجهة الصحية السليمة التي تغذى عقل المواطن

فدمت السينما عام ١٩٧٤ سسعة واربعين فيلما روائيا طوللا اذا اعتبدنا على ببان افلام الوسم الذي بعده المركز الكاثوليكي للسينما سنوسا وهو بيسان صعيح الى حد كبير اذا انفقنا ان الوسم بدا بفيلم (زهور بربه) ليوسف فرنسيس والذي عرض بسينما ميامي عي ه نوفمبر ١٩٧٣ واننهى بعيلم (٢٤ ساعة حب) للمخرج احهد فؤاد الذي عرض في ١٤ اكنوبر عام ١٩٧٤ هذه الافلام اذا ما تأملناها وجميعها شاهدها الجمهور بعد السادس من اكنوبر لاكنشفنا دون معااء ان هناك انفصاها في الشخصية بعابي منه ، جانب ؤمس بالثفافه وبالعلم والتقدم الحضاري والنكنولوجي ، وهي الجانب الذي صنع وبالعلم والتهام ووانب بؤكد احنفارنا لقيمة العلم والثقافة والاستخفاف بعفول الجاهر ومواصله مهمة تخربها وهو الجانب الذي يصنع

افلام _ شلة الراهقين ـو مدرسة المراهقين ـو مدرسة الشاغبين ـ و ـ امرأة سيئة السمعة ـوالبناتوالعب وحكايتي معائزمان ـ وببعبة كتر وعجائب با زمن _ وكان العب _ وسالزواج السعيد و _ الوفاء العظيم _ و _ رحلة المجانبورحلة العمر ـ و _ امرأة للعب ـ و _ في الصيف لازم نحبدو _ ؟ ساعة حب _ فضلا عن ـ بدور _ و _ شياطين للابد _ الغ

كل هذه الافلام بكل ما فيها تنتقسل التوماتيكيا التى التلفزيسون العربي حتى تزداد رفعة انتشارها ، وتمد كسل جماهيس السيئما وجماهير التليفزيون وهسو جمهود مسن المكسن ان يفسسم اطفسالا في الثانية من عمرهم ، اي انها تحتول السي رافد متدفق ((للثقافة)) لا ينفسب معينه ، ويعسب كل ما فيه من قيم وافكار في عقل ورجداي ههذه الجماهيسر .

صحيح ان هناك روافد اخرى للثقافة ويغذيها في المجال الاول نادي السينها من القاهرة ، لكن من هو جمهور همذا النادي ؟ انسه اساسا جمهور الطبقة المتوسطة والطبقات المسورة التسمي تعرف طريقها ، وتختار بارادنها نوع العرفة التي تبغيها . وهو جمهور خاص لا يشكل في مجتمعنا الا نسبة ضئيلة بالاضافة الى الله جمهور يشكل نوعيات مختلفة . تضم جمهور شارع الشواربي وجمهور شارع ماسبيرد في نقس الوقت ، باختصار جمهور الترف الثقافي والترف الاجتماعي، ونفس الشيء من المكن ينطبق على جمهور نوادي الثقافة الجماهيرية, فقصور الثقافة من المكن ان تعرض تجاريا نفس همده الافسلام التسي سبق ذكرها وتعرض في الوقت ذاته من خلال « النوادي » الافلام التي تسم بصبغة ثفافية ربما بحجة ان الاولى نساهم في تمومل الاخيرة . .

هذا بالاضافة الى ان جمهسود النسوادي هسو ايفسا جمهور بورجوازيه الافاليم ويدعبي الثقافة هناك . وليس جمهسود الفلاحين وجمهود الطبقات .

ما علينا . ربما كان هناك رافد واحد « رفيع » لكنسه أصبل رغم أي شيء واعني به « جمعية الفيلم » في العاهرة . هسده الجمعية الخاصة في الحقيقة تضم جمهورها اساسا مسن الشباب والطلبة وهي برغم امكانياها التواضعة الا أنها تملسك جهد الشباب وطموحهم سحتى الان على الافل س ، وبرغم اكمال العند الطلوب نها ، فهسي لا تعنو أن تكسون جزيرة نديدة الفسآلة وسط محيط منسلاطم . أن الفسن السينمائي فسسى دلاد مثل بلاننا مطالب اولا أن يلمسب دورا فائقا في بهيئة الجماهير وشحن ارواحها بالفيم التي ننفسن الفسن تجسيدها والتمبير عنها . والسينما في القرن المشرين تملسك اللفة المغنية التي والتمبير عنها . والسينما في القرن المشرين تملسك اللفة المغنية التي فنية جديدة تماما ، تتجاوز النركيبة التي بجمع لفات المغنوناالاخرى، وقسد اصبحت لغة او دنيغي أن تنجاوزها لكي تحصل على تأثيرها الذي لا يضارعه تأثير أي بالاضافة الى قدرتها الفائقة على التحرك والوصول الى أي فن آخر . بالاضافة الى قدرتها الفائقة على التحرك والوصول الى اقصى تجمعات الجماهير بسهولة كبيرة نسبها .

ان السينها ـ اذا شئنا التبسيط ـ كها نعرف جهيعا نسنخدم طافات فنون ((اللغة)) أو الغنون ((الفولية)) بتعبير فلاسفة الجهال وستخدم طافات الغنون التشكيلية) وفنون الموسيقى والغناءوالرفص وطافات الغن الدراسي ،وتوظف تراث العلوم الانسانية توظيفا منظورا من تركيبتها الغنية المعقدة . ولكن السينما تتفرد بعد هذا بالميزة التي ابرزها النافد الامريكي ابربك بنتلي ، وهسدي ميزة استخدام الواقع الحي ذاته مادة للعمل الفني ، او خلفية متحركة لهذا العمل السينما ستطيع ان بعطينا الصورة الحقيقية للواقع الماش ، وتستطيع ان بعطيد هذا الواقع ، كما أنها لا تكفي ـ بطبيعانا سمجرد وصف هذا الواقع او تلخيصه او خلق رموز معادلة له ملتها بمجرد وصف هذا الواقع او تلخيصه او خلق رموز معادلة له ملتها

تغمل فنون الادب والغنون التشكيلية او الموسيقية . والغن السينمائي الشوري في بلاد تتبنى « الثورة » وتحتفل بذكرى مرورها عاما بعد عام مطالب اولا أن يختار من تفاصيل الواقع الحي وجزئياته ما نكون الشرها قدرة على التمبير عن حفيقة الواقع الاجتماعي كله وهو مطالب أن ينسج من هذه التفاصيل المختارة ومن الدراما السينمائية الني يبعيها الفنان البناء الفني السينمائي الذي يحمل المنشى الكلى للعمل السيمائي . هذا المعنى الشحون بالفيم الذي يبغي للعيلم المصري الان أن يعبىء بها جماهيرنا وأن يشحن بها ارواحها .

عموما كل هذا كلام .. مجرد كلام . لا اتصوره مقنعا او حسى مقبولا لدى صناع السينما في بلادنا لكسن يكفينسا صناع السينها التسجيلية الشبان من امنال خيري بشاره واحمد راشد ممن فدءوا المساهمة الوحيدة الجديرة بالاحترام خلال موسم ١٩٧٤ فسسى اعلام « صافد الدبابات » و « ابطال مبن مصر » و « مسافر الشمال مسافر الجنوب » . وهم في الحقيقة اولى بالرعاية والتبنى .

يتمتع فيلم ((ابناء الصمت) بصغة يجعله ينفرد عن بافي الافلام التي تتاولت حرب اكتوبر ، ويتميز عن كل الافلام المرية الاخرى التي عرضت عام ١٩٧٤ ، طلك هي محاولة فول الحقيمة او جانب منها ، والالتزام بالصدق في كشفه عن هذا الجانب .

يقدم « ابناء الصحت » من خالل مجموعة من الشخصيات « مجدي » خريج كلية الاداب الذي بتوفف تعيينه بسبب الحرب ، وصابر مدرس الابتدائي في قريته بالصعيد ، وشلبي الفلاح الذي ترك ادض قريته من اجسسل تحرسر الارض الام ، وعسوض الملكي شارك في حرب ٦٧ وفرر الصحت حتى يزيل العاد عن روحه . وسمير الموظف الذي يعمل في العقل الالكتروني بالاسكندرية ،ومحدود السيويسي الذي يشتغل في معمل التفحيم ، وماهسر الهندس الذي ترك زوجته وابنه لكي يشارك في صنع النحرير ، من خلال هؤلاء جميعا يقدم الغيلم المائاة التي تعرض لها الجنود داخل ملجئهم بالقرب من السويس في مرحلة ما بعد يونيو ٦٧ « مرحلة الاستنزاك » ومرحلة « الانطلاق والعبود » .

والفيلم لا يكتفي بنقديم الماناة وانما بكشف نوع اننماءاتهم الاجتماعية وعلاقاتهم الماطفية ، والافكار التي بدور في اعمادهم ، والمشكلات التي تضاعف من حدتها ضرورة التزامهم بتحريس الارض ، ودفع ثمن اخطاء الجيل الذي سبقهم «جيل يفلط وجيل بدفع الثمن » وهو من خلال هذا يرسم الملامع النفسية الخاصة التي تؤكد اصالتهم كابناء حقيقيين لمر ، يرتبط مصيرهم بمصيرها حتى لو كان هدا الثمن هو حياتهم فاتها .

ويصور الغيلم كذلك جانبا من الانحراف الذي يصيب احيانا بعض من يحتلون المناصب الكبيرة في هذه المهنة ، والغساد الذي يغرق فيه بعض فئات ممن يسكنون القاهرة ، والترف الذي يسبحون فيه ، المى جانب العلاقات التي تربط بعض هؤلاء ببعضهم ولا ينسى الفيلم ان يصور الذين يشقون ويسهرون الليالي من اجهل صنع رفيف الخبر مقابل دراهم قليلة .

وهو يربط هذه الملامح ببعضها في صورة متماسكة بفضل شخصية نبيلة اولا من خلال عملها بالصحافة ، ومن خلال عملاقتها بمجدي . فهي تصر حينما يستشهد خطيبها في «عملية بدر» ان تقوم بعمل ديبودتاج صحفي عن هذه العملية العسكرية الناجحة النبي يشترك فيها كل زملاء مجدى واصدفائه الذين سمعت عنهم واحبنهم

مِن خلاله . وحينما تشرع في عمل هسلا الريبورتاج تبدأ كاميسرا المصور الغنان عبدالعزيز فهمي في رسم ملامح هذه الرحلة ، مجسدا في صور معبرة مشحونة على بساطنها بالاحاسيس والمعاني الطيبة متوففاً من آن لاخر امام لحظة بعينها تكشف فيهما هذه الاحاسيس والمعاني بحيث لا بملك المشاهد ازاءها غير الانفعال الوجداني الرفيق .

والصورة الكلية تشكل من مجموعة صور البطولة التي يصديها ابناء مصر دون افتعال ، او مغالاة ،بل في تلقائية وارتباط عضوي بباقي احداث الفيليم .. فصور الحرب هنا وعمليات التدريب المسكري ننصهر مع الخلفية التي تبدو فيها الحقول الخضراء في مديرية التحرير ، والقرية الصابرة في اعماق الصميلة ، مصر تلك التي انجبت صابر ، وجادت بما تملكته من زاد على زملائه الجنود ومصانع السويس ومنازلها التي تتهدم فوق ابنائها بغمل العدوان، وحي عين الصيره في القاهرة ، ومصانيع البترول ، وافران الخبز وكورنيش النيل .. الخ .

وهذه الصورة نوجها لحظات العبور وانتصار الجنود ورفع العنه المصري فوق سيناء ، وهي نقدم من وجهة نظر انسابية تلفظ الحرب وتدين الانحراف وقف مع الانسان .

والغيام لا يلجآ الى اللجهة الخطابية ولا الى المباشرة ، بل بقول هذه المعاني من خلال الصورة الموقف ، فحينما تقوم نبيله بعمل تحقيق عن القاهرة في الليل ، تصطدم بالتنافض الذي يعيشه سكان هذه المدينة ، ائتي بضم ليلها العاهرة التي تبيع نفسها ، والعامل الذي يقف ساعات طوبلة لكي تصنع الخبر للناس ، والراقصة التي تددد الجنيهات في ساعات ، والرجل الذي يضيع عمره مقابل دراهم قلبلة.

وبعنمه سيناريو الغيلم الذي اعده مجيد طوبيا عن فصة تحمل نفس الاسم على هذا التعابل ، فهدو يقدم دائما الصورة وبعيضها الصحفي الذي يوما ما تورسا يرفض المساومة ، شم تصبح مهمده التبرير،وفي مواجهة الصحفية المبتدئة التي لا نزال تحمل نقاءوثوريه، ولم تلدوث بعد ، اللجأ الجاف الكثيب الذي بحنمدي فيه الجنوا، وشارع سليمدان باشا الذي بمتلىء بالوان المزينة والبضائع اللامعة؛ والناس اللاهية ، العمارات الغارهة التي تطل على النيل ،والخطمان اللذان لا يجدان شفة صغيرة نضمها . . الغ .

وهو بعدل ذلك بحدى ردون فجاجة ومن خلال حبكة مفنعة ريشير الغيلم من خلال الحوار الى بعض القيم التي تحمل معاني مزدوجه معاني غيبية تقابلها نفسانية ، ومعاني نواكلية تقابلها نفسانية ، ومعاني مورية تقابلها معاني متحررة محسررة .

من الفيم ذات المعاني العلمية قيمة الايمسان بالكنبوب النسي
يرددها شلبي بطريقة فكاهية لا تبعث اكثر من الفسحك لانها تقدم
في اطار النكتة تقريبا ، فالايمسان بالكتوب يمكنسه أن يؤدي السي
الاستسلام ، ويمكن الضا أن يؤدي نفس الإيمان إلى رفض الاستسلام ،
ومن القيم التي تحمل معنى التواكل ومعنى النضال في نفس الوقت ومن
القيم ذات المعاني الفردية والتي يمكسن أن تتطور فتحصل على معنى
جماعي شامل والتي يمثلها عوض . أنه يبدو طوال الفيلم حاملا
جرحه الفائر في بطنه وكابوسه الروع الذي يطارده فسي النوم بينا
لا ينغمل في اليقظة الا أن بجهز سلاحه طوال الوقت استعدادا لكي
ينتقم الما يبدو في صورة الاهانة الشخصية التي لحقته عام ١٧ . أن

الفيلم أن يطور مفهوم الانتعام نكي يجعله مفهوما ما تحرر عوص من المرغبة عن مجرد الثأر لنفسه ، لسقد كان من المكسن ان يستخسدم الحوار على لسان عوض للتعبير عسن المعنى الدرامي لشخصيه عوض تمبيرا اكثر فصاحة واكثر سينمانية من مجرد الصمت . لقد حددت الصورة معنى وض وجعلته معنى فراينا لشخص ينتقم لذانه وحده ، وكان من المكسن بالحوار ان يدفع الى علاقة مسع زملائه تحرره من هذه الرغبة والشعود الفردي وتدمجه في القضيسة المشتركة ، وتحوله من قاتل يشمسر بالاهائة الى مقاتل بحارب من أجل قضيته .

لكن .. وبرغم اي شيء قان ((ابناء الصمت)) فيلم نظيف ، لم يرضغ مخرجه هذه المرة لمطلبات السوق التجارية ، والم يلجأ محمد راضى الى التوابل الجاهزة . فالجنس رغم عدم غيابه يسوظف بطريقة جيدة ، بالاضاعة الى ان عنصر الفكاهة جاء في موضعيه تماميا بلا افتمال او ابتقال، والفيلم دقم نعمده الاشارة الى كثير من المسكلات الاجتماعية التي تشغل بال الشبباب ،الاانه ببدأ وينتهى بنبرة صفائله،

فهو يخلو من التجهم ألذي يميز في العادة هذا النوعمن الافلام عندنا. ولفد بكانف جميع من انسركوا فيسه سواء ممثلين او فنيين ، مسن المناين نذكر حمدي احمد في دور صابر: ومحمد لطفيي فيي دور طاهر ، والسيد راضي في دور عوض ، وسيد زيان في دور شلبي ، ونور الشريف في دور مجدي ، ومحمد صبحي في دور سمير ، ونخص بالذكر الفنان محمود مرسي في دور راجي رئيس التحرير ، الذي ساهم كعاديه وباخلاص في عمل جاد بصنعه شياب السينها .

وعموماً ، وحى لا بصمت ((ابناء الصمت)) ، أو حتى لا يفطروا السبى الكلام انفارع ، علينا ان نمسد لهم يد المساعسة وان نحيسط اعمالهم بنوع من ادجه يسة خاصة وهم يواجهمون منافسة من العممي ان صمد اعمالهم امامها .

خيرية البشلاوي القاهرة

دار الاداب تقسيم

محمد علي شمس الدين في مجموعته الشعريسه الاولى

قصائد مهربة الم حبيبتي آسيا

 « قصائد مهر بة الى حبيبتى آسيا لوحة فنية مؤلفة من أربعة مفاطع يتلون فيها الرمز بمنظور تراثى عصري وواقعية جديدة وتجريد يجعل اللفظة الشعريةذات ابعاد وعمق. حيث ينحو ل المجاز فيهمأ السمى خصوصية مونولوجية تتابع فيها ألصور تتابعا عفويافيه براعة وأصالــة . وهـــو مجاز منغوم قالم على تعادلية صافية بين اللفة الشعرية في القصيدة وبين رصيدهاالصوتي الموسيقي . فهو مرهف كالبكأء ، وشمسه مزاجيـــة وهواه ازرق . . »

الدكتور عناد غزوان في كلامه على قصاله مهر"بة / ألمربه الشعرى الثاني نيسان ٧٤ .

« قصيدة فاتحة للنارفي خرائب الجسد » حشد غريب من رموز الرعب والتمزق والاحتراق . وفي هذا الحشد لا يعطينا الشاعر مجالا للتوقف لكي نعرف مانحن فيه بـل يسير بقـــوة دون توقف متهما مجموع الطبقات في اقتسام أشلاء العالم ، وبالمشاركة في جريمة انتهاك الائسان وتوزيع أشلاء جسده على بعضهم البعض . والقصيدة تظهر طاقة شعرية فريدة ، طاقعة تترجم شعريا ، وعن قهم ، العصر الحاضر والتراث الأنساني ، بكل البؤس واللاانسانية والتمزق المتواجد فيهـــا » .

جبرا ابراهيم جبرا في كلامه على قصيسةة فالحة للنار .

صدر حديثا

والماليف العدالمنعات "الرالم

القصياند

نزیه ا بو عفش

مما يلفت النظر ، في معظم الدوريات الثقافية العربية ، للك الكثافة المدهشة في عدد القصائد _ او ما هو شبيه بالقصائد _ التي تكلف تنفرت بالنصيب الاكبر من مساحة الفاعليات الادبية والفكرية؛ الى درجية تصعب معها اينة معاولة هادئة لتقصي ما في هسيده القصيدة أو تلك من عناصر وايماضات ذات فيمة منا . . دون الوقوع في شرك الاحكام العصبية وردود الافعال السريعة ، المطرف احيانا أزاء منا تزخير به القصائد الاخرى من غثانة و فرحسي وتفكك في البناء ومغارفات فكرية مضحكة ، تدفع بنا الى جملة من التساؤلات الاولية المكرودة :

- هذا الاقبال السهل على كتابة الفصيدة الحديثة .. ما هي السبابه ؟ وكيف يمكن ، في هذه الحالة من الغياب الفاضح للنقد الادبي الجاد ، كيف يمكن فسيره وتنظيم ضوابطه ؟!

ما الذي يميز فصيدة ما لهذا الشاعر عن قصيدة اخرى لسواه من الشعراء ؟ وبالتالي ما الذي نعتقر اليه هذه القصيدة حتى يمكن التعامل معها كعمل شعري مثير وناضج وذي شخصية ، اذا كانتهذه القصيدة أو تلبك تمتلك لفتها السليمة واوزانها ومضامينها لانسائية التي قد لا نختلف حول سلامتها ! ! مع ذلك يظل الشعر غائبا ... مفقودا . . ومنتهكا ايضا .

في العدد المناضي من الاداب عدد من الفصائد المنفاوتة في قيمنها وقابلية انتمائها الى الشعر ، مطابق تماما لجميع ما في العدد من قصص وابحاث ودراسات نقدية!! بينها ، على الاكثر ، ادبع او خصص قصائد تمتلك المستوى الجيد لعادية الشعر واكتمال ادوائه الغنية .

عبدالخالق الركابي في قصيدته ((بيروت)) يفصح عن امكانات شعرية جيدة جاول توظيفها في شكل بنائي مرتبك ، تتوضع لجلجلته في الجمل المركبة ذات النفس الطويل، بحيث تتحول كل جملة الى مقطع مستقل يكاد يكون فصيدة بحد ذاته ، ان قصيدة ((بيروت)) _ على المرغم من وقوعها في ظل سعدي يوسف _ تظل قصيدة جيدة تنعصها لمسة ما حتى تتحول الى قصيدة ممتازة لها سحرها الخاص ودلالاتها الانسانية المبالفة الحدة والكتافية:

لم تكن غير فديسة باركت ـ عندما طرفت بابها الحرب واستفردتها البنادة مسعودة ـ موت ابنائها الشهداء . . أما في شوارعها ف :

ثمة قتلى يمدون اذرعهم يومنون لنا كلمسا ابتردت صخرة الليسل واخضل وجه انتظاراتنا بالعمساء ..

انها هكذا .. بيروت القاتلة ، المنتهكة ، المتوحبه للصوص .. ولكسن :

ابوابها الالف مرصودة باسم ابنائها الفقراء .

اما على الخليلي في فصيدته (الى جنوب لبنان) فلم يمكن من زعرعة المناخ الجاف للقصيدة واضفاء ايسة روح ابداءيه عليها .. بحيث ظلت قصيدة عملا انشائيا لا تكاد تنبثق فيه ايسة بارهمه سمسر حقيقيسة مثل: في فم كل بندفيسة رأيت وردة سافي فم كل وردةراين بندقيسة فمن رأى حبيبتي ..

او: البنادق تنقد نكهتها والذي يفتل الفقراء يفاسمني كسرة الخبز ـ يفضحني في سكوت الرياح العتيقة ..

افول: لا تكاد هذه الاضاءات المدهنية تظهير حني بعتلها محاولات التصنيع المغرغة من الحياة!! ان كل منا في هذين لفظمين من توهج حسي وغنى في الطائمة الإبداعية وسيطرة على الادوات .. كل ذلك لا يلبث ان يخميد فجاة تحت وطاة الحاولات التركيبية عثل:

يا صحوة الظل يا نكهة البندهية . . الغ ،

شووي بزيع ، الشاعر الجنوبي العلب ، لم يتمكن في (اغنيات العاشق الاخير)ان يتحرد من سطوة مظفر النواب : في الليل فبيسل سفوط المرأة في الحلم . . انخ الا انه لا يلبث ان يفرض صوته الخاص المليء بالثقبة :

ودعي جسدي فنديلك في هذا الليل قان جاءك من جهة البحر دمي فاشتعلي كفراش الماء على الاغصان .

مع ذلك . لم يستطع المشاعر شوقي بزيع في المقطعين السادس والسابع من القصيدة الا ان يذكرنا بتوليعات ادونيس الحرفية المثعله بالافتعال الشكلي وتعفيدات الصنعة .

لعل تفاحة خليل خوري الحامضة تكاد (كفصيدة الشاعر هاشم شفيت) تقف ـ لا في طليعة قصائد العدد فحسب ـ بل وفي المقدمة مما ينشر من عصائد في المحف والمجلات العربية . وخليل خوري الذي فاجآنا بصوته الساحر منذ (صلوات للربح) و(لادر في الصدف) ما يـزال فادرا على تأكيد اصالته الشعرية وتطوير ادواته الابداعية، حيث سيطر عليك منذ اللحظة الاولى .. يترك في قلبك مثل ما تترك هاليد :

... ان هيلين تترك في القلب شيئا له طعم اغنية مرة .وهيلين مدبحة القلب .. وهدي الخفافيش تاوي الى القلب كل مساء . وتتكافف الشاعر الدرامية حتى تبلغ ذروة احتدامها وتالقها .

وهبني انتصرت ، انتقمت ، سبيت ، قتلت استبحت ..

ولكن في القلب شيئا ، _ وسوف يظل _ له طعم اغنيه مره .

وببساطة لا نظير لها ، بامتلاك وسطوة لا حد لهما ، يطلبق خليل نداءه المأتمي الفاجع كمجزرة .. الشديد الهدوء كتنفس طفل:

ان في الفلب فصل خريف - ان نفسي حزينة - ان هيلين فجر تلطخ بالدم ، طير حمام جعاعشه واستميل الى غيره - . . وهيلين ما يترك الليسل في حانة من بقايا السكارى وهيلين . . ٢ هلين .

واذا كان خليل خوري ، كمادته ، قادرا على تقديم نفسه كشاعر ممتاز .. فسلا شك أن هذه القصيدة بالتالي قادرة على تقديم وجسه جديد للشاعر الذي مسا نزال نرجو الا يصمت .

قصيدة احمد يوسف داود (الى اللقاء .. سافوي) ليس من السبهل التكلم عنها ضمن هذا السياق الكثيف احيانا .. الغضعاض احيانا اخرى .. الا ان ما يلاحظ فيها ، للوهنة الاولى ، ان بصمات محمود درويش ما ترال ضادجة في اماكن كثيرة من القصيدة ،اضافة الى بعض المقاطع الشيرة ببرودنها وعقلانيتها غير البردة :

كان في نسمة الليل وخز .. وعلق موسى __ لماذا يقولون آذار افسى الشهور ؟؟

وموسى (كما يشير الشاعر في حاشية القصيدة) هو الغيداني الذي اسر بعد عملية سافوي و (آذار أفسى الشهور) عن البوت في مطلع الارض الخراب .

ان ما يثير التساؤل ويدعو الى الدهشة ان يكون لدى موسى جمعة متسع من الوقت وأسترخاء الاعصاب لتذكر ما قال اليوب عن قسوة شهر آذار وعلافة ذلك بالشهر السندي تمت فيه عملية سافوي!

قصيدة الغريد سمعان (استثناء) مسحونة بكل (الهاث الارض) لكثرة ما فيها من جفات صناعي وانكاءات فجهة على محاولات الشعراء التجريبيين من تداخلات في الاصوات ، وبعب يصل حد الارهاق في بناء انجهلة .. مفنفرة اللي النياء انجهلة .. مفنفرة اللي ادني مستويات الحس الفني . أما (قرار) الدكنور وصفي صادق .. فهي عبارة عن محاولة انشائية نذكر براي الياس ابي شبكة في الشعر اذ يقول ((الشعر يجيء مرتدبا زيه الكامل)) اما هنا فنحن امام فصيدةلا تكاد ترتفع عن مستوى القولات النهنية التي لا زي الها .. لا حرارة فيها .. وليست من الشعر .

وما يقال عن (القرار) يصلح قوله عن فصيدة على بدرالدين (خارطة الرعد) فهي الاخرى محاولة شكلية قد يكلون فبها كل شيء ما عبدا الشعر .. اضافة الى ما فيها من الحضووالتراكيب اللفظية من مطلع الجملة الى نهايتها بدون اية مبررات فنية ! هلذا الاهمال الفظ لتفاصيل البناء الشعري في القصيدة هو المقتل الاساسي للكثير مها نقرة ونسمع من الشعر بحيث يتحول هذا الاهمال، الناتج

عن استسهال كنابة القصيدة الحديثة ، الى ورقبة الهام « محقة » في ايندي متيري حملات الإنهام والنشنيعات البديثة على النثر الحديث عامنة .

في زحمة هذه الاسماء .. نجيء فصيدة الشاعر هاشم شفيسق (ثلاث حالات عن دخول الملكة) التي تعتبر عن جدراة نصيدة فصائد الاسماء انجديدة التي تتردد في الآداب بيمن الفترة والاخرى . وعلى الرغم من أن هذه القصيدة هي الوحيدة مما فرأت من انتاج الشاعير هاشم شفيق ، فهي بدون ادني شك من الفصائد القليلة الفادرة على الافصاح عن نفسها ببساضة لا تداخلها الصنعة .. بحيث تفسيم قارئها مباشرة ادم حالة شعرية نامية «(مريدية زيها الكامل) دون ايت زخارف ونتوءات مها تزخر به فصائد شعراء الجيل الجديد :

تدخلين كما يدخل الثوم في غرفتي ..

. فيرن دمي ـ ان جلدي يرن ـ وكذا النورس العذب حيــن يلامس نهـرا يئن ّــ

هذا الاساق الساحر بين موسيفى القصيدة وايقاعاتها الداخلية ومضامينها .. يكساد يكسون ابرز عناصرها ، وبالدالي فهمو العنصرالذي تغتقده اعمال كثيرة لشعراء بارزين :

... واحلم بالقصلة ـ وارى غابه شالها الغجر والطيسر آوي اليها المنافير مكنظـة بالتشيد ـ وفي كل جنح نجـوم مبللة مثفلة ـ وارى هدهدا ...

على هذا النحو من المدفق العفوي تتحرك القصيسدة مؤكسة حساسية الشاعس المتفوصة وتعامله الواثق مع ادواته وما يربد فوله، حون لجوء الى الخطابة والادعاءات .. والاحتيالات الشكلية الى ترهسق كاهل قصائد سواه من شعراء العدد ، بحيث لا نجسد مغرا من اعسادة التساؤل:

كيف يمكن تلقصيدة أن كتب ؟ وبالتالي أيسة روح تلسك التسي تحل في جسم القصيدة فتجمل منها شعرا ؟.. ثم الى متى سيسسود الاعتقاد بسهولة كتابة القصيدة الحديثة .. بسهولة التعامل معها .. سمهولسة أحلال تلسك الروح التي نسميها عادة شعرا ؟

ىشق

دار الاداب تقسدم

امرأنان في امرأة

رواية بقلم

الدكتورة نوال السعداوي

صدرت حديثا